



الجزء  
الرابع

اول اغسطس سنة ١٩٣٢

الجزء  
الرابع

من

## موضوعات هذا الجزء

التغول على كاتب العاطفة والوجدان	بطل عبد العزيز الاسلامبول
شعر أبي الفرج البغدادى	الدكتور زكى مبارك
رأى فرويد فى الاعلام	الاستاذ سامد عبد القادر
لو كنت وزيرا للمعارف	الدكتور فريد رفاعى
الشعر الجليل : تأثيره ومثله رساله	الاستاذ السباعى يوسى
البابل	الشاعر محمد ما كلف بك
مقدور ( قصة )	الاستاذ محمود تيسور
المدانى الانطاكية عند الممرات	الاستاذ محمود الحضرى
اقسام النيب او طوائفه	الدكتور على عبد الواحد وافي
وصف النود ( قصيدة )	الاستاذ مصطفى جواد
شعر	الدكتور على خطير
الفلسه راقه فى فلسفه افلاطون	الاستاذ يوسف كرم
الاسكندرية فى اوج عظمتها	الاستاذ احمد الشنتاوى
كيف نعد الفتاة لزوج	الاستاذ مصطفى جاد ابر الملا
عباس محمود المتقال	بطل المبارك ابراهيم
بناء العرش فى ملكة الحيوان	الاستاذ محمد محمد السيد
المستشرقون بين الامم القديمه والحديث	بطل محمد امين حسونه
فلسفه العلوم الرياضيه	الاستاذ احمد نزال الاحوان
الحمد الثالث	
وغير ذلك من الموضوعات	

# المعرفة

مجلة - شهرية - جامعية  
تصدر في أول كل شهر افرنجي  
وتقدم لمشتركها هديتين علميتين في آخر السنة

صاحبها وناشرها ومحررها المسئول

عبد العزيز الأسيوطي

الاشتراك السنوي  
مصر والسودان ٥٠ قرشا  
في خارج القطر ٧٥ قرشا  
أو ١٥ شلينا انجليزيا  
أو ١٠٠ فرنك فرنساوي

• ينضم للطلبة والمدرسين ٢٠٪  
• اشتراك نصف السنة بنصف القيمة  
• وكل طلب اشتراك غير مصحوب بالقيمة لا يلتفت اليه

المكاتبات | مركز الادارة | الاعلانات  
تكون باسم محرر المجلة | شارع عبد العزيز رقم ٤ بالقاهرة | تخبر بشأنها الادارة

## AL-MAAREFA

An Arabic Monthly Review

4, Abd-el-Aziz Street

CAIRO



الادارة الجديدة

لمجلة المعرفة

بشارع عبد العزيز رقم ٤

بالقاهرة

٥٨ - ٦ - ٢٩



المرحوم السيد مصطفى لطفي المنفلوطي  
اقرأ مقالا عنه في هذا العدد



الاستاذ عباس محمود العقاد  
نشر صورته لمناسبة المقال المكتوب عنه في هذا الجزء





( الدكتور ويهار الشترقي السويري )



( الأستاذ مريطوت الشترقي الانجليزى )



( الأستاذ كرايتشوفسكى الشترقي الروسى )

## اقراء مقال

( المستشرقون بين الأديين : القديم والحديث )

المنشور في هذا الجزء

الجزء الرابع  
السنة الثانية

# المعرفة

أول أغسطس سنة ١٩٣٢  
ربيع الأول سنة ١٣٥١

مجلة — شهرية — جامعة  
لصاحبها وناشرها ومحررها المسئول

عبد العزيز الأسيدي

العدد ١٦

شعارها : اعرف نفسك بنفسك

المجلد الثالث

## المنفلوطي : كاتب العاطفة والوجدان

[ كتبت بمناسبة اعتزام خريجي الجامعة المصرية إحياء ذكره ]

### فكرة البحث

اعتزم فريق من خريجي الجامعة الأوفياء إحياء ذكرى فقيه الأدب العربي ، المرحوم السيد مصطفى لطفي المنفلوطي ، بمناسبة مرور ثمانية أعوام على وفاته . وليس من شك في أن تلك الفكرة — التي اعتزم خريجو الجامعة إنفاذها — فكرة جلية ، جذيرة بالذيق ، فنية بالتشجيع ، لما للمرحوم المنفلوطي من أثر — وأى أثر — في الأدب العربي ، ومن حب — وأى حب — في نفوس طلابه ومريديه .

فن حق المنفلوطي إذن على طلابه ، وتلاميذه ، والمنتفعين بأدبه ، والمقتفين أثره ، أن يخلدوا ذكرى رجل كانت له اليد الطولى في خلق الأدب المصري ، بل كان له القسط الأوفر في إنشاء « الدراما المصرية » .

فلقد كان المنفلوطي ، منذ بداية شبابه ، حتى آخر نفس من حياته ، يمثل الدراما ويمثله أدق تمثيل ، فكان يكافح أغلال الحياة بقوة وصبر ، ويناضل أرزاء الأيام بجهد واتقاد ، حتى تكسرت الأصفاة ، وتحطمت الأغلال ، وصمدت إلى جانبه حياة داوية من الشهرة الدائمة والرواج المنشود . وإذا كنا سنقتصر الكلام — في إمامتنا هذه — على طاقته ، فرجع ذلك إلى حضرات الداعين إلى إحياء ذكره ، الذين تفضلوا فاختصوا كاتب هذه السطور بتلك الناحية ، رغم ما تتطلب من دقة وتحديد ، ونحن إذ نحاول الكتابة على المنفلوطي ، فأعنا ترسم — في بعض نواحي البحث — أسلوب المنفلوطي ، إحياء لذكرى المنفلوطي .



## المرحلة الأولى

يا لها من أيام ! تلك التي استهل بها كاتبنا النابه الخالد حياته ! لقد كانت أياماً عجائب ، عرف فيها « المنفلوطى » كيف يصطنع نفسه ، وكيف يلتقى على عواطفه شعاعاً من الخير ، وضوءاً من الحياة . !

لقد كانت أياماً ثقلاً ، لم تتمزق فيها أواصر الشقاء ، ولم يقوضها معول الأمل ، ولكن قوضها وأتى عليها معول الطموح .

وكانت أياماً شداداً ، ركن المنفلوطى فيها إلى تلك الحجرة الهادئة الضيقة المظلمة التي لا تطل على القناء القضم ، ولا على الباحة الرحبية ، ولا على السرحة الفيئانة ، ولا على المشاهد الفاتنة ، وإنما كانت تطل على أغوص ضيق ، كأغوص القطاة ، هو زقاق يتفرع من أحد الشوارع الباقية حتى اليوم في « كفر الطاعين » .

ولم يكن المنفلوطى منذ كان يطلب العلم في الأزهر ليرضى في شأن من شؤونه بما يرضى به ضعاف النفوس ، أو صغار الأحلام ، أولئك الذين يجهمون إلى أنفسهم أواصر الزلقى بالبارزين في سجل المال وحده ، وإنما بقي منذ بدء حياته ، حتى آخر مرحلة من مراحل حياته ، يحال الصغار ، ويناضل الضعة ، ويتألب على السفاسف ، ويزيد في خلقه مكانة ، وفي كبريائه قوة ، وفي عزة نفسه مناعة ، وفي تمرده على الحادثات عزماً وانطلاقاً .

وهكذا عاش الرجل ، وهكذا مات الرجل ، دون أن يدنس يده بشئ ، أو يصغر خده لإنسان ، أو يريق ماء وجهه لعظم ، أو يبذل كرامته نهباً مقسمًا بين الناس .

لهذا لم تتحرك روح الآلام في مصر حركة عنيفة لفقدان أديب نابه كما تحركت يوم مات المنفلوطى ، ذلكم الرجل الذي عاش ليؤدى رسالته إلى الناس في حق ويقين ، وليبوح إليهم حقائق الحياة الصريحة ، واضعاً أيديهم على مواطن الآسى والشجون .  
بؤس وشقاء ...

ترى أى سر هائل كانت تكتنزه قفس المنفلوطى القمية ؟ وأية مأساة عنيفة تلك التي استهل بها حياته ، وما يزال يافعاً صبيهاً ؟ بل أى حزن شامل ذلك الذي كانت تتفجر ينابيعه في مسارب دمه القوار ؟ وأى أسى مكتوم كانت تحترنه نفسه لتطلع به على الناس لاحقاً من اللظى وصيباً من الدموع ؟ !

هل من سر لهذا كله غير البؤس والشقاء ؟ أجل ! إنه البؤس وإنه الشقاء ، وحسبهما كارثة أو مصيبة تفدح الأعصاب ، وترجى الأوصاب ، وتدفع إلى النفس المصاب ، وحسبهما عاصفة هوجاء لا تخمد أوارها حتى تكون ضحيتها ربما على الثرى ، وحطاماً منتثراً ، ورجاماً مبعثراً ! !

هكذا كانت حياة المنفلوطى في مختلف مراحلها — على ما أعتقد — صورة واحدة تجتمع إليها ألوان لا تستطيعها يد الصانع الفنان ، ولا تستطيعها الريشة الماهرة المجدية المنتجة الأخاذة .

توجع وأنين ...

وهذه الصورة ، ماذا تكون ؟



إنها الصورة التي أدرك الشرق العربي منها كيف ينتهي الدمع إلى الصميم ، وكيف تذوب القلوب المنحجرة في بوتقة النار المحرقة، تلك نار الشجن الهائل الحافل ، التي استطاع المنفلوطى أن يفقد منه على قراء العربية صيباً جزيلاً، فيه تحقيق للجوانب العابسة ، وفيه تألب على كل جانب مشرق وناحية طروب .

ومن حق المنفلوطى أن تخلده هذه الخاصة التي تترد بها بين كتاب العربية جميعاً، وأغنى بها خاصة التوجع والأتين ؛ ومن حقه أيضاً أن يظل إلى الأبد موضعاً لا كبار قرائه ، وتمجيدهم لشكرهم ، وترحمهم على حياته التي غدت فيهم ناحية الرحمة ، وأتاحت لهم أن يركنوا إلى قرار الحنان .

وإذا كانت هذه الصورة الباقية قد أثارت في نفوس المتأدبين حالة من التوجع ، أو إذا كانت هذه الصورة قد أثارت في نفوس القراء حالة أخرى من الرضى والقناعة والاطمئنان ، فإنها قد أثارت في الناس جميعاً — متأدبين وغير متأدبين — روح التردد على تلك العروض الثمينة ، عروض اللذات التي تفيض عن نعماء الدنيا ورغد العيش وهناءة الأيام .

والمنفلوطى أن يخلد كل الخلد ، وأن يبقى على الزمن ، لأن قلمه أثاره القدر الجوال ، وأسلوبه القصيح الصريح ، قد مهدا لمواطن الناس أن تخلص من الغلظة، وتنبأ عن مواطن الحجر، وتعمد البر والرحمة، وترضى بما في الحياة من آلام، وتقتنع بما فيها من آمال ، وما يمج به بحرهما من أوجاع ، وما يقوم على شاطئيه من أشواك .

ألوان العاطفة ...

وبعد ، فأى دموع سخينة تلك التي سحها على صفحات كتبه سحاً أولئك الذين يقرءون رسائل المنفلوطى ؟ ! بل أى عبرات تلك التي سكبوها على « عبراته » سكباً ؟

لقد تفرحت جفونهم من الدمع ، ولقد مهدوا لآلامهم أن تخرج بتلك الآلام التي حملها كاتبنا الأشهر كواهل الأبطال في قصصه ، وكواهل الصفحات في « نظراته » .

ولقد راحوا بعدئذ يتساءلون : كيف رضى هذا القلم الجبار أن يقنع بالصور المظلمة من هذه الدنيا ، وأن يدفع عن نفسه كل جانب مشرق بسام ؟

ولكن : قليلاً من الأناة أيها الذين ذرقتم الدمع كلما قرأتم شيئاً لكاتبنا العظيم . إنه كان يسترسل في كتاباته على سياق نفسه ، وعلى ما توحى إليه عواطفه الخاصة ، وأحاسيسه الرقيقة ، ومشاعره التي بدق فيها كل حس، حتى لتكون الهمة والأناة، حين تصدر عن وجدانه ، حاضرة داوية ، وريحاً صرصراً طائفة .

كان يأخذ أسلوبه عن عاطفته فحسب ، فكان هذا الأسلوب السهل اللين صورة من الدمة التي تنحدر في أناء ، بينما هي جماع النار والالأم، جماع الحرارة والفجيرة، جماع المأساة والعنف؛ وكان هذا « الموضوع » الذي يتخيره دائماً ، موضوع اليأس الكامل ، لأن اليأس كنهراً ما خلق

الزوبعة في النفس ، وكثيراً ما أتاح الصخب للحس ، وكثيراً ما دفع المعركة بين الحياة والموت إلى كل وجدان .

فهل كان المنفلوطي بئساً حقاً ؟ وهل كان أسلوبه صورة من عواطفه ؟ وهل كان المنفلوطي رجلاً من رجال التأميم ، وبقية من زمرة المنجمين ، حتى يتفق له هذا التفاضل إلى دغائل المشاعر الدقيقة التي تحتضنها نفوس الناس ، وتضن بها على البذل ، وتحرص عليها من لؤثة الشيوخ ، وتخترنها خوف الذبوع ؟

أجل ! إنه كان بئساً ، ولكنه لم يكن من أولئك الذين اخترمت بصيرتهم حجب الغيب ، وإنما كان من هؤلاء الذين تسبح نظراتهم في مجرى عواطفهم . . . فهو يحس ، ويدق فيه الاحساس والشعور ، حتى ليسمع أنه المصدور في فجوة الأرض ، كما يسمع صرخة التائه على الأديم القسيح . إنه لم يكن من أولئك الذين احتملهم سحر الأحجية والتعاطيد ، وإنما كان رجلاً يعني بأوضاع نفسه وألوان حياته . . . لأنه يؤمن ملء قلبه أن هذه الأوضاع وتلك الألوان ، لها في كل جانب من الدنيا نظير مستور وشبيه مقبور .

وإذا كان « المنفلوطي » قد مهد للبائسين سبيلاً إلى الصبر ، ووسيلة إلى التعلل ، وناحية من نواحي السلوان ، فإن حياته في مستهلها هي التي أتاح لصوته أن يكون نافذ النيران ، قوى الأداء ، سليم التوقيع ، رائع النغم ، داوياً حين يدوى ، هادئاً حين يريد الهدوء ، ساكناً حين يشاء صاحبه أن يكون ساكناً ، حافلاً بالدعة والمرح والايناس !  
خصائص رسالته . . .

لقد نجح المنفلوطي في أداء رسالته الحقة نجاحاً منقطع النظير ، فإليه وحده يعود ابتكار الأسلوب الجزل السهل الممتنع الجذاب ، وإليه وحده يعود توجيه النثر العربي في العهد الحديث توجيهاً فنياً متراً طليقاً من شوائب السكينة والحي والمهاترة والاستخذاء والجود والركود ، وإليه وحده يعود الفضل الحافل في تمزيق آخر صفحة من صفحات الركافة ، التي كانت جماع ما يبلو النقاد في كتابنا الذين جمعوا بين رقدة القرن التاسع عشر ، ونهضة القرن العشرين . إلى كاتبنا وحده تعود هذه الفضائل ، وليست هي كل ما تميز به على ما فيها من عظمة كل العظمة ، وعلى ما فيها من رواء كل الرواء ، فقد تميز الرجل بخصائص الرجل الكامل ، هذه الخصائص التي قلما يستطيع أحد أن يجمعها إلى نفسه جملة واحدة ، وحشداً واحداً .  
وإنه ليقمن بنا أن نطلق الضوء على هذه الخصائص ، فنحصرها أول الأمر ، ثم نعقب على هذا الاحصاء بتحقيق دقيق لأثرها عليه ، وأثرها على قرائه ، وأثرها بعدئذ على الأدب العربي ، (١) أسلوباً وتفكيراً .

إيمان ويقين . . .

وما من ريب في أن بدلاء هذه الخصائص ، إنما هي إيمان المنفلوطي إيماناً هو فوق اليقين ،

(١) أرجأنا بحث هذه النقطة إلى فرصة أخرى .



وفوق الصراحة الحاسمة بما يصدر عن قلمه ، وما ينتج عن براعته . ولكي تدرك مبلغ ما في هذه الخاصة من روعة ، ومقدار ما تتمهده من خطر ، يجدر بنا أن نحدثك بأن جمهرة من كتبتنا كثيراً ما يوزعون في رسائلهم أفكاراً متحدثة لا يستطيع أحد منهم أن يستطيعها لنفسه ، أو ينشدها لحياته الخاصة ، كأن يلج أحدهم - مثلاً - في طلب الحرية للنساء ، وحرية سور . وحرية التمتع بالحق المدني كاملاً غير منقوص ، حتى إذا دعى مع زوجه إلى حجر مشهود ، تألب على الداعين ، ونهض إلى آذانهم بقرع فيها احتجاجه الصارخ قرعاً ، لأمهم ذهبوا في الزرابة بتقاليد بيته مذهبا لا قبل له باحتماله ، ولا مفر له من أن يحتج عليه احتجاجاً شديداً .

ولكن المنفلوطي كان لا يرسل الفكرة في رسائله إلا بعد أن يؤمن بها أعمق الإيمان ، وأخلص الإيمان ، فهو إذن رجل صادق الوحي ، صادق التقدير لعواطفه ، صادق الود لنفسه ، صادق الوفاء لزمائمه وخوالمه وهواجسه جميعاً .  
سلطانه على قرائه . . .

وإلى هذه الخاصة - على خطرهما - تستقبلك في المنفلوطي خاصة أخرى . ليست بأقل حسراً ، ولا بأهون شأنًا ، تلك هي عنايته بإيقاظ الجماهير على ما فيهم من : تناقض في المدارك ، وتباين في الطبقات ، واختلاف في الثقافة ، وتفاوت في التهذيب . . . وهذه العناية منه كانت في الواقع نعمة ما تقي الرجل ، وأخلد ما خلف بين الناس ، لأنها من نوع قلما يستطيعه إلا كثرون . كانت « نظرات » المنفلوطي ، وكانت « عبراته » . وكانت هذه القصص التي ترجها ، كان هذا كله يدفع إلى الجماهير ، فيقرأه الرجل المثقف على أنه هدية لا يتأتى نيلها إلا لرجل مثقف . ويقرأ التلميذ الناشئ على أنه خير ما يستطيع أن يفهم ويدرك خباياه ، ويقرأه العامل ونصف المتعلم على أنه رسالة لها على المشاعر سلطان قوى ، ولها في الوجدان نفوذ غير محدود .

أولئك جميعاً - المثقف ، والناشئ ، والعامل ، ونصف المتعلم - قد فهموا « المنفلوطي » له بعمق ، ولم يحتووه ، ولم يثقلهم حديثه ، أو تفتح كواهلهم آياته . . . فأى سحر في هذا الرجل ؟ بل أى سحر في أسلوبه حتى قدر له أن يطمئن إلى إعجاب الناس جميعاً ؟ الواقع أن روح الرجل كانت تخلف على رسائله ثوباً من الصدق . وأن حياته الخاصة - بما فيها من كفاف - قد حققت لرسائله أسلوب الدقة . ومهدت لها طريق الذبوع ، وفتحتها عما يشبه شذى الأزهار وعبق الورود .

والواقع أن هذه البساطة في كل شيء . قد مكنت للرجل أن يكون هادئ الأعصاب ، بعيداً عن شهوات النفس : كالخقد والحسد والموجدة والثورة والحمود . . . الخ : فهو إذن يلبس منطق السليم ، ويحابه الذوق السليم ، وله من منطق ما يزيد في وجهة آرائه ، وله من دونه - بعد هذا كله - ما يريد في أسلوبه روعة ، وفي معانيه دقة !

والواقع أن أسلوب « المنعوطى » كان أسلوب الرجل دى العواطف الدقيقة . لاثتم فيه الجاذبية التى لا تقاى إلا من موسيقى رائعه ، ومن موسيقى برع . . . ففى هذ الأسلوب حدود نكد تشبه حدود الشمر الملقى . وفيه توفيق يكاد يشمل ما فى لغات المغارب الصدايح من توجع مزين ، وتوس مبرقش . وتقلب رشيق ، وحانة لا تقع حين استقرارها إلا على قلوب السامعين .  
فهم دقيق ...

وإن هاتين الخاصيتين - على ما فيهما من خطر أيضا - تستقبلك فى المنعوطى خاصة أخرى هى فهمه لما يدق على لطائره أن يفهموه . ففى قصة « الشاعر » ، وفى « ماجدولين » ، وفى « انصحية » ، وفى « الانتقام » ، وفى « القصيدة » ، وفى « عبراته » أيضا ، فى هذه القصص مواقف غريبة عن جو الرجل الأزهري . بل هى غريبة عن جو المصريين ؛ ولكن المنعوطى حين أدرك هذه القصص ليمضيها إلى قراء العربية موشاة بقلمه الفارح . لم يكن من شأنه أن يدع ما يطلق القاصون عليه « عقدة القصة » ، وأن يترك هذه « العقدة » ، ويورعها توريعاً لاحقاً فيه . . . وإنما استطاع فى كثير من السهولة ، أن يترجم العواطف التى جمعها هذه القصص جمعاً ، وأن يكون فى ترجمته لها غير متبدل . وغير مسوق لشيء من انتهى . أو شيء آخر من التعقيد .  
وحى العاطفة ...

وإن هاتين الخاصتين الثلاث - على ما فيها جميعاً من خطر - تستقبلك فى المنعوطى خاصة أخرى ، هى حيوة إن وحى عواطفه ، دون أن يكون متحرراً بأسلوبه القيم . وفرد الدائع . وصيته البعيد . دون أن يكون مهرجاً ، أو مهوشاً . أو متاعاً لرغبة السوق . وأطرح لورافس : ذلك أنه لم يترجم قصة تناقص عواطفه ، ولم يؤلف قصة تناقص عواطفه أيضاً . ففى « اشاعر » ، رجل شقى هو « سيرانو دى برجرالك » ، وفى « ماجدولين » رجل يأس نأس هو « استمن » . وفى « اليتيم » . وهى قصة مؤلعة . إنسان جعلت المصائب على كاهله . وفى أشقات الأقاصيص التى ألفها أبطال فى الحق . أبطال البائسين . حرت بأبائهم يراعه المنعوطى القادرة ، تسحت لهم دموعاً ، وهى دموعه ، وبقت لهم دكراً هو ذكره . ولو لم يكن كاتباً يساير عواطفه حقاً . أما كان من حيره أن يصطنع بقلمه وجوهاً . هذه الوجوه القاتمة . وأن يطرق أبواباً غير هذه الأبواب الثقيلة الراسخ ؟

أثر خصائصه

ما كيف ثرت هذه الخصائص فى الناس . فما تحسب أن أحداً يسكر على المنعوطى أنه جرب أسباب الخلد كنهه . فما تزال كتبه ذائعة لها رواجها ولها انتشارها الدائم . مما لم تر له شبيه فى مصر . بل فى الشرق كله . وما تزال كلماته حلية الرسائل . بل ما تزال ثروة للمقتبسين . وما تزال آراؤه فى الآراء الحديثة البكر . وسيمضى عليها الزمن حقمة إثر حقبة دون أن يحبوا صوته إلا الألاء . ودون أن يهزل هيكلها القوى البناء .



## حياته في بيته

وإذا نحن بحثنا هذه الخصائص كلها على ضوء حياته الخاصة . تمثلت لنا روح الألفة بين رجل وبين إنتاجه ... ذلك أنه كان يعيش في بيته سرى العاطفة ، إذا تقطعت أساريره فلن تنسب إلا للحدث الفادح ، وإذا انفرجت هذه الأسارير ، فلن تنفرج لما يستقبل من نفع مادي .  
وبما تفرح لما ينشرح له صدره حين يقضى حاجة معوز ، أو يدفع عن واحد من أضيائه ذي .  
فما الساطة في العيش ، وأما التألب على الأناقة والبهرج والخرف ، فقد كانا جبراً في حياته الخاصة من صفات .

## كيف كان يكتب ؟

كان الرجل حين يريد أن يكتب لا يقتنع بنات الخير . ولا بنات القريض . بالروضة بساتين . ولا بالكأس المترعة ، ولا بالأكلة الدسمة ، ولا بالمشاهد الرائعة ... وإنما كان ينسج لمعنى البكر ، والكلمة البكر ، بهذه الجلسة المتواضعة على السرير ، بينما يرقد أمامه إريق من الشاي !

## حياته وأسلوبه صورة من عاطفته

هي إذن حياة سهلة تشبه أسلوبه السهل ، أو أسلوب سهل يشبه حياته السهلة . ويمثل عاطفته ووجدانه أصدق تمثيل وهو إذن حياة سرية بالعواطف الخيرة تشبه أسلوبه السري بالعواطف الخيرة . فكانت هذه الحياة مثار إعجاب وتقدير ، كما كان هذا الأسلوب مثار إعجاب وتقدير . وإذا كانت هذه الحياة قد أثرت على صاحبها في شيء ، فالحق أن لها أثراً باقياً لا يبيد . هو أن « مسوطي » لم يجد له في حياته عدواً أمعن له في العداء . وأطنب في إيذائه والتألب عليه . وإذا أنت علمت أن كاتبنا النابه قد لقي في حياته من بهاة الذكر . ما يوفر له حشداً من الحاسدين ، وجمعاً من الناقدين المفرضين ...

وإذا أنت علمت أن الحسد « الأدبي » كثيراً ما يولد الصغينة الشخصية اللاذقة اعترقه وإذا أنت علمت أن المنفلوطي لم يلق في حياته وبعد موته من يقول عليه . أو يدفع إليه كلمة نائية ، أو حديثاً جافياً ...

إذا أنت علمت ذلك كله . أدركت في شيء من السهولة . أن الرجل كان يصدر عن عواطفه . وسنوجيب ويعمل في ظلها ، ومن ثم يتحقق لك : أن أدب المنفلوطي كان كمنفلوطي نفسه . مورد من عواطفه الخاصة ، وأن رسالة المنفلوطي رسالة صادقة حققة . هي خلاصة ما أوحى به عاطفته الخاصة .

ولهذا عاش من غير سر يفصح ، ومات كما عاش محفوقاً بالتوقير والتقدير .

عبد العزيز الإسلامبولي

# الشعر الجاهلي

## تأثيره ومزلة رجاؤه

بقلم الاستاذ السباعي السباعي يومي

المدرس بدار العلوم

لقد كان لشعر الجاهلي في العرب تأثير ما أبلغه من تأثير ، ولرجاله بينهم مكانة ما رفعت من مكانة ، ذلك أنهم كانوا ذوي فطر سليمة - ونفوس حساسة ، وكان الشعر طبيعة فيهم . تتجلى منهم بالدم واللحم ، لا يزالون يقولونه ، ويستوحون سماءه . فينقادون لحياته . ويخضعون لأحكامه .

وكان للشعراء عليهم نفوذ وسلطان . لا يقل شأه عن نفوذ الصحف السيارة الآن في الأفراد والجماعات . فكانت كل قبيلة تفتبط بكثرة شعرائها . وتختير من بينهم أقواها حجاً . وبلغهم قولاً . ليكون المشيد بحساسنها ومفاخرها . الداب عن أحسابها وعراضها . ولقد أثر في أن القبيلة كانت إذا بيع فيها شاعر . أتت القبائل الأخرى لتنهئتها . فصنعت الأصمعة . ومند الموائد . وتباشر الرجال والولدان ، واحتشمت النساء يلعلن بالميزاهر . كما يصغر في الأمر . ولشدة ما كان للشعر من تأثير . جاوز فيه المطلق ، وتعدى المعقول ، نسبت له العرب الجن ، وسمت الشعراء بالساحرين ، قال رؤبة :

لقد خشيت أن تكون ساحراً واوية صراً وصرأ شاعراً

ففي كل باب من أبوابه ، كان يبلغ الشاعر ما لا يبلغ غيره : إذا سب رفق القوب تقسية . واستنزل العصم العاصية ، وإذا وصف رأسك ما لم تره كأنه المرئي . وقد يكون تمثيلاً لا يشبه إلا إلى الخيال والتصوير ، وإذا رثى ثار الشجون . وحرك مكانم الذكريات . فإذا ما طر بالحماسة والاستبسال . وهذا أكثر ما يكون - حبيب إلى الحباء افتال ، وأرحص الموتى معنى الحياة . قال معاوية بن أبي سفيان : اجعلوا الشعر أكبر همكم . وأكثر دبركم . سه رأيتني ليلة الهريز نصفين . وقد تبت بفر من غير محمل ، بعيد البطل من الأرض . وأنا ربه لهرب لشدة البوى . فما حملني على الإقامة إلا أبيات عمرو بن الأظفانية :

أبت لي همتي ولى بلائى وأخذى الحمد بالثمن الريح

وإقحامى على المكروه نفسى وضربى هامة البطل المشيح



وقوى كلما جشأت وجاشت مكانك تحدى أو تستريحي  
لادفع عن مآثر صالحات وأحرى بعد عرض صحیح  
وابن الاطنابة من شعراء الخزرج الجاهليين.

أما شعراء المدح والهجاء . فقد كانوا شقاء قوامهم . وسوم أعدائهم . لا يزالون لقبائلهم  
عمون سلطانها ، ويرفعون بنيانها . فيذبون عن حياضها ، ويدافعون عن وردها . وأمر  
هم لقنات بشعرائها كثير الحوادث . مروى الأحبار . فلا حاجة إلى الحوض فيه ، ولكن  
بى ريدته قوى حجة في تأثير الشعر : أن الشاعر كان إذا تعرض لقبيلة بهجاء ، وفيها من  
شعره من يخشى لسانه . ويتقى هجومه . لم يكمام قبيلته . في دفع ما تحذر . إلا حمله إلى من  
غرة مبرئة منه . مسامة فيه . وهد ما حدث حين هجا عبد الله بن الزبير السهم بن قصي .  
فدحه السهميون إلى عتة بن ربيعة خوف هجاء الزبير بن عبد المطلب . وكان شاعراً شديداً  
لخدمة قذع الهجاء . فلما وصل عبد الله إليهم أطلقه حمرة بن عبد المطلب وكساه . فقال  
عبد الله غير مستنكر ما فعلت عشيرته :

لعمرك ما حاءت بكر عشيرتي وإن صالحت إخوانها لا ألومها  
فان قصياً أهل محمد وعزة وأهل فعال لا يرام قديمها  
وكان الزبير غائباً بالطائف . فلما حضر مكة وعلم الخبر قال :

قلولا نحن لم يلبس رجال ثياب أعزة حتى يموتوا  
ثيابهم سمال أو طمار بها ودك كما دسم الحيت -  
ولكننا خلقنا إذ خلقنا لنا الخبرات والمسك الفتيت

وكان لشاعر إذا رضى لنفسه أن يتجاوز مدحه وهجائه قبيلته وأعداءها . نطلعت إليه  
سائر الأحرى ، فأخذت تقربه رجاء مدحه فيها وهجائه لسايرها . كما كان من الحضيئة . وقد  
استنصاه الزبرقان بن بدر من بى هذلة . وقصرت امرئته في إكرامه وهو غائب . فأخذته  
نمير بن عامر من آل لاي بن سماس . وبالف في إكرامه مراعاة للزبرقان ، فكان خير ما قال  
لحبيبة من شعر في هذين الحين هجاء ومدحاً . قال بهجو ويمدح في ان . والقبيلان  
أبا أخوين :

ولما أن أتيتكم أيتم وشر مواطن الحسب الآباء  
ولما أن أتيتهم حوئي وفيكم كان لو شئتم حباء  
ولما أن مدحت القوم قلمت هجوت ، وهل يحل لي الهجاء ؟  
فنه أشتم لكم حسبة ، ولكن حدوت بحيث يستمع الحداء  
فأبقوا لا أبالكم . عليهم فان ملامة المولى شقاء

وإني أباكم الأدنى أبوكم وإن صدورهم منكم يراه  
ولولا أن هذه الحادثة في حضرة الخطيئة ، لأتينا من أشعاره فيها بالكثير .  
هذا إلى أن التحاسد على الشعراء لم يك قاصراً على القبائل ، بل تعداها إلى الملوك . وهذا  
العمى بن المندر ملك الحيرة ، تبصر كيف كان احتذابه للنابغة يمدحه ويمدح آل بيته . وكبر  
حسده عليه الفساسنة ملوك الشام ، فأعظموا حباه حتى مدحهم . ثم كيف كان غصب اسمعيل عليه  
لهذا الاعتراف غصباً سارت باعتقادات النابغة من أجله الأمثال ، ومع هذا لم ينل من شعر  
رصاً . لأن الشركة في هذا الباب بين متناظرين ليست مما يطاق ، ولو أردنا لهذا صرب الأمان  
لكان ديوان النابغة جله نماذج لما نقول .

ومن غريب تأثير الشعر إذ ذاك . أن الشاعر كان إذا وصم سيداً بهجاء لم يجد من يمس  
عنه ذلك إلا هذا الشاعر نفسه . ذكروا أن بشر بن أبي خازم الأسدي حمل على حماد بن  
ابن حارثة بن لأم الطائي فهجاء بأشعار كثيرة . منها قوله :

الا بُلغ بنى لأم رسولا      فبئس محل راحلة العريب  
إذا عقدوا الجار أخفروه      كما غر الرشاء من الذنوب  
وما أوس ولو سودتوه      بمخشي العرام ولا أريب  
أنوعدي بقومك يا ابن سعدى      وذلك من ممات الخطوب  
وحول من بنى أسد عديد      من بين شبان وشيب  
إذا ما شمرت حرب سمونا      سمو البرل في العطن الرحيب

والقصيدة طويلة ، ثم وقع بشر أسيراً عند بنى نبهان من طيء . فاشتراه أوس ثمانى مئة .  
ولما أخذه قال له : هو تنى ظالماً ، فاحتر بين قطع لسانك وحبسك في سرب حتى تموت . و  
فجع يديك ورجليك وتحلية سبيلك . هكذا ذكر الرواة ، ولكن رأيت : أن استقامته . . .  
تقتضى قرن التحلية بقطع اللسان . حيث لا خوف منها . وجعل الحبس مع تقطيع اليدين  
والرحلين حتى لا يقول . فسمعت أمه . . . وهى بسعدى بنت حصن من سادات طيء . . . فو  
اسمها هذ الشعر . فقالت له : يا بني . لقد مات بؤك فرجوتك لقومك عامة ، فأصحت و  
لا أرحوك لمساك حاصة . أدعت أنت قاطع رجلا هجرك . فمن يحو إذن ما قال فيك ؟ قال  
ما أصعب له ؟ قالت : تكسوه حلتك ، وتحمله على راحلتك . وتأمرك له بمائة ناقة حتى يمس  
مدحه حماده ، فعص . فامتدحه بشر فأكثر . قال أبو محمد الأخفش : «مدح بشر أوساً وهو  
بنته مكان كل قصيدة هجاء بها قصيدة . وكان هجاء يحسم فمدحهم بخمس » ، فن مدحه بها  
قوله من قصيدة ( والخطاب للناقة ) :

إلى أوس بن حارثة بن لأم      لربك فاعمل إن لم تخاف



فأصدع بحجة أو بشرج على زلق زوالق ذي كهاف  
 تزل اللقوة الشفواء عنها غالبها كأطراف الأشاف  
 بأحرز موثلا من جار أوس إذا ما ضيم جيران الضعاف  
 وما ليث بعثر في غريف تغنيه البعوض على الطناف  
 مغب ما يزال على أكيل ينأى الشمس ليس بغى عفاف  
 بأبأس سورة بالقرن منه إذا دعيت نزال لدى النفاف  
 وما أوس بن حارثة بن لام بغمر في الأمور ولا مضاف  
 ومن ذلك ما كان من حسان بن ثابت في ر عبد المطلب ، إذ هاجم ناسفة أحسامه  
 وكانوا يفخرون بها ، فقال :

لا بأس بالقوم من ضول ومن غطف جسم البغال وأحلام لعصابير  
 وبروا يخجون من نسبه حتى بما ذلك عنهم بقوله :

وقد كنا نقول إذا التقينا بذى جسم يعد وذى بيان  
 كأنت أيها المعص لساة وحسما من بى عبد المطلب  
 وغرب ما تقدم في تأثير الشعر . ن الشاعر كان إذا تعرض لبابه أثره من دروته . وإذا  
 مدح حملا رفعة من وهنته . فمن قضى شعر على مكانتهم : الربيع بن ريد . وكان من حوص  
 التمهان ، لا يزال ينادمه ويؤاكله ، حتى إذا ما سمع فيه أرجوزة ليبد :  
 « مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه »

ويوم إفداع عرس عمه . فقال الربيع : بيت الأمن أيها الملك كذب العلام ، والحد في الاعتدار  
 لم يصنع التمهان إليه ، وقال :

قد قين ما قين إن صدقا وإن كذبا فما اعتدارك من قول إذا قيدا  
 ثم حجه . فسقطت مراثيه . ومن رفعهم - بعد خمول الخلق السكالي . وكان مملقا كثير  
 . . . . . قد رغب عن مصاهرتة الأرواح . فأشارت عليه امرأته أن يصيف الأعشى وهو  
 . . . . . في كرمه . فبذلك ليقول فيه قولاً ترويح منه بناته . وحسن حاله . فمعهم .  
 . . . . . الأعشى لمكط . نشد غافيته المشهورة التي يقول فيها فيما نحن نصدده .

نفى الدم عن رخص الخلق حفنة كحماية الشبيح لعراى نهى  
 ترى القوم فيها شارعين وبينهم مع القوم ولدان من السن دردن  
 لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار اليماع تعرف  
 تشب لمقرودين يصطليانها وبات على النار الندى والمخلق  
 رضيمى لبان ندى أم تحالفا بأسحم داج عوض لا تنفرق

فرى الجودى بحرى ظاهراً فوق وجهه كما زان متن الهندوانى رونق  
فما أتم القصيدة إلا والناس يتسللون إلى المخلق ، يهنتونه ويخطبون إليه بناته ، فم نفس  
واحدة منهم إلا فى عصمة رجل بين الفضل على أبيها ، وهذا من التأثير السحري للشعر .  
بل لقد بلغ من تأثيره أنه كان بيت واحد يجعل مفخرة القبيلة مسبة ، ومسبتها مفخرة .  
حدثوا أن بنى المحلان كانوا يفخرون بهذا الاسم لأبيهم ، لما روى من أنه لقب به ، لتعجبه  
قرى الأضياف ، فما هجاء النحاشى بأبياته التى يقول فيها :  
وما سعى المحلان إلا لقولهم خذ القمب واحلب أيا العبد واعجل  
صاروا يستحيون منه . وعلى غير هذا كان بنو أنف الناقة . يتجولون من هذا القبلى ويتخاوروه  
فى نسبهم ، حتى قال الخطيئة :  
قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الدنيا ؟  
فصاروا يتناولون به ويمدون أصواتهم فيه بجمهرة .

\*\*\*

فالشعر فى تأثيره كان كما قيل فيه :  
يرى حكمة ما فيه وهو فكاهة ويقضى بما يقضى به وهو ظالم  
وقديماً تنافر عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة إلى هرم بن قطيعة ، فسوى فى الحكم بينهما .  
ولكن الأعشى قال :  
علقم ما أنت إلى عامر الناقض الأوتار والوتر  
إن تسد الخوص فلم تصدكم و عامر ساد بنى عامر  
إلى آخر ما قال . فنفر الناس عامراً بهذا الشعر ، ولم يأبهوا إلى ما كان من تسوية الحكم  
بينهما .

\*\*\*

هذا بعض ما كان للشعر من تأثير فى العهد الجاهلى ، ومنه كان الشعراء ذوى منزلة ترجى  
وترغب ، كما تخاف وترهب ، فلا يزالون يستخدمون فى الوعيد والاغراء ، ويستعان بهم فى  
الاستعطاف والاستشفاع ؛ فقد أغرى أوس بن حجر النعمان بن المنذر على بنى حنيفة فنكر  
بهم ، واستشفع علقمة الفحل الحارث الفسائى فى أخيه شاس وتسعين أسيراً معه من تميم فأطلقهم  
له جميعاً ، وكذلك كان شأنه وأشد بعد الاسلام ، ولكن ليس هنا مجال القول فيه .

السباعى السباعى يوى  
المدرس بدار العلوم

# نثر أبي الفرج البغاء

بقلم الدكتور ذكي مبارك

١ - يمتاز نثر البغاء بعدة ميزات : أظهرها أنه يمثل عصره من الوجهة الفنية ، ويمثل كاتب في ميوله الذوقية والوجدانية ، فهو من جهة الصورة نثر مسجوع تغلب عليه القطرة حباً وبسوده التكلف أحياناً ، وهو من جهة الموضوع يتصل في أكثر بواحيه بما يعس كاتب من حيث هو رجل مودات ومجاملات ، وقل أن يمثل صاحبه رجل فكرة اجتماعية ونفسية . على نحو ما نجد عند بعض كتاب القرن الرابع ، ولذلك قرأ نثر البغاء في طمأنينة وسكون تراهي 'مام خيالنا أشباح المشا كل الطريفة التي تشغل بال الرجل المهذب الذي يحرم من مجامع الأوداء والأصدقاء والرؤساء . بدون أن يعنى كثيراً بما تضطرع حوله الأفئدة وتداول في حماء العقول .

٢ - وأول ما يظالنا من نثر البغاء هو رسائله الأخوانية ، كما كان يعبر القدماء ، وهي الرسائل التي بث فيها شوقه إلى أصحابه وألافه وأخذانه ، بطريقة وجدانية تقرب في روحها من قسائد النسيب ، كأن يقول :

« شوق المملوك إليه شوق الظلمآن إلى القطر ، والسارى إلى غرة الفجر » (١) .  
أو يقول :

« شوق إليه شوق من فقد بالسكره سكنه ، وفارق بالضرورة وطنه » (١) .  
وقد يحاول تمليل صبره على بعد مودوده فيقول :

« ولولا أن المملوك محمد نار الاشتياق ، ويبرد أوار القراق ، بالتخيل الممثل لمن نأت عنه . وتمكر المصور لمن بعدت شقته ، لألهبت أنفاسه ، وأسعرت حواسه ، وهمت دموعه ، واقتضت صوعه ، والله الحمد على ما وفق له من تمازج الأرواح ، عند تباين الأشباح » (١) .  
وله في هذا المعنى الطريف كلمة مستجادة تهش لها النفس ، وتسكن إليها الروح : وانظر كيف يقول في رفق أشبه بتناجى المحبين :

« إن ترأيلت الأشباح ، فقد تواصلت الأرواح ، وإن زححت الأشخاص وبعدت ، فقد دنت لأفئس وتقاربت . فلا تمض الفرقة وتؤلّم ، وتمغنص النوى وتكلم ، وقد يبال بتناجى ضمائر . وتجاوز السرائر ، ما لا تصل إليه الإشارة . ولا تدل عليه العبارة ، إذ الألفس البسيطة أرق مسرى ، وأبعد من الألسنة مرمى » (٢) .

(١) صبح الاعشى ج ٩ ص ١٤٣ (٢) صبح الاعشى ج ٩ ص ١٤٤



ونحن نفهم هذا . فقد نعيش على صلة الأرواح مع أصدقائهم ألفتهم الليالي عيشاً لا نعود في وجوه من نساكنهم ونلاقيهم صباح مساء ، والودود القلوب .

٣ - وفي رسائل البيهق تفسير لبعض الجوانب الاجتماعية . وتأكيده لما عرف عن العرب من بعض الخلال ؛ من ذلك رسالته في التهنية بمولودة : فهي تأكيده لما درج عليه العرب والهنود من بغض البنات ، ولهذا نراه في هذه الرسالة يقف موقف الوعظ لا موقف المهني فيقول :

« لو كان الإنسان متصرفاً في أمره بإرادته ، قادراً على إدراك مشيئته . لبطلت دلائل القدرة ، واستحالت حقائق الصنعة ، ودرست معالم الآمال ، وتساوى الناس بينوع الأحوال . غير أن الأمر لما كان بغير مشيئته مصنوعاً ، وعي ما عنه ظهر في الابتداء مطبوعاً . كان المخرج له إلى الوجود من العدم ، فيما ارتضاه له غير متهم ، ومولانا - يده الله - مع كل فضله ، وتناهي عقله ، وحده فطنته ، وثقوب معرفته ، أجل من أن يجهل مواقع النفع الواردة من الله تعالى عليه ، أو يتسخط مواهبه الصادرة إليه ، فيرمقها بنواضر الكفر . ويسلك بها غير مذاهب الشكر ؛ وقد اتصل بي خبر المولودة كرم الله غرتها ، وأصل مدتها . وعرف مولانا البركة بها ، وبلغه أملها فيها ، وما كان من تفيده عند اتضاح الخبر . ونكر ما اختاره له سابق القدر ، فعجب المملوك من ذلك واستنكره ؛ من مولانا وأذكره . لصين العذر في مثله عليه ، وقد علم مولانا أنهم أقرب إلى القلوب ، وأن الله تعالى بدأ بهم بالترتيب . فجل من قائل « يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور » ، وما سماه الله هبة فهو بالشكر أولى ، وبحسن التقبل أخرى ، ولكم نسب أفدن ، وشرف استحدثن ، من طرق الأصهر . والاتصال بالأخيار ، والملمس من الذكر نجاحته ، لا صورته وولادته . ولكم ذكر الأنبياء أكرم منه طبعاً ، وأظهر منه قعماً ، فلو لا ما يصور الحال بصورتها ، ويجدد الشكرى ، وهب منها ، ويستأنف الاعتراف له تعالى عما هو الأشبه بصيرته . والأولى بمثله . إن شاء الله تعالى » .

ويظهر أن هذا النوع من التهانى كان من الموضوعات الملحوظة في القرن الرابع . فقد عقد له الحصرى فصلاً في زهر الآداب ، ومن طريف ما جاء فيه تفصيلاً للأشئ على الذكر قول بعض الكتاب :

« الدنيا مؤنثة والرجال يخدمونها . والنار مؤنثة والذكور يعبدونها . والأرض مؤنثة ومسا خلقت البرية ، وفيها كثرت الذرية . والسماء مؤنثة وقد حليت بالكواكب ، وربيت بالنجوم الثواقب ، والنفس مؤنثة وهى قوام لأبدان . وملاك الحيوان ، والحياة مؤنثة ولولاها لم تتصرف الأجسام ، ولا عرف الأنام ، واللجنة مؤنثة وبها وعد المفقون ، وفيها يعم المرسلون » .

ويتصل بهذا المعنى ما افترحه سيف الدولة على البغدادى من الكتابة إلى من تزوجت أمه، وكل العرب يكرهون أن تزوج أمهاتهم كرهاً شديداً. وقد اتفق لعمر بن مسعود أن سألته عن: كيف تكتب لمن تزوجت أمه؟ (١) وهذا دليل على أن كتاب القرن الثاني كانوا يمدون ذلك من فنون الانشاء، أما في القرن الرابع فكان ذلك الفن ظاهراً أشد الظهور، ونص الكلام عنه مؤلف زهر الآداب: فذكر أن من الحق ما يستحسن تركه، ويستحسن به. وأشار إلى أنه رأى من لا يحضر تزويج كريمة ويولى أمرها غير نفسه، وأنه عرف من تزوجت أمه فعظم لذلك همه، وانفرد عن أودائه، وتوارى عن أصفائه. حياء من دهم، وكرهاً لتهمتهم أو عزائهم، ثم بين نماذج ما يكتب في مثل هذه الحال (٢).

وفي آخره نص رسالة البغدادى التي افترحتها سيف الدولة بن حمدان:

من سلك إليك - أعزك الله - سبيل الانبساط، لم يستوعر مسلماً من المخاطبة فيما عس الاقتباس عن ذكر مثله؛ واتصل بي ما كان من خبر الواجبة الحق عليك، المنسوبة بسبب إليها إليك - وفر الله صيانتها - في اختيارها ما لولا أن الأنفس تتناكره، وشرع بروة يحظره، لسكنت في مثله بالرضا أولى؛ وبالاعتداد بما جده الله في صيانتها أخرى، فلا يستحسن من ذلك ما رضى وجوب الشرع، وحسنه أدب الديانة. ومباح الله أحق أن يسع، ويك أن تكون ممن لما عدم اختياره، تسخط اختيار القدر له، والسلام» (٣). ولا يموتنا أن نذكر أن البغدادى تأثر في رسالته هذه خطوات ابن العميد في نفس الغرض، ولكن رسالة ابن العميد أكثر وحشية، وأدل على كره العرب لتزوج الأمهات، وأى وحشية نحن ونغظ من أن يخاطب من تزوجت أمه بمثل هذه اللهجة فيقول:

«وهناك الله الذى شرح لتقوى صدرك، ووسع في البوى صبرك، ما أهلك من التسليم شيبته، والرضا بقضيته... وجعل الله تعالى حده ما تجرعه من أنف، وكظمته من أسف، ممدوداً يعظم الله عليه أحرك، ويجزل به ذخرك. وقرن بالحاضر من امتعاضك لعمليها المنتظر من الرغصا لدفعها (١) وعوضك من أسرة فرشها، أعواد نعشها. وجعل ما ينعم عليك من عده من نعمة، معرى من تقمة، وما يولييك بعد قبضها من منحة. مبرءاً من محنة» (٥). ونحن حين نصف ذلك بالوحشية متأثرون بروح العصر الذى نعيش فيه، ولو خلونا إلى فسرنا رأينا ابن العميد يعبر عن نوازع إنسانية، ولا نقول شرقية، لأن الفيرة على الأمهات غيرة فطرية لا يسل منها إنسان ولا حيوان. فلنقف عند تدوين ما يدل عليه الأدب من مظاهر الاحتجاج والأخلاق وقفة التراحم والحياد. وما حصصنا العرب والهنود بكره البنات

١ - مسج الاعشى ص ١٤٥ ح ١ (٢) زهر الآداب ص ٦٣، ٦٤ ج ٢ الطبعة الثانية (٣) مسج الاعشى ص ١٩ ص ٧٩ (٤) الارتعاش: الجزء (٥) زهر الآداب ج ٢ ص ٦٣

إلا لظهور ذلك في أدبهم ظهوراً قوياً (١) ، وإلا فقد استجبونا الناس من جميع الأجناس فرأيانهم يؤثران البنين على البنات ، وما نحن على الفطرة الانسانية بمسيطرين .

٤ - ومن النواحي الطريفة في نثر البيهقي رسائله في استهداء الشراب ، وكان هذا الغرض الكتابة مما يؤثره كتاب لقرن الرابع ، ولهم فيه فقرات حسان تدل على فتوة القلوب . وشب الأرواح ، وفي طي ذلك الاستهداء معنى لطيف ، فقد كان المستهدى يشير غالباً إلى أن لديه « زائرين أَعْزَاء » ، يسره أن يجمع شملهم حول بساط السلاف ، وقد يوصى إلى أن لديه (محبوباً) أسعده بزيارته ، وأنه يحب أن لا يكون المجلس محروماً من نقعة الصهباء ، وانظر ما يقول أبو الفرج سامحه الله :

« من كان للفصل نسباً ، وله ملك الفتوة قطباً ، لم تفرغ القلوب من الهم إلا إليه . ولم تغل الألقس في استباحة المسار إلا عليه ، وقد طرقني من إخواني من كان الدهر يماطلي ريرته . وينفس (٢) على بقره ومشاهدته ، فصادفتني من المشروب معسراً ، ووجدت الانساق الخماسة من غيرك على متعذراً . وإلى تفضلتك تفرغ مروءتي في الاسعاف منه ما يه شعث الألفة . ويجمع شمل المسرة ، ويجعلنا لك في رق الاعتداد بالمنة ، ويقضى غنى بتفضلك حقوق المودة » (٣) .

وفي المعنى نفسه يقول من كلمة ثانية :

« أطفئ المنز موصفاً ، وأجلها من الأونس موقفاً ، ما عمر أوطان المسرة ، وضرد عوارض الهم والفكرة ، وجمع شمل المودة والألفة ، وأدى إلى اجتناء ثمرة اللذة . وبذخاؤك من مشروب مع هذه الأوصاف ما يسترق حر الشكر ، ويحزق قصب السبق إلى الثناء وجميل الذكر . ورايت أن تنجد بالممكن منه مروءتي ، على قضاء حق من واجب على المنة بزيارتي . فمت » (٤) .

وعلام يدل هذا النوع من الاستهداء ؟ يدل أولاً على أن الشراب كان إذ ذاك مما تقر به المروءة - كما يعبر أبو الفرج - في السهرات الأخوانية ، ويدل ثانياً على أن الشراب لم يكن من الكثرة بحيث يجده الراغب حيث شاء ، كما يقع ذلك اليوم في أكثر الحواضر الشرقية . وكان مما يدخره المترفون ، حتى استطعنا أن نرى أكثر الأدباء يستهدونه وينفقون في هذه الرسائل الملاح ، والاستهداء والاستجداء كلمتان متقاربتان في الرسم والنطق والاندول :

(١) بعض العرب للبنات معروف وقد سجله القرآن ، فبعض اليهود للبنات فيكمي في سبه . ومن مؤلف كتيبة ودية : « كان يقال : إن العاقل سم أبوه أصدقه ، والأخوه رفاقه ، والأرواح أصدقه » . وذكرنا « والبنات خفياء » ، والأفرد غرماً ، ووجدت قريداً » (٢) . بعض يفسد (٣) . سبوح لا ينبغي . من ١٢٣ (٤) في هذه انقته شيء من الحق وكل ما بين الكلمتين من الفرق لا يستحق . يكون مما يحتاج إليه المصورون كالطعام ، وأن الاستهداء يكون مما يحتاج إليه المترفون في زيارته . كما وافقنا .



هـ - وهناك استهداء ظرف وأشرف : وهو استهداء الدواة والمداد ، ونحن نعلم قيمة ذلك في نفس الكتاب ، وقد استهدى البيهقي دواة فقال :  
« أنفس الذمائر وأشرف الآمال ، ما كان للفصل نسباً . وللصناعة والحفاوة سبباً ، وبالذوى غنى ثمر الصناعة ، ويحتلب در الكتابة ، وقد أوحش المملوك الدهر مما كنت أقتنيه من قائلهم . وضايقه في وجود الرضى على الحقيقة منها ، فإن رأى مولانا أن يعيط ببعض ما يستخدمه من حالها أو عاطلها سمة عطلة المملوك ، ويسمح بأهدائها إلى أهل تصريفه ، ويقابل بالنجح والتقبل رغبته ، فعل إن شاء الله تعالى » (١) .  
واستهدى مداداً فقال :

« التماس - أيدك الله ١ - في أدوات الكتابة وآلات الصناعة بحسب التفاخر في ظهور لمة . والتخير لبيان الامكان والقدرة ، وإلا فسائر الذوى سواء فيما تصدره الأقلام عنها ، ونستعده بطون الكتب منها ، وأولى آلاتها بأن تتوفر العناية عليه . وينصرف التخير ضرورة إليه ، المداد الذي هو ينبوع الآداب ، وعتاد الكتاب ، ومادة الأفهام ، وشرب الألام . . . . ولا معدل في عن استراحة خزائنك - عمرها الله ١ - الممكن من جوده ، فإن رأيت تستنقذ دواتي من خمول العطلة ، وتزده قلبي عن طمأ الغلة ، وتكشف عنها سمة القعان والخلّة ، فعلت ، إن شاء الله تعالى » (١) .

وللاحظ أن البيهقي لا يستهدى دواة كيف وقعت ، ولا مداداً كيف كان ، وإنما يستهدى دواة ( سيسة ) ، ولو كانت عاطلة ، ويستهدى مداداً ( جيداً ) يره قمه عن طمأ الغلة ، وهذا تمييز يندس عن شعر بليغ . واحتيار الدواة والمداد كان ولا يزال من أوضح الدلائل على أدب الكاتب . وللدواة النفيسة والمداد الجيد تأثير قوى جداً في بعث نشاط الكاتب ، وكذلك تفعل الأفلام الجيدة : وهذا كلام فصلناه في المقدمة الفرنسية التي صدرنا بها ( الرسالة الغراء ) فليرجع إليه القارئ هناك (٢) .

٦ - وقد لاحظنا أن البيهقي يكتب في الموضوع الواحد غير مرة ، وفقاً لظروف ، من ذلك رساله في التهنئة بالزواج (٣) والتهنئة بولاية عمل (٤) والتهنئة بالفدوم من سفر (٥) والتهنئة بالمواسم والأعياد .

وهذا كله طبيعي ومقبول . ولكن لطريف أن يتكرر كلامه في التهنئة بالصرف عن لولاية . فقد تفهم أن يهنأ المرء بولاية عمل ، ولكننا لا تفهم كيف يهنأ بال عزل ، وما نذكر

١١ - نسخ الاعنى ج ٩ ص ١٢١ (٢) وقد روي ان راحه ما أنتهزهر لآداب من ( اوصاف آلال سكبه ولذوى والافلام ) ص ٢٢٩ و ٢٣٠ اطعمة الندية (٣) اثبت له صاحب الصبح اربع رسائل ص ٥٥٠٥٤ ح ٩ (٤) اثبت له مؤلف الصبح ثلاث رسائل ص ٢٢ و ٢٣ ح ٩ (٥) اثبت له اربع رسائل ص ٣٤٠ - ٣٥١

أن يقع ذلك ، ولكنه في رأينا من التكلف المموج . وإن كان يدل على لباقة ودكاء . ولكنه كيف يحتمل البيغاء في مثل هذه الحال :

« من حل محله - أيده الله تعالى ! - من رتب الرياسة والنبل ، كان معظماً في حاله الولاة والعزل . لا يقدح في قدره تغير الأحوال ، ولا ينقله عن موضعه من الفضل ثقل الأعمال . إذ كان استيحاءها للفئات من بركات نظره بحسب أنسها - كان - بما أفادته من محمود ثره »<sup>(١)</sup> .  
« لو كان لمستحدث الأعمال ومستحدث الولايات زيادة على ما احتصت به من كمال الفضل . ومأثور النبل ، لحاذرنا انتقال ذلك بانتقال ما كنت تتولاه بمحمود كفايتك ، وتحولته بواصر زاهتك وصياتك ، . . . . . فالأسف فيما تنظر فيه عليك لا منك . والفائدة فيما تتدبره لا لك ، ولذلك كنت بالصرف مهنئاً مسروراً ، كما كنت في الولاية محموداً مشكوراً »<sup>(٢)</sup> .

٧ - وهذا الاستطراف لا يفارق البيغاء . فقد كتب عدة رسائل في التهنية بالشفاء من المرض ، يدور أكثرها حول معنى واحد : هو أنه يشارك صديقه في العلة والشكوى ، ويجب من ذلك قوله :

« ما كنت أعلم أن طافيتي مقرونة بعافيتك ، ولا سلامتي مضافة لسلامتك ، إلى أن تحققت ذلك من مشاركتي إياك في حالتي الألم والصحة ، والمرض والخلة ، فالحمد لله الذي شرف بسبي بمناسبتك ، وجل خلقي بملاءمتك ، فما ساء وسر ، وإياه تعالى أشكر على ما حصني به من كبر عافيتك ، وسبوغ سلامتك ، وسرعة إقالتك »<sup>(٣)</sup> .  
ولكننا نبتم حين نراه يهني صديقاً بالمرض فيقول :

« في ذكر الله سيدي بهذا العارض - أماطه الله وصرفه ، وجعل صحة الأبد حلقة - ما د على ملاحظته إياه بالعناية ، إيقاظاً له من سنة الغفلة ، إذ كان تعالى لا يذكر بطروق الآلام . وتنبية العظام ، غير الصفوة من عباده . الخيرة من أوليائه ، فهناك الله الفوز بأجر ما يعنيه . وجل عنه بالطفاه ثقل ما يعانيه »<sup>(٤)</sup> .

ولكن لا عجب فالمرض والعزل من الطوارئ التي تحتاج إلى التلطف في المواساة . وإخراجها مخرج التهنية فيه طرفة تغري بالمزاء .

٨ - وقد يتفق للبيغاء أن يكرر العبارات والألفاظ حين يعاود الكتابة في موضوع واحد ، كقوله في التعزية :

« اتصل بي خبر المصيبة : فجدد الحسرة ، وسكب العبرة . وأضرمت الحرقه ، وضاعف اللوعة »<sup>(٥)</sup> .

فإننا نراه يعيد هذه التعابير في كلمة ثانية فيقول :  
« اتصل بي خبر المصيبة : فأضرمت الحسرة ، وسكب العبرة ، وقدح اللوعة . وامترى الدمعة »<sup>(٥)</sup> .

وله في هذا عذره : فان اللغة محدودة . وبعض المعاني يعسر الافتتان في تبوينها أحياناً .  
عن أنه استطاع أن يخفى فقره قليلاً حين قال ( أضرم الحسرة ) : مقابل ( جدد الحسرة ) :  
وقد افدح اللوعة ( مقابل ( أضرم الحرقه ) . وإن كان كرر ( سكب العبرة ) بلفظها في الرسالتين .  
وكذلك كرر المعنى والعبارة في قوله تعزية لصديق :

« حسن الله في العزاء هدايته . وحرس من فتن المصائب بصيرته » ( ١ ) .  
وقوله :

« وحرس يقينك من اعتراض الشبهة ، وأحسن إلى جميل الصبر هدايتك ، وتولى من فتن  
الغن رعايتك » ( ٢ ) .

وبلاحظ مثل ذلك فيما كتب من رسائل الاعتذار ( ٣ ) ، والتهنئة بالمرل الجديد ( ٤ ) .  
وإن كان في هذا يكرر المعاني أكثر مما يكرر الألفاظ .

٩ - لقد ضاعت رسائل البغدادى ولم يبق منها إلا القليل ، وما حفظه منها القلقشندي غير  
موضح بالشعر ، ولكن ما حفظه الثعالبي رصع بالمستجاد من أبياته الحسان ، حتى نجده يترجم  
رسائله فيقول :

[ فصل في بيان غرر من رسائله الموصولة بحسان شعره ]

لهذا نرجح أن يكون القلقشندي اختصر ما اختار من رسائله فأسقط ما وصلت به من  
النثر البليغ ، ورجح أن يكون الغالب على نثره أن يرصع بالشعر على عادة بعض الكتاب  
من شعراء ، وإلى القاريء نموذجاً من رسالة له في مدح سيف الدولة ( ٥ ) :

« لشجاعة أقل دواته . ولإبلاغة أصغر صفاته . يطرق الدهر إذا نطق ، وينطق المجد  
إذا انتحر . فالآمال موقوفة عليه ، والثناء أجمع مصروف إليه . نهض عما قعدت الملوك عن مثله .  
وصف الدهر عن معاناة مثله . بهمم سيفية ، وعزائم علوية . فرد شمل الدين جديداً . وذم  
لأبم حميداً . بحق أوضحه . وحلل أصلحه . وهدى أعاده ، وصالأ أباده .

فلا انزع الله الهدى عز نأسه ولا انزع الله الوغى عز نصره

وأحسن عن حفظ النبي وآله ورعى سوام الدين توفير شكره

فما تدرك المداح أدنى حقوقه بأغراق منظوم الكلام ونثره

لأن أدنى نعمة تستغرق جميع الشكر ، وأيسر منة تموت المبالغة في جميل الذكر . . . الخ » .

١٠ - هذا ولا ننس أن نذكر القاريء بأن فضل البغدادى في رسائله لا يقاس إلى فصله وبراعته  
في نثره المرسل الذي دمج به قصصه الغرامية ، وقد حفظه منها شاهد يمز على من رآه من  
ندي الكتاب قداماً وأسماعهم بياناً ( ٦ ) .



# رأى فرويد فى الأحلام

بقلم الأستاذ حامد عبد القادر  
أستاذ التربية وعلم النفس بكلية أصول الدين

إن رأى فرويد فى الأحلام مرتبط تمام الارتباط برأيه فى اللاشعور أو العقل الباطن ، فلكى تفهم الأول حق الفهم لا بد من فهم الثانى ، ولذا كان لزاماً علينا أن نقص عليك فصر العقل الباطن كما يراه فرويد ، ولو على وجه الاجمال . تاركين التوسع فى بحث هذا الموضوع إلى فرصة أخرى .

يرى فرويد ومن تبعه أن للعقل ثلاث شعب : شعبة ظاهرة أو شعورية ، وأخرى شبه شعورية ، وثالثة باطنة أو لاشعورية (١) .

أما الناحية الشعورية فعنها مكونات العقل فى وقت من الأوقات . أو هى ما يحويه العقل من إدراكات ووجدانات ونزعات ظاهرة يعرفها الانسان ويشعر بها وبآثارها فى حياته لوقته وساعته وأما شبه الشعورية ، فتتكون من إدراكات ورعات كانت من نصيب المرء فى حياته الماضية ، ومع ذلك لا يشعر بها ولا تدخل فى دائرة شعوره الآن ، ولكن من الممكن إحضارها واستدعاؤها إلى حظيرة الشعور عند الحاجة إليها ، أو لسبب من الأسباب . أما الناحية اللاشعورية التى تسمى بالعقل الباطن ، فتتكون من : رغبات ، ومخاوف ، ووجدانات ، ونزعات قامت بالنفس فى الماضى ، ودخلت فى تجارب الانسان فى حياته الماضية . لا سيما فى عهد الطفولة ، ثم قضى عليها القانون الاجتماعى ، وحكمت عليها البيئة وظروف الخارجية بالقمع والكبت والاندثار . فاندثرت من عالم الشعور إلى عالم اللاشعور فصارت نسياً منسياً .

وعلى مر الزمن تنضم إليها رغبات أخرى لا تتحقق ، فتتكون فى العقل الباطن عند أو كتل من الرغبات (٢) والمخاوف . كل منها مكون من رغبات متشابهة ، تظل كامنة مكتومة مدحورة تحت غياهب العقل الباطن ، ولكنها تنهز أية فرصة لمحاولة تحطيم ذلك السجن . والخروج من عالم الخفاء إلى عالم الظهور ، فلا تتمكن من ذلك ، لأن هناك رقيباً (٣) يمنعها من الخروج ؛ ذلك هو العقل الظاهر . والقوانين الاجتماعية . أو رغبة الانسان فى العيش فى بيئته عيشة هدوء وسلام .

[1] Conscious, Subconscious and Unconscious.

[2] Complexes [3] Suppressed [4] Censor.

فاد قوت هذه الرغبات والمخاوف ، ولم تجد لها منفذاً مطلقاً ، تغلبت على الرقيب وخرجت ببرأعه . وتخلصت من القيود والاعلال ، وحطمت كل ما يحول دون تحررها ، وفي هذه الحلة تهر على المرء أعراض الجنون أو المرض العصبي أو الأعمال العقلية الشاذة .

وسكها إذا وجدت لها منفذاً ، ولو بالاحتياط على الرقيب ، سمعت في الخروج بالتحايل رافكبير لسجن ( العقل الباطن ) . ورغبة في الاتصال بالعقل الظاهر والعيش معه عيشة وثام . وخطها على الرقيب يشتد وينجح في أوقات ضعفه أو غفلته عن الرقابة ، أى حينما يخفف ضغط من يقظ ، كما في حالة النوم . وأثناء التنويم المغناطيسى ، والمرضى حينئذ تلبس هذه الرغبات بملابسها . وتتكرر أمام الرقيب ، وتدعى شخصيات غير شخصياتها ، وتخرج إلى الشعور بية بآية أخرى ، كما هي الحال في الأحلام الرمزية . والخيال ، والوجه واقسام الشخصية (١) . وقد تهر كما هي غير مشوهة أثناء التنويم المغناطيسى . وتظهر آثار اللاشعور في الشعور أيضاً : مسير ، وغلظات القلم ، وهفوات اللسان ، والأعمال الشاذة ، والهفوات الاجتماعية ، والذعر من شدة . أو صفار الحيوانات ، أو الأمكنة التي ليس لها منافذ .

في كثير من الأحيان قد تريد عمل شيء ، كوضع خطاب في صندوق البريد ، فتنسى مع سر عرته صادقة على إرسال الخطاب ، وقد تريد أن تكتب اسم شخص فتكتب اسم آخر ، ونون كلمة فتدون غيرها فيتميز المعنى لا عن قصد ، وقد يقوم الانسان في الناس خطيباً يسبق بكلمة بدلاً من أخرى فيؤدى ذلك إلى فهم خلاف المقصود ، وكثيراً ما يفعل الانسان ذلك أثناء المحادثة .

ومن الأعمال الشاذة ما نقل عن الدكتور جنسون الأديب الانجليزى المشهور : أنه كما مر بآخر حشبي لمس بيده كل قائمه من قوائمه بحيث إذا أهمل واحدة عاد فلسها ، ولم يبر ذلك من سبب . ونقل عن بعض الأشخاص أنهم كانوا يولعون بفصل أشياء خاصة مراراً متعمدة في فترات قصيرة مهما كانت نظيفة .

ومن الهفوات الاجتماعية : الميل إلى الاجرام ، وسرقة أشياء حقيرة من نوع خاص (٢) مهما نسبتمها . وقد لوحظ أن السارقين من الأشخاص المحترمين الأغنياء الذين ليسوا في حاجة إلى ما يسرقون ، وإذا سئلوا في ذلك عجزوا عن الجواب .

ومن مسائل الذعر ما نقل عن بعض الجنود الأقوياء الشجعان الذين مارسوا القتال ، وقسو ما قاسوا في الخنادق أثناء الحرب العظمى أياما وليالي - أنهم بعد عودتهم من ساحات القتال ، كانوا يخافون الحيوانات الحقيرة كالآرنب والفار والحصار . وأن بعضهم كان يخاف حمة حوة مريماً ، وإذا سألت أحدهم عن السبب أحذه الخزي ولأم نفسه على هذا السلوك للشاذ الذي لم يدركه من سبب .

فهذه الأمور وما أشبهها كانت تفسر في الزمن الماضي بأنها أعمال شاذة يرجع بعضها إلى التعب . وبعضها إلى المرض ، والبعض الآخر يهمل شأنه ، ويدخل تحت الأعمال الشاذة . ليست خاضعة لقوانين علم النفس .

أما الآن فقد توصل علماء علم النفس التحليلي (١) -وهو لا يزال على أبواب البحث- إلى أن هذه الأعمال ليست شاذة لا يمكن تحليلها . ولكنها هي الأخرى خاضعة لقانون آخر هو قانون العقل الباطن . وقد أصبح من الممكن تفسير كثير من هذه الحوادث تفسيراً عميقاً بفرض وجود العقل الباطن .

وقد اضطر الأطباء النفسيون لدراسة العقل الباطن ، ومعرفة ما فيه من مخوف ورغبت وعقد رغبات ، لتعرف أسباب الأمراض العصبية وعلاجها ، وقد وجدوا أن الوصول إلى أسباب الخوف يذهب ، وأن معرفة الرغبات المكبوتة يصعب من شأنها . وبذلك بآثارها السيئة.

ثم تمكنوا بعد البحث المتواصل من ابتداع طرق يتوصلون بها إلى عمق النفس ، ويسبرون بها غور العقل الباطن . وأهم هذه الطرق هي : (١) تفسير الأحلام (٢) التوسم المغناطيسي (٣) الايحاء أو الاستهواء ثم التحريض (٤) التحليل النفسي بتداعي المعاني لفائدة والطرق الثلاث الأخيرة ترمى إلى شيء واحد ، هو إزالة الضغط الشعوري عن العقل الباطن ، وإعطاء المريض فرصة لإخراج ما كمن في نفسه من الأفكار . والتعبير عما يعود له من الذكريات والرغبات الماضية .

فتفسير الأحلام إذن من الوسائل التي تعرف مكنونات العقل الباطن ، ولذا يقول فرويد « إن الأحلام الرمزية ما هي إلا مجموعة رموز يشير كل منها إلى رغبة من الرغبات المكبوتة فإذا رأيت في حلم من الأحلام أن ثعباناً هاجمك فضربته فصرعته . فالثعبان يمثل عدواً من أعدائك السابقين ، وصرعه يمثل لا تنصار عليه ، وفي ذلك إرضاء لرغبتك » .

وبمثل فرويد تحقق الرغبات المكبوتة أثناء النوم ، بأنها لو لم تتحقق لحصل اضطراب في النوم ، وما كان من الممكن أن يظل الإنسان نائماً . فلتخفيف العبء على الدائم ، وإخراج من المواقف الحرجة تتحقق الرغبات . فيظل النائم هادئاً مطمئناً . وذلك تبعاً للطريقة العلمية التي يتبعها العقل الباطن في الدفاع عن النفس والمحافظة على كيانه . ولذا نرى أنه إذا لم تتحقق رغبة من الرغبات أثناء الحلم . أو لم يظهر الحلم بمظهر المتغلب بل بمظهر المهزوم . يستيقظ من نومه وجلاً مذعوراً .

ولو وقف فرويد عند هذا الحد لوافقه معظم المتقدمين والمحدثين . ولكنه يقول .



لنمار فى المثال السابق يمثل الأب مثلاً. الذى كنت تعدد. وأنت صغير. أكبر منافس لك  
وتقرب إلى والدتك. والحصول على محبتها وعنايتها. وقد كنت فى ذلك الوقت تود  
تسعى إلى أبيت واحتكار عطف أمك ومحبتها، ولكن بك حال دون هذا فكرته لذلك  
تسجل. ولكنك فى الوقت نفسه. حبيته لمعطفه عليك، فتكونت مشكلة أو عقدة وجدانية  
مورخ من الكراهية والحبة. فظهرت الحبة لعدم معارضة الظروف لها. ما الكراهية فاندحرت  
وسنكات إلى اللاشعور فبقيت هناك، وأضيف إليها وجدانات أخرى ضد الأب، فلما  
سبب مجموعة الوجدانات هذه حاولت الظهور فظهرت أثناء النوم بتلك الصورة المذكورة.  
وقد ترى أن شخصاً توفي، وبالتحليل تعلم أن ذلك الشخص يمثل أبك أو أخاك، أو أحد  
الشخصين الذين تارعوك سيطرتك، أو حالوا دون تمتعك برغباتك الذاتية، فوددت لو كانوا  
ميتين عنك. وكذلك يؤول حصولك على سيارة جارك بالحصول على وظيفته أو زوجته  
التي تمنيتها لنفسك يوماً ما.

بمعنى كل حال يرى فرويد أن وظيفة جميع الأحلام هى تحقيق الرغبات المكبوتة، وأن  
معظم تلك الرغبات. إن لم يكن كلها. يرجع إلى الغريزة الجنسية، أو إلى محبة الانتقام من حال  
دون تحقق الرغبات الذاتية الجنسية.

ويعمل فرويد للأحلام منزلة كبرى فى التحليل النفسى، ويتخذ تحليلها من أكبر الوسائل  
لدراسة سبب الاضطرابات والأمراض العصبية، لأنها تدل على الرغبات المكبوتة التي أثرت  
على الحياة العقلية.

ولون ذلك يقول: إن الأحلام إذا فسرت تفسيراً دقيقاً تدلنا تماماً على طبيعة صاحبها  
وبؤله وأخلاقه التي يحاول إخفاءها وسترها عن أعين الرقباء وأذانهم.  
فصور هذا رأى (١)

هذه هى خلاصة رأى فرويد فى الأحلام، وله - كما ترى - نصيب من الصحة، ولكنه مع  
ذلك جزء من الحق لا الحق كله.

ولا سارع فرويد فى أن وظيفة كثير من الأحلام هى تحقيق رغبات مكبوتة، ولكننا  
نرى مع ذلك أن هناك أحلاماً مرتبطة بالمستقبل، وليس لها علاقة متينة بالماضى. وهى التي  
تكون نوعاً من الاخبار بالغيب، وكذلك لا نعرف كيف يؤول فرويد الأحلام التمثيلية  
لأما الذكر التي يرى الانسان فيها ما حصل بالفعل أثناء حادثة من الحوادث.

هذا إلى أن فرويد يذهب بعيداً فى تقدير اللاشعور، ويمنحه ما لا يتحمل من الأهمية،  
حيث يقول إن الأحلام لا تحقق إلا الرغبات المكبوتة التي تحتل اللاشعور، إذ أننا نعرف أن  
كثيراً من الرغبات الشعورية تتحقق فى أحلام اليقظة والنوم أيضاً.

[1] See Woodworth "Psychology" PP.507

[ البقية على الصفحة رقم ٤١٤ ]

# في الأدب التركي

## البليغ

لشاعر الاسلام

الأستاذ محمد ما كف بك

أستاذ الأدب التركي بالجامعة المصرية

— — —

بعد أن انتهت هذه المجزرة البشرية - التي يطلقون عليها الحرب العالمية الكبرى - رعى حكومة الآستانة على توقيع معاهدة سيفر في ١٠ أغسطس سنة ١٩٢٠ ، وفي هذه المعاهدة لم يضع من أيدي الأتراك كل شيء بحسب، بل أترعت منهم بلادهم أيضاً، واضطروا واضطروا لأن يعترفوا بوضع مصر تحت الحماية البريطانية، واقتداب إنجلترا الإدارة شؤون العراق وفلسطين. واقتداب فرنسا لأدارة سوريا. وكان لليونان النصيب الأكبر في إرث آل عثمان. فقد صلب إليهم ترافيا وأخذوا جزءاً من الأناضول وقسم الجزء الباقي إلى مناطق تفوذ بين الحلفاء الذين لم يكتفوا بهذا. بل وضعوا رقابة دولية على الآستانة والدردينيل والبسفور بعد أن حطموا القلاع.

ومع كل هذا لم تستطع تركيا أن تحرك ساكناً. لأنها خرجت من الحرب منهوكة لقوى. ضعيفة كل الضعف، حتى خيل إلى الحلفاء أنها عى وشك القضاء. إلا أن القوة الحيوية كمنه في قوس الأتراك سرعان ما دفعتهم لأن يهبوا من جديد. وأن ينازعوا اليونان ذلك الإرث العظيم، فألقوا حكومة في أنقرة رأسها مصطفى كمال باشا، ولموا شملهم الحرب. وأعلنوا استقلال معاهدة سيفر... هنا سلط الحلفاء اليونان على الأتراك، ومع قوة اليونان الحرية والمالية، فاهمه يستطيعوا الوقوف في وجه الأتراك الذين حموا عليهم حملة اضطرتهم إلى الجلاء عن أراضي الأناضول في خريف عام ١٩٢٢. واسترد الأتراك كل ما كان لهم في الأناضول وترافى معاهدة «لوزان» سنة ١٩٢٣، وانجلي الحلفاء عن الآستانة. وتزلوا عن مقدار عظيم من الغرامة الحرية، وعن كل ما لهم من الامتيازات في تركيا. ولم تقف هذه الحركة مباركة عند تركيا وحدها. ولكن تيار النهضة قد عم الممالك الشرقية: ففي مصر والعراق واشام فتحت الأذهان وتجمعت الصفوف، ونزجو مخلصين ألا تفرق أو يقضى على معاهدة «سيفر» هذه. وتنال الممالك الشرقية استقلالها وحريتها.

صاف البارحة (١) على نفسى ، وثقت على العالم كله ، ثم انتهيت إلى التطواف في البرية  
ونيت في إحدى القرى ، وكانت الافاق تظلم إذ كنت أحاول الفرار بنفسى من المدينة ،  
ثم أطبق على الوادى ظلام موحش .

لا صوء ولا صوت ولا عابر سبيل ! ! انقلبت الطليقة كلها خرساء ، وليس هناك نفس واحد  
يردد في هذا السبات العميق ! وخيل إلى أن هذه الآفاق مثال من الانسانية الكثيفة . فرجعت  
لسنن الماضى ، فأية آلام جاشت بنفسى وأية ذكرى ؟ !

ويته تقيض نفسى بألآف الهواجس مسلسلة ، إذا بصياح مديد ينبحس في صدر الليل .  
فاج به هذا الوجد الراكد والتطم ! !

وتجاوبت أرجاء الوادى بخير الأبات في كل ناحية ! ! يارب ! أية فئات من النار ، وأية  
مروج من الصفير ! ! قد اقشعرت منها الأشجار والأحجار كأنما هي نفخة الصور ! !

\*\*\*

يا بلبل ! ! عندك الالف ولك العش والربيع الذى كنت ترتقب ! فما هذه القيامة . وماذا  
هناك ؟ قد استويت على عرشك الزمردى ، وأقمت مملكة في السماء . ولو وطئت كل ديار  
الدنيا فملككتك لا تنالها الأقدام ! !

ليوم واد أحضر بهيج ، وغداً حدائق الورد القانية تمرح فيها ، وأسرتك في سعادة ،  
ونسك في هناء ، ودياك في سرور وصفاء ! ! إن ترد روحك الطليقة رصاً لا خريف فيها ،  
هذهان والأبعاد الشاسعة كلها طوع جناحيك ، وإذا بسطت جناحيك لا تسمعك الأبعاد بله  
تعبود ! ! إن حياتك هي أقصى ما يتمناه الأحرار في هذه الدنيا . فلماذا يملأ الشقاء والأحزان  
بمك ؟ وما هذا البحر الزاخر في صدرك . وما صدرك إلا قطرة صغيرة ؟

\*\*\*

كلا ! لست بالمستم جديراً ، وإنما هي نصيبى !

إن آفاق لم تستشعر الضوء منذ قرون ، ولا حظ لي من السلى ، وليس في ربيعى إلا بكاء  
خريف . وما أناذا اليوم غريب مشرد في ديارى ! ! أى خسران أن أترك - أما ابن الشرق  
عاق - ديار أجدادى كلها تداس تحت أقدام الغرب ؟ لقد هاج فكرى وماج ، إذ ذكرت  
ديار صلاح الدين والفاتح ! ! وأية دلة أن يدوى الناقوس على رأس « عثمان » (٢) ! ! وأن

١ : أنت ما كتب بك هذه القصيدة أثناء تلك الحروب التى ذكرها . وقد كان هو أحد هؤلاء المحبوسين  
من حروبهم المدود عن بلادهم ولدوع عن ودهم ، كتبها في ساعة بأس عند ما راحت أشعثت من  
اليونان قد استولوا على مدينة « بروسه » واستباحوا حرمتها .  
(٢) مؤسس المملكة العثمانية .



يصمت الاذان فينمحي من ذاكرة القضاء اسم الله ؟ وأي حرمان أن ينقلب ذلك المصطفى لأحد مرابا ؟ وأن تصير تلك القدرة وهذه السطوة هباء منثوراً ؟ وأن لا يبقى من حبه « ييلدريم » (١) إلا قبة مهذمة ؟ وأن يداس قبر « أورخان » العظيم في شنع صورة ؟ وآية خيبة أن تنقض جامعة الدير حجراً بعد حجر ؟ وأن يفترش الغبراء ملايين من المسكين لا مأوى لهم ولا وزر ؟ وأن تتعلمل أسوار بالأسنة تحت أسواط العذاب والنكال ؟ وأن تقنع آلاى مؤلفة من الجذوع الخاوية إربة إرباً ؟ وأدهى من ذلك وأمر أن يطوف الأعداء الأحبار في حرم الاسلام !!

لست بالماتم جديراً، وإنما هي نصيبي ، فاصمت أيها البلبل !! عبد الحميد الدواحي

(١) مسجد بمدينة « روسة » العاصمة الاولى لآل عثمان وبها كل اشياء المذكورة في القصيدة .

## رأى فرويد في الأحلام

[ بقية المنشور على الصفحة رقم ٤١١ ]

ثم إننا لا نرى وجهاً لقصر الرغبات المكبوتة اللاشعورية على الرغبات الدنية الجسدية. ما دمنا نعرف أن بعض الرغبات اجتماعي له علاقة بفريزة حب الظهور التي تمارس وتكت من عهد الطفولة. وتستمر كذلك أيام الشباب والرجولة ، وتكون لها آثار ظاهرة في أحلام النوم واليقظة .

وفوق ذلك كله لا نشك أن لتداعي المعاني أثراً كبيراً في الأحلام ، حتى في تلك التي تتحقق بها رغبات مكبوتة في اللاشعور ؛ فكثيراً ما تجر الرغبة المكبوتة غيرها من الأفكار أو الأعمال لما بينهما من رابطة . حتى ولو لم تكن هذه الثانية من الرغبات .

فقصر الأحلام على أنها رموز تتحقق بها رغبات مكبوتة تحت اللاشعور مرتبطة - في الأخص - بالفريزة الجنسية . وفريزة المحافظة على النفس . تحكم لا يعضده الواقع . وبقي عليه الدليل العلمي .

فيحق لنا أن نأخذ رأي « فرويد » على أنه مكمل لآراء غيره من الأطباء النفسيين مثل رفرز (١) ومكدوجل (٢) .

وموعدنا العدد المقبل لكلام على رأي « رفرز » في الأحلام والتجارب التي قام بها لاثبان رأيه .

حامد عبد القادر

1) W H R Rivers See his book "Instinct" and The Unconscious

2) William McDougall See his book "Jatlines of Abnormal psychology"

# فضل المستشرقين

## على اللغة العربية

كتب الدكتور حسين المرأوي فصلاً في مجلة « المعرفة » (١) يحذر فيه شبان الشرق مما كتب المستشرقون . فناقشناه في جريدة « البلاغ » بكلمة يبين فيها فضل المستشرقين على اللغة العربية . فعاد فراجعنا في مجلة « المعرفة » ، وراجع الدكتور هيكال في جريدة « السياسة » ، مصرأ به الأمر على رعى المستشرقين بالسعى لتمكين الاستعمار في الشرق ، والعمل على تقويض القومية الإسلامية .

وإن أحب أن أقول كلمة حتمية في هذا الموضوع : وأصرح بأنه لا عار على المستشرقين أن يكونوا طلاباً لأممهم في الشرق . لأن العالم كله ميدان صالح لطلاب المجد والمك من جميع الأجناس . والاستعمار - كما قلت غير مرة - شريعة إنسانية يفرضها القوى على الضعيف . ثم إذاه ذلك فليتسلح بسلاح القوة ، ولينافس الأقوياء كيف شاء . وليعلم قومي - إن سرهم رايموا - أنه ليس في الدنيا حق وباطل ، ولكن فيها ضعف وقوة ، والذئب لا يظلم من حين يقتسه . كما لا نعلم نحن الحبل حين نشويه على السفود ، بل تبلغ بنا المكابرة أن نذكر سم الله حين نذبحه مطمئين إلى أن ذلك حق مشروع ، وهو كذلك !

فليس من الرجولة - إذن - أن نكتفي بالبكاء والنحيب كما شامدنا عدوان الغالبين . فتلك سحبة النساء . ولكن علينا أن نغالب ونصارع ونقاتل ، حتى نتهب حظنا من المجد في الحياة . ذلك جانب من المسألة ، أما الجانب الثاني وهو أثر المستشرقين في نهضة اللغة العربية ، فقد نصح بأن جهود أولئك القوم من العناصر الحية جداً في الدراسات العربية ، وقد عرفت من يسهم رجالاً يصلون النهار بالليل في الدرس والتحصيل ، وعرفت من بينهم أفراداً لا بالغ بدقت بأني لم أر لهم نظيراً في الشرق . وقد كتب أحد أعضاء بعثة الجامعة المصرية كلمة في « الأهرام » منذ أسابيع . ذكر فيها : أنه لم يعرف أحداً من المستشرقين في باريس ، فأسفت من الأسف ، لأن المستشرقين في باريس هم خير الأساتذة هناك على الإطلاق . وقد لاحظت - وأنا أدرس في السوربون - أن أعظم أساتذة جامعة باريس هم الأساتذة الذين يدرسون الآداب لأحبيبة . ومن أعظم من عرفت : المسيو تونلا الذي يدرس علاقة الأدب الفرنسي بالأدب الإسباني والإنجليزى ، فدلتني ذلك على أن المقارنات لها فضل عظيم في إيقاظ الأذهان والعقول ،

فليس من المستغرب إذن أن يكون اهتمام المستشرقين بدراسة الآداب الشرقية مما فتح دعوهم وجعلهم من أعلام قومهم في فهم عقليات الشعوب .

ولا أكنم القارىء أنى قضيت أيامى في باريس في نصال وجلاد مع المستشرقين الفرنسيين . ولقيت من بعضهم عناداً أضجر نفسى وقلبى ، ولكنى لما عدت إلى وطنى أخذت نفس جهود المواطنين في خدمة اللغة العربية فلم أرها تفوق المرباط الخداع ، وصرت تذكر المسير دعوهمين الذى أعد لنفسه مكتبتين غنيتين : إحداهما في باريس لأيام الشتاء ، وثانيتهما في هونو لأيام الصيف ، والمسيو مرسية الذى يجده الزائر في مكتبته في جميع الأوقات ما عدا ساعات الطعام ، وهى عنده لحظات ، والمسيو ماسينيون الذى يكاد يعرف كل شئ عن آثار العرب والمسلمين . والمسيو كولان المتوقد الدهن الذى يطالعك بالرأى الصائب والفكر السبق .

لكم أن تقولوا إن هؤلاء مغرضون يخدمون أمهم قبل أن يفكروا في خدمة الشرق ، ولكن لا تنسوا أن هؤلاء أوقدوا فينا نار الحماسة لخدمة اللغة العربية ، وعلموه من مناهج البحث وطرائقه ما لم نجد له ظلاً في المعاهد المصرية التى لا يجرى في أروقتها غير قيل وقيل وأنا بعد هذا موافق للدكتور هراوى في بعض اتجاهاته . وليس من الزهوى شئ أن أعلن أنى أول باحث شرقى قارع المستشرقين في عقر دارهم ، وصرح في مقدمة رسالته بأنه جاء لتصحيح أغلاط المستشرقين ، وأنا أفرض على الباحث الشرقى أن يقرأ أبحاث المستشرقين ومعه عقله ومنطقه ، وأكره له أن يحاكمهم في غير فهم ولا تبصر كما يفعل بعض الناس .

والمستشرقون رجال نبتوا في أمم قوية ، ومصاحبتهم نافعة جداً لمن يريد الاستدانة من عشرة الأفوياء . فان القوة تعدى كما يعدى الضعف ، والصاحب القوى يُشع من صاحب الضعيف .

أليست هذه الدعوة أنفع من دعوتك يا دكتور هراوى حين تحرض شباننا على أن ينصروا أعينهم عما يكتب المستشرقون ؟ إنك لتدعوهم إلى القناعة بالدراسات المصرية والشرقية ، والقناعة شر ما يوصى به الناصحون ؛ وهل اغتنينا إلى حد أن نضرب صفحاً عما يكتب الأعداء عن لغتنا وأدبنا ، مع أنه لم يوجد عندها إلى اليوم كتاب واحد يشبه كتاب المسيو روكار في مصادر الآداب العربية ؟

عدلى عشرة أشخاص يخلصون للأدب العربى كما يخلص مئات الفرنسيين للأدب الفرنسى . إنك إن فعلت فساوصى معك شباننا بالأكتفاء عما يكتبه أولئك العشرة المصطفون .

وبعد ، فستقول إنى كتبت ما كتبت وفاء للأساتذة الذين تلقيت عنهم من المستشرقين . وأنا والله يا صاح يسرنى ويشرح صدرى أن تعرف أنى لأساتذتى وفي أمين . والسلام . بذ  
زكى مبارك



# لو كنت وزيراً للمعارف!

حديث مع الدكتور أحمد فريد رفاعي

حين تحدث الأستاذ الدكتور أحمد فريد رفاعي في موضوع القراءة والقراءات - وكان ذلك في عدا مايو من « المعرفة » ، وحين أخذ يتحدث ، زارة المعارف ليحاسبها على ما برام عيوب الماضي ويعيوب الحاضر - أردنا أن نقف في قسائنا: ماذا كان يفعل لو أنه أصبح وزيراً للمعارف...؟  
وحسب أن هذا السؤال قد خلق أكتافاً كثيرة من تحت أن يجنى ، وفي هذه الأجابة « استيفضة عليه من سعة الدكتور ، حتى عن عميق بكلمة تارة... »  
الفرح

قال الدكتور :

وهكذا... أتم معشر الكتاب! تدخلون على قلوبنا القلقة التي جعلتها رزاء الحاضر مطمئنة إلى « ندينه من بأس وقنوط ، ونعي حصاتها وعقولنا التي جعلتنا في عصمة عن الناس ، وفي معزل عن الحياة وزخرفها ، غير حافلين بقاها وقيلها ، وصحبها وضحيجها .  
وهكذا أتم معشر الكتاب ! تتسللون في خفية إلى ما في النفوس البشرية من أحلام وأطباع ، ومن شروات وآمال .. ما رالت جائمة في نامة وهدة ، حتى تجرونها في لين وهودة . وتعلمون بحب في رشاقة ولباقة ، وتحركون دقائقها بمعمول الأمانى ، وخلق الرغائب ... وهكذا تم معشر الكتاب تخلقون من الحبة قبة ، ومن القطرة ديمة سحب غزير ماؤه ، وابل سيله ، تنفلمون علينا يوماً بمختلف الموضوعات التي عى أقرب إلى الخيال ، وإمتاع النفس ، وإشباع حس . منها إلى الواقع : وتعلمون يوماً آخر بما تحتونه من أفئدتكم . وعصارة قلوبكم ، ومتدفق حيلتكم ، ودفين رغباتكم ... ولعلكم على حق في ركونكم إلى الخيال وإمتاع النفس في هذا العصر - عصر الخيال وإقمار النفس - وأنتم على حق أيضاً حين تعيشون في جو التمني ، ونحت ظلال دولة « لو كنت ! » .

\*\*\*

يضر أنك يا صديق مفلس إلى السلطة . وإلى الحول والطول . وإلى تصريف الأمور : لا تلبث تعيش في حرم الحول والطول ، وما وراء الحول والطول ، وفي عهد من تصريف الأمور يمضي على رجل غير رجلتك ، وبمقول ليست من متفحرك ، ولا في مستوى عقولكم معشر الكتاب . ولما لا تسألني عما أفعله لو كنت غنياً ؟ إنه ليحيل إلى أنك في أول الشهر ! وأن جيبتك مفرغ . المال . ملىء بالنقود ! فأنت لا تطلب المال ، ولا تفكر في المال ، وأنت في عصر يشكو من فيه قلة المال . وصفر الأيدي من المال . وقد كان يكون من مصلحتك - ولا سيما في

هذه الآزمة الطاحنة التي أكلت الزرع والضرع - لو جئتنى في آخر الشهر وعلاقتى بسبعة من الخيال ، ولذا نذ سواح الحياة ، فسألتنى : ماذا أفعل لو كنت غنياً ؟  
ولست أدري لماذا لم تسألنى عما أفعله لو كنت صحفياً ؟ .. أستغفر الله ، بل لو كنت صاحب صحيفة : فإننا أعلم لماذا لم تسألنى عما كرهته تفكك وسئمته شهوتك لفترتك مما تعانيه الصحف ثم لماذا لم تسألنى عما هو معقول ، وعما يعتبر الطريق السلطاني المعبد للوزارة ، على بذلك . ماذا كنت أفعله لو كنت نائباً ، ولكن يخيل إلى أنك قد فترت من اليأس واليأس . وسئمت من التغيير والتبديل ، وسئمت من التطاحن والتدابير ، وسئمت من المقاتل والتمسور . ولما تسكلم في السياسة في عهد لا تستحب فيه السياسة ، وإنما هو كلام في كلام ، في عصر يتدفق فيه الكلام ، ويميش فيه الناس من الكلام .

على أنى سأحدث حديثاً عاماً ، فلا تنتظر منى كلاماً عن خيبة الآمال من فشل النعم في مصر ، ولا تنتظر منى انتقاداً لنتائج الامتحانات ، ولا تنتظر منى تعليقاً على لجنة التحقيق المشكلة أخيراً . ولا تنتظر منى بحثاً في فوضى التعليم الأهلي والحكومي معاً : ثم إن رده متواضع منى ، وهو أن تأخذ حديثي على علته . وهو حديث رجل اشتغل في الإدارة ردهاً غير قليل ، وسليخ عشرين عاماً من عمره موظفاً ... وحديث رجل ربما درس الأمر واتصل بالصحافة عن قرب أو بعد ، وربما اتصل بالأدب والآداب عن قرب أو بعد أيضاً . أريد بذلك أنى لا أزال في إسهار من الخوف من جمهرة الموظفين ؛ فلا حراً عندى لمساس ما يقدسونه من مرتبات ضخمة مهما فاءت لها كواهل الأمة . ومهما حالت بين الأمة وبين بذلها بسخاء على التعليم والتربية وإفادة الناس ، ومن كثرة في عددهم أكثر مما تصبه طبيعة أعمالهم ، فلا أدعو إلى ما دعا إليه «جدس» في إنجلترا من نقل أو تبديل ، ومن تحويل أو تفصيل .

وأريد أن أقول لك إنى في رق من الوظائف ، ومن ملق الموظفين إلى رؤسائهم : فبالك بالوزراء وأشباه الوزراء ؟ وأنت تعلم أن الملقى ، والمرء ، والنفاق ، والدهان . ومن ذلك كله . إنما هي ذرائع الرقى ، وسلم التقدم ، ودرجات الارتقاء ، والرضاء ، والحبو بلزول . وأريد أن أقول إنى صلتى بالآداب والمؤلفين ، وبمن يتصل بالآداب والمؤلفين من كتل وصحفيين فيها عقله للسانى ، وحبسة لجنانى ؛ فلا تتحدث إليك في صدق وصراحة عن طريقه وزارة المعارف في تقرير الكتب ، ونظام البرامج ، والاستكانة إلى سياسة اللجان . ومن يوم اللجان ، وجميع أصحاب اللجان .

على أنا ما دمنا تسكلم في الخيال ، وعلى أجنحة الخيال . وما دمنا نعيش في عصر الخيال لا عصر الأعمال : فأظن أن لا غضاضة على هؤلاء وهؤلاء ، من أن تسكلم . وتسكلم فقط .

لو كنت وزيراً يعتمد في تصريف أموره على ملهيات شعبه ، ورغبات أمته ، لاحتوت  
 كور وزيراً للمعارف ، ثم لصارحت النواب ومنتحجي النواب أني سأثور على نظم وزارة  
 المعارف وسياسة التعليم في مصر ثورة تخليط وإبادة ... ولعلبت الحال غير الحال  
 رست على عقب ... وإن شئت دقة في التعبير ، ودقة في استعمال الألفاظ ، ودقة في إجراء  
 معنى فيما خلقت له ، ودقة في احترام المنطق والعقل الانساني ، لقلت لك : إني لا أثور ،  
 بل هو موجود ليس بنظام فيثار عليه ، وإنما حاول ، وأحاول فقط رد الأمور إلى نصابها ،  
 وجرى الأمور في مجاريها ، وإيجاد النظام بديلاً من الفوضى ، وإحلال ما هو معقول وما هو  
 منطقي في ما فرضته الشهوة ، وأوجدته الأغراض .

إن الوطن لا يزال في خطر ، وإنه في خطر ليس بعده خطر ... إنه في أمية ، ولا قول  
 في حياة مطبقة ، إنه في حياة اتكالية مصدرها تلك السموم الاتكالية التي تنخر في عظامنا ،  
 التي نسد فيها دماء الحياة ، والتي تتكاثف طلماتها ودياجيرها أمام أعيننا ، فترطم وتتمثر  
 ونكبو . إنه في إفلاس روحي ، وفي إفلاس سياسي . وفي إفلاس اقتصادي ، وفي إفلاس  
 حضري . وفي إفلاس خلقي ، فلا رابط ولا حائط ، ولا شادي ولا هادي . ولعل مصدر  
 ذلك كله هو السياسة التعليمية التي ما زلنا نتحبط فيها ، والتي قصت على كل شيء في قوانا ،  
 نحن نرى من منقذ . وهل يا ترى من سديد إلى أن نعود أحياء ، أو أشباه أحياء ؟

أولاً . فإن في وزارة المعارف جيشاً عرمرماً من الموظفين الكتائين ، فلماذا لا ينقل  
 هؤلاء إلى غير هذه الوزارة . ويستبدلون بفريق من حملة الشهادة العالية ، أو ثلاثة أرباع المتعلمين  
 وأنصاف المتعلمين . لكي يعهد إليهم - حين إلزامية التعليم ونشره ثمراً حقيقياً ، ونشراً  
 عمياً . ونشراً بيداجوجياً - بأداء ذلك الواجب المقدس في الدول الحية التي تقدر أسباب  
 الحياة الحقيقية .

سبقل بأن هؤلاء ينقصهم فن « البيداجوجيا » وما يتصل به من علوم التربية ،  
 و« سيكولوجي » والأخلاقي ، وما إلى ذلك مما يتصل بالتعليم وبطرق التعليم . وأنا لا أحب  
 أن تسأل عن سر إلغاء مدرسة المعلمين ، وإنما أنسأل عما يحول بين الوزارة وبين إنشاء  
 مدرس ليلية لتلك الدروس التكميلية لهذه الآلاف المؤلفة من الموظفين الذين أضخوا عبثاً  
 قروحاً لا مبرر له بسبب قلة الأعمال لديهم . وكثرة القائمين بها من الرؤساء وغير الرؤساء ،  
 حتى إن الخطاب الواحد غير تقريباً على عشرة أيدي بطريقة ميكانيكية قديمة ، لا يقبلها العقل  
 السديد . ولا تسوغها طبيعة الأشياء ، فمن كاتب للصادر وآخر للوارد ، إلى كاتب يعرض  
 حساب على شبه رئيس ، ثم على رئيس فرقة ، فعلى رئيس فم ، فوكيل إدارة ، فدير إدارة ،  
 ثمراق ، إلى أن يهبط الوحى الميكانيكي الذي يحيد صغار الموظفين ... ثم يعود كساقية جحا  
 في قعر المراحل . وبنفس الطرق الميكانيكية الطويلة المدى ، والمجدبة الأثر . بلا روح ولا حياة

وهكذا مما فيه مضيعة للوقت والجهود ، ولحياة الرجال ، ولاضاعة الأموال ، ينبغي تمكينا .  
ويمكن جداً إنحجار نصف الأعمال أو أكثرها بالتليفون ، كما هو الحال في ألمانيا . وفي غيرهما .  
وفي غيرها .

ما علينا . . إنما اتساءل عما يحول بين إداعة الفنون التعليمية بين هؤلاء جميعا . حتى من  
منهم عدة كافية . أو عدة ضرورة . إن شئت دقة في القول - لدرء خطر الأمية . فادافلت .  
وأي الأمانة ؟ أجبته في التو واللحظة بأن لا أستبعد أبداً ، أن أعيان البلاد الذين يشعرون  
فجرا لا يفيد الوطن ولا يعمل على إنقاده واضطراب تقدمه يمكن استغلالهم ، استغفر الله . من  
استهزاء عزماتهم إلى التبرع بمحل أو أكثر في مدتهم لهذا السبيل ، بدلا من إقامة أسر دقة  
ولذينات ، ونصب أعلام الأفراح والليالي الملاح .

بل لماذا لا تستخدم دور التعليم لدروس ليلية كما هو الحال في مدرسة التجارة عليا :  
بل لماذا لا تقدم مجالس المديرية أو المجالس المحلية أو المجالس القروية التي تبدل مواها  
في إزاله منازل وحط شارع جديد ومتره جديد ومشروع إنارة أو ما إلى ذلك من ضرور  
الكاليات التي مهما قلت عن أهميتها وإنها بعيدة عن إفادة عمرو ونكبة خالد لعرض سياسي  
أو شهرة محلية أو فكرة حزبية ، فانك لا تستطيع أن تقنعني بأنها تربو في نعمها عن إنشاء  
مدرسة وتعليم جهال وتنقيف أميين وإنارة عقول وترقية أفهام وتعمير قلوب وأذهان .  
تموزنا الارادة والعزيمة ، ثم تموزنا الفكرة الصائبة والرأى المحترم المبيت لا الخس  
ولا الفطير ولا الحزبي .

ثم عندك البرامج التعليمية ، وهذه مسائل حيوية ومحلية ، وسأحدثك عن ناحية صديقيها  
أريد أن أقول : إن أولاد المزارعين الذين يحتاج إليهم الحقل والزرع . يجب أن لا يحس  
منهم عالة وكما مهملا وعيلا على الأهليين . . إن سياستي معهم ستكون سياسة إقليمية . ن  
أنتى إلى جانب تعليمهم ما هو أولى ، وتنقيفهم بالثقافة العامة الأولية - من تعلم القراءة والكتابة  
والحساب ودروس الأشياء وما يتصل بها في ساعات قليلة من النهار - أعلمهم أيضا لغة الانبي  
الذي يحتاجون إليه ، فيأخذون بسائر علوم الفلاحة واللباتين والزراعة وصناعة الأسمدة وخب  
والزبد ، وفي إقليم آخر تكون تربته مواتية للخضروات والفواكه . أعلمهم تلك الرزاق  
وما يتصل بها من صناعة المربات وحفظ الفواكه وتصريف الخضروات وغير ذلك . وفي  
إقليم ثالث يتمشى مع صناعة النسيج أو النجارة أو الدباغة أو غير ذلك ، يتمشى في سبيل  
التعليمية على هذا الأساس .

ليس معنى ذلك أنى أبالغ كثيرا في سياسة قدماء المصريين التعليمية . أى أن يكون ابن حائك  
حائكاً وابن المزارع مزارعاً ، وابن تاجر الماشية تاجر ماشية وهكذا ؛ وإنما أريد أن كون منتفعة



مؤسسات الأهليين وحشد أبناء الأهليين في مدرسة الحياة الصغيرة لأن يكونوا رجالاً عاملين في مدرسة الحياة الحقيقية الكبرى. ولن أخطر على ذوى المواهب من أولاد هؤلاء وهؤلاء. أن ينمو ودراساتهم في الطريق النظامي المعبد. مادامت توافيقهم وظروف أهلهم وظروف سياسة الدولة المسؤولة عن بشئها. وتخرج رجالاً لها. وتعليم أبنائها وإعداد العدة القوية لمستقبل حياتها. ولكن المسألة كما قلت لك. هي مسألة إرادة مرهقة وعزيمة نافذة ومضاء حارم مسدد. ثم أريد أن أقص عليك قصة من واقع الحياة. لتعلم أن لإرادة هي كل شيء. وأنها مصدر كل شيء.

أريد أن أحدثك عن رجل رنجى لم يكن بوزير. وإنما كان من عامة الشعب حسن احساسهم، يراه تباريحهم، ذلك هو « بوكور واشنجتون » الرنجى الأمريكى. الذى بعث الحياة في نفوس جلده. وبعثها قوية نافذة. وبعثها صلبة مكاثرة حتى ساووا بينهم وبين البيض... تعرف ماذا فعل؟ إنه لم يأبه بالزيارات. ولم يحفل بالخطابات. ولم يجمع إلى سياسه الاعلانات، بل أنشأ مدارس، وأنشأها من لا شيء.

به حتم في الحياض. ثم كلف تلاميذه السود الذين علمهم صناعة لآخر. وعلم بعضهم صناعة الزراعة. وعلم الآخرين الحدادة. وصناعة ذلك كله. ثم تقدم صالحو الآخر مع زملائهم الساعة ما يكفى إقامة مدرسة. واحتطب الآخرون من الغابات أحشاباً صنعها الآخرون بؤاً ووافد... إلى أن شيدت الدار من نفس الطلبة في سواع فراغهم من الدرس والتحصيل، فزيعته ريعهم صناعة الجبر والزبدة، وما إلى ذلك. حتى نفس السود البيض في تلك مصاط. وحتى احترمت الحكومة واحترم الأهليون هذه المدارس. وكثر لها الأنصار والمؤيدون، واستخدم طلابها صحاب الأعمال والمتاجر، وصارت نموذجاً حياً واقعياً في صورة صغيرة لمدرسة الحياة الكبرى. لأنها أعدت من هؤلاء وهؤلاء رجالاً حقيقيين يضطلعون بأعباء الحياة الحقيقية.

ربت كيف يستطيع الرجل الغذ. وتستطيع الإرادة الفضة، وتستطيع الروح الفضة إنتاج من أخوى الفضة؟ عني أنى أود أن تترك التعليم الأولى الاثامى، وهو جدهام. بل هو السود الثقرى للبلاد. ولأنما ثروتها. ولضمان الأيدي العاملة وربوعها وبين طهراتها وأود. تنشر مث إلى عدم عنايتنا بالتربية الاستقلالية في ربوع مدارسنا عامة. وإلى عدم استقرار سياستنا التعليمية في برامجها رديحاً كافياً من الزمن. وإلى فلة مدارسنا الأهلية، وإلى فلة مدارسنا الابتدائية والثانوية والعالية. وأود. قبل هذا وذاك. أن أحدثك عن افتقارنا حتى إلى التعليم الجامع. كما أود أن أحدثك عن افتقارنا إلى نظام المكتبات المتشقة التى تلتصق في يسر وسهولة بين الأهليين عامة. وفقراء الشعب خاصة.

ويجب أن تعلم أن فقراء الشعب هم غالبية، ومنهم النوايا والمباقرة، ومنهم جند الوطن بواسل. ومنهم ناخبو النواب. ومنهم بنساء الاوطان. كما أود أن أحدثك عن ضرورة

انتمشي مع حاجات البلاد ومطالبها ، وعدد الكفاح والمنافسة بين مصر وجيرانها ، وعدم الاعتماد في ثروتها على مصدر واحد قد يصيبه الكساد ، أو يقعد به ركود الحال وسوء الحظ. وضرورة إنماء موارد جديدة لثروات البلاد ، حتى يخرج المال المصري من جيب المصري ليدخل جيب المصري ، ولا يكون ذلك إلا بأعداد رجال إحصائيين في فروع شتى من الفنون ومختلف المهن . بمعنى أن تكون لنا سياسة تعليمية صناعية وزراعية واقتصادية معينة . ثم أريد أن أحدث عما يجب أن تكون عليه سياسة الكتب ، وسياسة المنافسة التأليفية ، وسياسة تعليم اللغة العربية ، وسياسة تعليم اللغات الأوربية ، وبث المقررات التاريخية لأصحاب الشخصيات البارزة . ولختلف الموضوعات الحيوية ، التي تشعذ النفوس وتغلبها . وتبعث فيها الهمة والمنافسة والاضطلاع بأعباء الحياة . ثم أريد أن أحدثك عن أثر السينما في التعليم ، وعن فوائد تعليم روضة الأطفال ، وعن نهضة التعليم في الهواء الطلق .

وأريد أن أحدثك عن أثر ذلك كله في إيجاد أمة متعلمة متجانية الميول والاهواء تسعد على إيجاد كتلة وطنية . ووحدة في الجبهة ، والكفاح ، والتساند ، والتمازر . لاتفاق المذاهب والثام وجهات النظر . وفي ذلك إفادة للجميع ، كما فيه إفادة لأصحاب الصحف التي ستمر بالملايين . كما هو الحال في الأمم التي تقرأ وتكتب ، والتي تنشر من صحافتها الملايين . ومن مؤلفات مئات الآلاف . والتي تجد فيها رأياً عاماً هو مصدر حياتها وقوتها ، ومصدر رهبته وحرته . فبماذا أبدأ لك ؟

يخيل إلى أن كل ناحية من تلك النواحي التي حدثتك عنها تتطلب بحثاً خاصاً . وإني نوصي معك كثيراً إذا ما قلت لك ذلك ، لأنك جد عالم أن كل ناحية من تلك النواحي الهمة الخيرة تتطلب كتاباً ومؤلفاً قائماً بذاته ، إذن لا أقصد معك . ولا أكتف بالتحدث إليك عن أهمية الجامعي . وضرورة نشره في المدن الكبرى . إذ أن الوطن يقتدر إليه بقدر اقتداره في التعليم اللازمي .

وإني أترح عليك أن تفتح هذا الموضوع عن مصر أعياه ، وتجعله باب استفتاء لجمعية الجبهة فاسألهم عما يقدمونه : هل التعليم الجامعي ، أم نشر التعليم اللازمي ؟ وليكن موضوعك في تفضيل وضع سياسة تعليمية جامعية ، ووضع سياسة تعليمية أربية وبأيهما نبتدي ، وأيها ننفذ ؟

ولست أشك أنك تحزن كثيراً إذا ما رأيت القطار المصري لا توجد فيه إلا مدرسة واحدة للحقوق ، والطب ، والهندسة ، والزراعة العليا ، والتجارة العليا وهكذا ، ولست أشك أنك تأسد لتلك الأموال المهدرة التي يصرفها الأغنياء منا على أبناءهم في أوروبا . ولست أشك أنك حزين آسف على اكتفاء جبهة متعلمين بالتعليم الثانوي أو التجاري أو المتوسط ، وتزهد أكثرهم .

١٠٠٠ نفر تربهم جميعاً - لوظيفة من وظائف الحكومة يتبلغون منها الفئات الضئيل .  
 من موضوع السياسة الجامعية يتطلب هو الآخر بحثاً مستفيضاً متشعب النواحي .  
 من مقتصد فيه ، ولتحدث عما يعتبر روحه ، أو النواة الأساسية في نشرو وإداعته .  
 نتحدث إذن عن معنى التعليم الجامعي ، هل هو شحن الطالب بما في بطون المؤلفات  
 من المؤلفات من الكتب ومسهب المعلومات ؟ بمعنى أن طالب القانون يقف على ما يقول دالوز  
 وغيره من المراجع كقانون نابليون ، والقانون الروماني ، وهم جرا ، ويقف طالب الآداب  
 وفنسه والراعاة على مجموعة المعلومات المطولة في فنوسهم ومواد دراستهم ؟  
 نحن نذكر ذلك نظام عتيق يخرج من الطلبة عشرات بلا فائدة ، كتلك الكتب الفارغة التي تزداد في  
 حج الكتب البائرة ، وأظن أن دراسة الجامعات تقوم بتوجيه الأذهان إلى تفهم الروح العلمية .  
 بشكر حضريته بعد درس الموجود منها ، وأظن أن المهم والأساس في التعليم الجامعي هو  
 حب ، وسأل البحث الحر ، وتوجيهها بين الطالب والأستاذ في الناحية الحرة الطليقة ، تلك  
 الناحية المثمرة والمكونة للشخصيات الانتاجية المثمرة .

ولا يكون ذلك إلا في إطلاق العنان للفكر الانساني ليكون حراً طليقاً .  
 من فلا أحدثك عن هذا المدى وتلك الناحية . وخير لي ولك ونقرأ أن أحدثك الآن  
 عن راء الأساتذة الجهابذ : مكريد ، والدكتور بارلز ، والسير آرثر كيث ، والأستاذ  
 أرست باركر ، والأستاذ صلص ، والأستاذ إليوت سمث ، والأستاذ سدن هكس ،  
 والأستاذ باردنر . عن ضرورة تقديس حرية البحث في التعليم الجامعي ، ومدى الحرية الفكرية  
 وما من حرمة وتقديس في التعليم الجامعي ، وأنها تثابة الروح والقلب والاداب .  
 ولكن ذلك يتطلب هو الآخر بحثاً مستفيضاً ، ومؤلفاً مسهباً .

من فلا أحدثك عن رأي رئيس كلية الملك بلندن الأستاذ أرست باركر ، وأعتقد أن ذلك  
 بصورك - تصويراً دقيقاً - المعنى السامي الذي يجب أن يهديننا سواء السبيل في تعليمنا  
 الجامعي ، والذي يجب أن يكون شعارنا وهدينا .

يقول المستر أرست باركر ما يأتي ، والترجمة ليست لي ، وإنما لصديقي الأستاذ  
 فؤاد صروف :

" في مدى يستطيع الرأي العام في دولة من الدول - كما يعبر عنه مجلسها التشريعي -  
 أن يسيطر على التعليم وبرامج الدروس في المدارس والجامعات ؟ يتراءى لي أنه قد يتحقق لدولة  
 من الدول أن تسيطر على برنامج العلوم التي تعلم في مدارسها ، ولكن لا يتحقق لها في حال من  
 الأحوال أن تسيطر على ما يعلم في هذا العلم أو ذاك ، والسبب بسيط المثال : الغاية من  
 التعليم تنبيه لقوى وتدريبها . وما من معلم يستطيع أن يفهم عقول تلاميذه ويديرها إلا إذا

استعمل عقله حراً من القيود ، فإذا علم ما يؤمر بتعليمه كان هو وتلاميذه كآل . هو ينقل ما قيل له أن ينقله ، وهم يقبلونه من غير بحث أو مناقشة ، وكان العلم والتعليم سطحيين . ومتى قيد المعلم كذلك فقد احترامه لنفسه ، وما له من المقام والكرامة في نفوس تلاميذه . وإذا فقد مقامه في نفوسهم عجز عن التأثير في عقولهم . التعليم يتوقف على اشتراك المعلم والتلميذ في البحث اشتراكاً حراً ، هو يعلم ما يعلمه عليه الفكر والبحث . وهم يتقنون إليه لما في تدريبيه من قوة ، فيتمكن من قيادتهم في سبل البحث والتقصي ، ولا يستطيع أحد أن يقود غيره إذا لم يكن كلامه خارجاً من أعماق نفسه .

إن روح الحرية الذي أوجد المجالس النيابية - وهو روح حياتها - يجب أن يعم من القضاء على روح الحرية الذي نفخ في معاهد التعليم وصار روح حياتها بدأ . إننا لا نستطيع أن نعلي على مجلس تشريعي مستقل ما يجب أن يسنه من القوانين . كذلك لا نستطيع أن نعين الجامعة من الجامعات ما يجب أن يعلم فيها . . . الرأي العام قوة عظيمة ، ولكن لا نستطيع تكوين رأي عام واضح من غير مناقشة ، ولا مناقشة صحيحة من غير تعليم صحيح حر ، فإذا حاول مجلس من المجالس التشريعية أن يقضي على حرية التعليم قضى على نفسه ، لأنه قائم على حرية القول .

وإذا سمي الرأي العام لطمس حرية الفكر والقول ، طمس صوته القوى ، لأن رأي العام ينشأ عن حرية التفكير والقول ، وما من دولة ديوقراطية تقدر أن تقضي على الحرية . أو تحمد حرية الفكر من غير أن تقضي على ذاتها وتخدم شاملة حياتها . . . »

\*\*\*

تلك هي جملة الآراء التي انتهى إليها « أرنت باركر » . وليس أدل على سدادها من صواب ما فيها من نظرات ، وروعة ما فيها من وجوه ...

فهل تريد أن أسهب لك في تفصيلها ، وأطلب لك في تحقيقها وتمحيصها . ونعجب ما يزدحم عليها من مبررات . . . هي باعث التوفيق للتعليم الجامعي ، والتربية الجامعية . والتربية الشعبية على السواء ؟

إن هذا البحث يا صاحبي يدعو هو الآخر إلى مجلد صحم . ويدعو لتكوين هذا الصخم إلى وفرة أناة . وكثرة اتئاد ، وهذوء عصاب ، ورحيب وقت .

وهذا كله يدعو إلى تخصيص جزء كامل من « المعرفة » حتى نبلو لهدف . وبلغ الشؤ فلاكتف بما أدليت ، ولأقف عند ما أحصيت . وليكن ما أحصيته وأدليت به حار لمن يريد الإصلاح ، أو ينشد الإصلاح . أو يملك بين قبضتيه أسباب « الحل والتمديد » كما تحدث إلينا لغة الدواوين ! أتقننا الله من سياسة الدواوين وجود الدواوين . . . والملتقى .



## مقـــــــــــــــــدور

بقلم القصصى الكبير الاستاذ محمود تيمور  
( من كتاب « الوثبة الأولى » - تحت الطبع - )

— ١ —

صهر الشيخ سيد على السكة الزراعية ، يمشى متمهلاً وهو يلث . رارحاً تحت ثقل جسمه هائس . يحرك إحدى يديه إلى الأمام مستعيناً بها فى السير كما يستعين التوتى عذفاف قاربه ، مع يده الأخرى تقبض على طرف ( ركبته ) ملتقاة على ظهره . بها ما يجود عليه المحسنون من معه . وكان جلبابه القذر - كسوته الوحيدة التى لا يملك سواها على جسده - يمتليء بهواء رطب القوى فيريده ضخامة حتى ضخامته ، وربما علا وهبط على جسمه فكشف للرأى سيقاناً مشققة كسيقان القليل .

واتجه نحو اقناة اى تستمد مياهها من الساقية . وهبط عليها فى المكاف المعد لستى الموشى . وأخذ يرتوى بشره كما يرتوى الحيوان العطشان .

ونزك عم حضر الساقية - حيث كان منشغلاً بمراقبة الثور - واتجه نحو الشيخ سيد وأمسك بيده وقبلها ، ثم قال له :

دع لى يا شيخ سيد . ادع لى ليعتجها الله فى وجهى . ويشفى أم عبد السلام زوجتى المسكينة .

فأجاب الشيخ سيد بصوت غليظ غير واضح :

— يلعن أبوك انت وهى .

« بنم البستانى . وأخذ يد الشيخ سيد فقبلها مرة أخرى وهو يقول له :

— ربنا يسمع منك ا

ثم تركه وعاد إلى الساقية . وكان الرجل قد تمدد بجوار القاة متوسداً إحدى ذراعيه . واستعد للنوم .

— ٢ —

كان الشيخ سيد - فى طوره الأول - عميد أسرته . وكان معروف براحه عقله وطيبه فله . محترم الجانب . محبوباً من الجميع . وكان يعيش فى رخاء . يملك هو وأحواء عشرة فدان . يشتركون فى رزقها وتقسيم محصولها عليهم بالسواء . وكانوا يسكنون كلهم فى دار أبيهم . وهى دار ريفية رحبة وسعتهم بزوجاتهم وأولادهم ومواسيهم .

وعاش الرجل هكذا ممزراً مكرماً حتى أشرف على الخمسين ، وحدث يوماً بينه وبين كنانة بحارته إلى داره ، إذ عثر الحمار في الطريق فأوقعه على الأرض ، وأصاب رأسه حجر غيبه أسال منه الدم غزيراً ، وحمل على أثر ذلك إلى منزله ، وبقي طريح الفراش عدة أسابيع حتى شديدة ، غائباً عن صوابه ؛ ولما التأم الجرح وزالت الحمى ، أصبح سيد أبو غلام غيره بالأمس ، رجلاً فاقد الذاكرة معتوهاً ، ولم يعد يصلح لعمل ما من أعمال الفلاحة . فتركه أخواه في فناء الدار يقصى وقته مع الأطفال يشاركونهم لعبهم . ولما طال مرضه . وعرضناؤه . داخل أخويه طمع الحياة . وفكراً في التخلص منه . ثم قرأهم ما عي طرده هو وعائلته . وحرمانهم جميعاً من ثروتهم ؛ وكان للرجل ذرية عديدة ، ولكن لم يكن بينها فرد يقوى على الدفاع عن حقوقهم المسبوبة . وخرجت العائلة مطرودة من دارها والشيخ سيد بينهم كأه دابة من دوابهم ، أو متاع من أمتعتهم ؛ واستقر بهم المقام في دار مهدمة صغيرة من دور العزب ، عاشوا فيها عيشة البؤس ، يكسبون مكسباً ضئيلاً لا يكاد يقوم بأوده .

واستمر الشيخ سيد على هدوئه وخموله لا يقارق الدار ، يمضى وقته إما مع الأطفال . أو نائماً بجوار الحائط ، لا يعرف ليله من نهاره ، وغلظ جسمه وترهل . وتهدل شعره . واشتبت بعضه ببعض ، وتلبك من الأوساخ . فبشع مطرته . واحتجبت ملامحه القديمة . ملامح الرجل الذكي العامل ذي القوة والبأس - خلف ذلك القناع الوحشي ذي العينين الشرديتين المربدتين - كما يحتجب الضوء اللامع خلف الزجاج المترب القذر .

وكانت للشيخ سيد أم ضريرة كانت تزوره في الخفاء - من غير علم أخويه - وتحمل إليه الهدايا من طعام وكساء . فكان إذا رآها همل لها تهليل الأطفال - وهو يجمل من هي - ويأخذ منها الخوى والملابس بفرح وسذاجة ، أما هي فكانت تجلسه بجسمه القليط على رجلها الواهية ، وتضمه إلى صدرها بحنو وشفق ، تطعمه بيدها الخوى . وتروى له حكايات الغول والشاطر محمد ، وإذا حل عليه النوم وسدته حجرها ، وغنت له أغاني الطفولة الخيلة .

- ٣ -

وماتت زوجة الشيخ سيد ، تاركة له أطمالاً دون سن الرشد . فعز على أمه العجوز أن ترى هذه العائلة بلا عائل ولا مدبر ؛ فلحقت بها ، وافقست معها مصفى العيش . تبعد جهدها على تهريج ضيقها .

وكرر الزمن ، وكبر الأطفال إلى شبان وفتيات ، ووجد الشبان الرزق محدوداً في تلك الجهة . فراحوا متفرقين إلى جهات عديدة يناضلون في ميدان الحياة الواسع ؛ أما الفتيات - فقبعن في الدار ينتظرن الزواج ، ولكن الزواج كان يمر عليهن ساخراً لا يعد لهن يداً ، وساءت أحوال العائلة يوماً بعد يوم - على أثر رحيل الأخوة الذكور الذين كانوا يعولونها - فأخذت الأم

المريرة تفكر في الأمر ، وقر رأيها أخيراً على الخروج بابها المعتوه إلى الأسواق للاستجداء ،  
 ذه صريرة وابن أبله مسكين يحركان الشفقة ، ويستديان الأكف للاحسان .  
 وخرجت الأم في اليوم التالي حرا بابها جرأ لعدم رغبته في الخروج . وذهبت به إلى  
 سوق ، حيث مكثت وإياه اليوم كله يستحذيان ، وعادا إلى الدار ومعهما بضعة تقود  
 وشيء يؤكل .

ونكرر الخروج كل يوم ، واعتاد الشيخ سيد أن يتجول مفردة في البلدة تاركا أمه على  
 من الطريق : فكان يطوف على الدكاكين والقهاوي يكلم نفسه ويصحك ويستم ويحرك يده  
 حركا غريبة ، ثم يعود إلى أمه وفي زكيبته شيء ، ينتفع به .

- ٤ -

ودخل الشيخ سيد مرة دكان « نى شوشة » الجزار وبادره بقوله :  
 - لقد قلت لك من زمن يا حمار إنك الخير كثير . أهو واحد ... اثنين ... ثلاثة ...  
 لأردب اقمح في الدوار ... والماء بالراحة في الترع ... واحد ... اثنين ... ثلاثة ... ربنا  
 بلمن جدودك ابن كلب صحيح ...

- أنا ابن كلب .. وهل فعلت شيئا أستحق عليه هذا ؟

- فعلت شيئا ؟ .. أبداً ... الخير كثير يا ولد ، الخير كثير !

فابتسم ثانيا أبو شوشة ووضع في زكيبته الرجل قطعة من اللحم ، وخرج الشيخ سيد  
 وهو يصحك ويكرر ما قاله للجزار ، وجلس أبو شوشة في الدكان ، وقد اعتمد بذقنه على  
 يديه . وأخذ يصكر في ما قاله له الرجل ، لقد عد أمامه : واحد اثنين ثلاثة ، ثم كرر جملة  
 « الخير كثير » ، فما معنى ذلك ؟ ألا يقصد قصية الأطيان . إن الجلسة بعد ثلاثة أيام .

ومضت الثلاثة أيام ، وخرج أبو شوشة القضية - التي ظلت معلقة في المحاكم سنين طويلة -  
 وكان ابهاجه بذلك عطيا . فأقام ليلة أنس كيلة الأفراح . وزع فيها الصدقات ، وعمر الشيخ  
 سيد بمختلف الهدايا .

وكان انتصاراً كبيراً للشيخ سيد تناقله الناس وأداعوه : فاشتهر صيته ، وقصده طلاب  
 الحاح من كل صوب يستوضحونه ما خفى من أمره : فكان يجلب معهم خبط عشواء ،  
 وسعده الحظ وأفلح في هذيانه ، فهابه الجميع وأجلوه ، وأغدقوا عليه الهدايا والأموال .

- ٥ -

كان رفعت افندى ناظراً له زراعة التي يسكن عزبتها الشيخ سيد ، وكان رجلاً أحرق  
 منكراً . له زوجتان : الأولى امرأة ناهزت الخامسة والأربعين ، وتسكن داره التي في العزبة ،

بينما الثانية فتاة تبلغ الثامنة عشرة وتسكن داره البعيدة التي في البلدة ، وكان يعين إلى الثانية ويفضلها على الأولى فأوغر بذلك صدر الأخيرة .

ففي يوم من الأيام كان رفعت أفندي جالسا على شاطئ الترعة أمام العزبة مستظلا شجرة الجير الكبيرة ، يتناول طعام الغداء بمفرده ، ويقوم بخدمته خادمه الصغير . كان يأكل وهو مقطب الوجه يرجر الخادم لأقل هفوة ، مقبحا الأكل وصانعته ، وجاء الشيخ سيد في ذلك الوقت يتهادى في جلبابه القصفاض المنتفح بالهواء . يحذف بيده ويلثم . وجلس بالقرب من رفعت أفندي وأخذ يحرق في طعامه وهو يتكلم كلامه غير المفهوم ، فلم يأت به رفعت أفندي وتابع أكله وهو يسب ويشتم بلا حساب ، فزحف الشيخ سيد إليه وأخذ يحرك له يده ويصرخ في وجهه ، فرمقه الأفندي بنظرة شذراء ، مزججاً ، وعيل صبر الشيخ سيد ثم يده واختطف لقمة من الصيفية أخذ يلثمها وهو يضحك ملء شقيقه . فاستشاط رفعت أفندي غضباً . وقام ورفع الشيخ سيد محاولاً إيقاعه فلم يترجح الأخير عن مكانه قيد أنملة . وحسب أن الناظر يمارحه فد إليه يده ودفعه ببساطة فانقلب الرجل على ظهره في الوحل وهو يهدر كالنور الهائج ، والتف حولها جمهور غفير من سكان العزبة وضجوا بالضحك والسخرية عند ما شاهدوا الناظر يتخبط في الطين ، وسرعان ما احتل الشيخ سيد مكان رفعت أفندي في المائدة وأخذ يأكل بشراهة وغبطة ، والقوم يهللون ويصفقون ، وقام الناظر وهو يطف نفسه ، يلعن ويشتم ويهدد ، وقصد داره ، ورهط كبير من الأطعمال يحرون حلقه يرفونه بسخرية ومجون ، أما الشيخ سيد فبعد أن أتى على الأكل كله تغطي وتثأب وتمدد بحوار الترعة متوسداً ركبته ونام نوما عميقا مصحوبا بفطيط مزعج .

دخل رفعت أفندي منزله وهو يهدد ويروم ، وبعد قليل قامت صبرة في الدار مصحوبة بتكسير أثاث ، ثم هدأت وخيم على المكان سكون عميق .

وبعد آذان العصر بقليل سمع من منزل الناظر صراخ وعويل وندب .

واجتمع الناس حول الدار ، وظهر الشيخ حمزة خطيب الجامع — صاحب اللحية الحمراء والوجه المجذور — على عتبة الباب وقال بصوته الجهورى :

يا عباد الله ، لقد هلك الظالم ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

فهمهم الجميع يطلبون لأنفسهم الرحمة . وأخذ الشيخ حمزة يشرح للناس « كرامة » الشيخ سيد في هلاك الناظر الذي لم يراع مع الشيخ أصول اللياقة والكرم ، وجعل يسب لهم ويهدد القول وهو يمجدهم الشيخ سيد ويثني على أعماله ويبرهن لهم بمختلف البراهين أنه من كبار أولياء الله ، قادر على إهلاك الأشرار والبر بالصلحين الأخيار .

وكانت لهذه الحادثة وقع كبير في نفوس الحاضرين . فأخذوا ينشرونها بين الناس وحماسة ويقين .



- ٦ -

وكان لشيخ سيد عدة بنات تجاوزن سن الزواج . وحدث أن شاباً من عائلة معروفة في البلدة شاهد كبراهن وهي تملأ الجرة من التربة ، فأعجبته وتزوجها ، وكان له زوجتان غيره لم تلدا له ما كان راغباً فيه من ذرية ، ولم يرض على زواجه من ابنة الشيخ سيد خمسة أشهر حتى عين عمدة للماحية . ثم بعد أربعة أشهر أخرى ولدت له زوجته الجديدة صبيين وبنين . وكانت مباغته له لم يكن يتوقعها ، فعد زواجه الجديد كرامة عظيمة من الشيخ سيد ، وانتشرت هذه الحادثة كسابقته . فأقبل وجهاء البلدة على مرل الشيخ سيد يطلبون بناءه للزواج .

وعاش الرجل وأمه في دارهما وحيدين ، ولكنهما عاشا في بحبوحة من العيش وآثرت لأم الاحتفاظ بكوحها ، ورفضت أن تنقل بابها إلى دار من دور أزواج حفيداتها إذ كانت منكرة به . وكانت لا تخرج منه إلا لتملأ الجرة من التربة أو لتجلس على عتبة الباب تستنشق الهواء في هدوء وغبطة . أما الشيخ سيد فكان يخرج صباحاً ولا يعود إلى الدار إلا في المساء وهو محم بأفصال السنين . كان يرور عتلف القرى ويجوب الأسواق . يأكل حيث يريد ويستريح حيث يرغب ، محترم الجانب ، مهابة من الجميع .  
هكذا عاش الشيخ سيد وأمه سبع سنين كاملة .

- ٧ -

وبدأ جنون الرجل يتحول من جنون هادئ لطيف إلى جنون هائج خطر . كان يدخل الأسواق كالزوبعة ، يخطف ويبيع كل ما تصل إليه يده . ويقصد إلى القرى يست بالطيور فيخنقها ، وكثيراً ما ضرب الناس بلا سبب . وأمسث مرة بالشيخ حمزة خطيب الجامع الوفور . وأخذ ينتف شعر لحيته الشقراء حتى كاد يسبب عن آخرها ، ثم ركل الشيخ في بطنه ركلة قوية كادت تقضي على حياته .  
وبدأ الناس يتذمرون . ولاحظوا أن شرور الرجل تزايد وأنهم أصبحوا غير آمنين على رواحهم وأرواح عائلاتهم . وأخذ الشيخ حمزة يهمس في الأذان . وكانت كلمة « الشيطان » ترد على الأفواه .

وحدث يوماً أن شوهد الشيخ سيد يجري صوب الساقية وبين يديه طفل يبلغ العامين ، يمشيه بأسنانه كأنه وحش منقضى عن فريسته ، وصراخ الطفل يمزق الفضاء . وكان يجري خلف الشيخ سيد بعض رجال من الضيعة يصيحون عليه ليترك لهم الطفل . ولكن الشيخ سيد كان مهمكاً في عمله غير آبه بصياح أحد . وكان قد اقترب من الساقية . ولمعت في ذهنه فكرة مريمة أراد أن ينفذها في الحال : ولكن والد الطفل لحق به وانتزع الطفل من بين يديه .

وكانت أم الطفل بالقرب من زوجها ، فأخذت ولدها في لفة وجزع وهي تبكي وتولول . ثم عادت به إلى المنزل لتضمده جراحه وتمتحن بشأنه . أما الزوج فبعد أن سلم الطفل إلى زوجته . عاد إلى الشيخ سيد ثأراً . لا يستطيع ضبط نفسه . والتجتمعت بين الرجلين معركة هائلة انتهت بفوز حسن سلام والد الطفل ، فترك خصمه بعد أن كال له الضرب ألواناً . وقام الشيخ سيد وهو يبكي كالأطفال ، يئن ويتوجع ويحجر نفسه في إعياء ، عائداً إلى منزله .

أما حسن سلام فبادر بالرجوع إلى داره ليطمئن على طفله فوجده نائماً على حجره ثم نومه هادئاً ، فالتحى ركناً من أركان الدار وجلس يستعرض في ذهنه ما وقع له . وكان يسمع بين فترة وأخرى خوار الجاموسة وهي في ذريبتها تطلب العلف . واعتراه وجوم غريب ودب في قلبه الخوف ، وخشى أن يكون مصيره كمصير ناظر الزراعة . وبدأ يوم نفسه على تسرعه في معاينة خصمه ، وكان الأجدر به أن يتركه وشأنه بعد خلاص ابنه منه . وارتدادت محبته وكثرت هواجسه واعتقد أنه لن تمر الليلة دون أن يقع له مكروه . وشعر باضطراب نفسه . واحتلظت في ذهنه المشاهد المزعجة ، فرأى الشيخ سيد يعزم تعاريفه السحرية . وشهد أشباح المردة من الشياطين ترقص أمام عينيه وتدلع من فمها السنة النار ، ويدها الهراوات الثقيلة تروح بها في وجهه ، وأحس بأتقاس حارة تهب عليه ، وشعر باحتناق شديد . فصاح مستنجداً وهو يمزق ملابسه :

— خلصوني منه . . . نجوني من الشياطين . . . يريدون قتلى . . . إسمهم يهجمون على . . .  
فقامت إليه زوجته مضطربة . وسألته ما به ؟ فأمسكها وهو يشير لها إلى شياطينه وبكر  
لها ما قاله قبلاً ، فخرجت المرأة من الدار تولول وتقرع بيدها على صدرها ، فهرع إليها جماعة  
من الجيران ، يتقدمهم عم مبارك أكبر عجائز الحي سنّاً . وسأل عما حدث فأخبرته الزوجة  
بالأمر ، فنهض الرجل وقال بصوت حزين « إنا لله وإنا إليه راجعون » ودخل الدار  
بمكازته الطويلة يسير مطأطئ الرأس ، يتمتم بالفاتحة على روح حسن سلام ، فلما رآه الأخير  
زحف إليه وأمسك يده بشدة وهو يقول له :

— سأموت يا عم مبارك ، سأموت . فأحابه عم مبارك وهو يربت على رأسه :  
— لا يستطيع أحد أن يرد قضاء الله يا ولدي !

فأخذ حسن سلام يبكي غرارة وهو يلتصق بعم مبارك كأنه يريد أن يرد عنه غائبة الموت .  
وبدأ عم مبارك يقرأ على رأس الرجل الايات القرآنية التي يتنوها عادة على رأس الأموات .  
فتخادلت قوى حسن سلام ، وارتجى على صدر الشيخ فاقد الوعي .  
ودخل الدار في تلك اللحظة « أبو حجارى » فسأل من حوله قائلاً :  
— ماذا جرى يا جماعة ؟ فأحابه عم مبارك على الفور :  
— حسن سلام تعيش إنت يا أبو حجازى .

فتقدم أبو حجازي من حسن سلام وغصه ملياً ثم قال وكله ثقة بنفسه :

- كلام فارغ . الرجل فيه الروح مثلنا ، هاتوا يا جماعة قلة الماء .

فأسرعت الزوجة « بالقلة » وتناولها أبو حجازي وأخذ يرش الماء على وجهه حسن سلام . ثم حمس يده يديه ورجليه بشدة حتى استفاق الرجل وفتح عينيه وهو يقول :

- أنا فين يا جماعة ؟ فأجابه أبو حجازي ضاحكاً :

- إنت في دارك يا حسن - شد حيلك يا أخي !

ورب في أرجاء الدار « زغاريد » الزوجة ، واستبشر الناس فرحين بنجاة حسن سلام . وبصرن ما انقلب المأتم إلى عرس ، وصرخ أبو حجازي على الزوجة قائلاً :

- عورين نشرب الشربات « يابت » حلاوة قيام حسن سلام بالسلامة . يله يلى السكر ولعصري اللعون .

وحرج عم مبارك مستاءً وهو يتمم بكلام غير مفهوم . وتنفس الناس الصعداء بعد هذا الانتصار الحاسم الذي ناله حسن سلام على الشيخ سيد فلم يعودوا يخشون شره ، وكانوا يزورون بداره يصيحبون متوعدين شائعين ، فرأت الأم الضريرة أن تحجز ابنها خوفاً عليه من عيب ناس . وكانت تخرج خلصة وتقفل الباب خلفها لتأتي له بالطعام والشراب . وهدأت العاصمة نوعاً ، ولكن الشيخ سيد لم تكن ترق في عينيه حياة المسجونين ، فكان يحاول فتح باب ليخرج ، ثم يرتد خائباً وهو يصرح ويبيكي ، يصرب رأسه في الحائط حتى يدميه .

وحدث مرة أن استطاع الإفلات من سجنه ، فذهب تَوّاً إلى سوق البلدة ، وبدأ ينهب ويغتر ما قص إليه يده ، ولكن الناس تجمهرت عليه وأقصته عن السوق بعد ضربه ، وخرج لرحل من السوق فزعا كالفرسة الوحشية التي يطاردها الصيادون . ورغب في العودة إلى دهره فتقبله جمهور من فلاحي الضيعة وطاردوه بالطوب حتى وصلوه إلى البيت .

ومنذ ذلك اليوم والشيخ سيد لا يكاد يفلت من داره حتى يعود إليه مشحناً بالضرب ؛ ولعلت أمه في الاحتفاظ به فلم يستطع الهرب من سجنه ، واقتصر على الصراخ والعيون نلأهما حو الغرفة ، وسدت أبواب الرزق في وجه « الأم » وتشكر لها جميع الناس حتى حبيداتها . فكانت تجلس أمام باب بينها تطلب الاحسان والناس يعزونها ولا يقربونها وهم يستغيثون بالله من شر الساحرة الماكرة .

ولما يئست المرأة من معونة أحد اعتكفت في ركن من أركان الدار مع ابنها منتظرة بصبر واستسلام قضاء الله ، واشتد بها الضعف فتمددت على الأرض بهلاهيلها تردد أنفاسها في غير انتظام ولا استقرار ، وقد تصال جسمها وجف ، وجعلت عينها غير المبصرة كأنهما تبجنان في الظلام عرشي يؤكل ؛ ما الشيخ سيد فكان يدور في الحجرة ثائراً وهو يقضم الطوب ، فإدا ما ناله التعب حس خوار أمه يبيكي فتقبله ونلاطفه ، محاولة جهد استطاعتها أن توهمه بأن الطعام لم ينصج بعد .

— ٨ —

وحدث أن استطاع الشيخ سيد أن يفلت من سجنه ، وكان الوقت ظهراً ، والشمس على أشدها ، والسكون يسود العزبة ، والمكان قفر . والهواء خمل ، وكانت جميع لدور مقفلة . خرج الرجل هائجاً كالحيوان الجائع يجرى هنا وهناك في حيرة وارتباك ، وفتح باب أحد الدور وخرجت منه امرأة تحمل على رأسها قصعة من الطعام ، ذاهبة بها إلى زوجها في البعد . وكان يسير بحوارها طفلها الصغير ، وشم الشيخ سيد رائحة الأكل فاستجمع قوته وانفنى يعدو نحو المرأة ، وكان يتمتر فيتقع على الأرض ثم يقوم يعدو وراءها ليلحقها . ورثه المرة ففزعت فزعاً كبيراً ، واحتفظت طفلها وحننته بين يديها وأرادت أن تعدو خلفها قواها . ولحقها الشيخ سيد وأمسك بها فتعثرت في ذيائها على الأرض ووقعت القصعة واتثر النعم على الأرض ، ثم جعلت تصيح مستنجدة . أما الشيخ سيد فهجم على الطعام الموث بالتراب وأخذ يحشو به فمه .

وهبت في جو العزبة عاصفة هوجاء من الصوات زاده تآلب السكالب على المباح . وسرعان ما اتشرب بين الجميع أن الشيخ سيد منقض على طفل يأكله ، فجئن جنون الناس . وجاء الرعب على عجل بلبائيتهم إلى مكان الحادثة ، وطاحوا بالشيخ سيد يضر نونه بلا حساب . وأخيراً صاح فيهم صائح : كفى أيها الاحوان وارفعوا أيديكم . فكفوا عن الضرب وجعلوا يحففون عرقهم بأكام جلايبهم . وتقدم أحدهم وقلب الرمح بين يديه ثم تنم متمحباً ، والتفت إلى إخوانه فأقبلوا يقبلون الرجل معه . وانتشرب همهم بين الجميع عقبها صمت ثقيل .

وظهر الشيخ حمزة وصاح في الجمع قائلاً : ما لكم واجبن كالأصنام ، هيا للعمل . وتقدم أمامهم يوسع الطريق . فشم الرجال عن سواعده المعتدلة وحروا شيخ سيد كيجرون ثوراً ميتاً . والأطفال حلهم يرقصون ويهللون . وأخيراً وقف الشيخ حمزة وقال : ها ... وحفروا له حفرة متسعة عميقة . ورموا بالجثة فيها ، فسمع لها دوى غليظ مخيف . هالوا التراب عليها . وعاد كل إلى عمله كأنه لم يقع شيء .

وما كاد طريق العزبة يقفر من المارة حتى طهر على عتبة الشيخ سيد - شيخ رحف وبخر نفسه في ضعف وتهالك ، واتجه نحو مكان الجريمة وأخذ يتحسس التراب الممزوج بالدم . يشمه تارة ويفحصه بين أصابعه تارة أخرى . وجسمه كله يهتر مرتجفاً . وبفتة صاح باحتساق وحسن يلطم وجهه ، وهو يقول :

— آه يا ابني . . . قتلوك يا ابني . . . قتلوك يا حبيبي يا ابني . . . وارثي على وجهه بهه كالأطفال .



# المعاني الافلاطونية عند المعتزلة

بقلم الاستاذ محمود الخضيرى

عضو بعثة الجامعة المصرية بباريس

الى ملامة احييل الاستاذ السيد مصطفى عبد الرازق الذى يرجع اليه الفضل فى احياء  
عقيدة لاسلامية قديمة وتأسيس دراستها فى الجامعة المصرية ، أقدم هذا العمل تحية تليد  
مترجم بما لا يتأذى عليه من جيل ٩٠٠٢ خ.

\*\*\*

## مقدمة عامة

### الفصل الأول

يبدو لأول وهلة أن دراسة المعتزلة تقتضينا بعض الاقصاء عن الخطة الفلسفية ، وذلك  
لأنه لم نجر العادة على اعتباره بعض أولئك الذين يمتنون أو يواصلون لأنحاء الفلسفة  
الغربية عند المسلمين ، ويرجع هذا أيضا إلى أن الفلاسفة المسلمين لا يتحدثون عنهم ؛  
وكبر السبب فى ذلك منشأ اختلاف الاصطلاحات. وإذا عرضوا لهم انهموه بسوء فهمهم  
منافذ الفلاسفة ، وقد يعترفون أنهم لا يستطيعون أيضا أن يفهموا مقاصد المعتزلة .

وما يؤيد هذا ما جاء فى حديث أبى سعيد السيراقى النحوى المتوفى سنة ٣٦٨ هـ  
(٩٧٨ م) إلى متى بن يونس القنائى الفيلسوف المتوفى سنة ٣٦٨ هـ (٩٣٩ م) : «... وهذا  
شئ أبو العباس قد تقض عليكم . وتبغ طريقكم ، وبين خطأكم ، وأبرز ضعفكم ، ولم  
تدروا إلى اليوم أن تردوا عليه كلمة واحدة مما قال ، وما زدتكم على قولكم : لم يعرف أغراضنا  
ولا وقف على مرادنا وإنما تكلم عن وهم » (١) .

والمشئ المذكور هو أبو العباس عبد الله بن محمد الأنبارى شرس ، معتزلى من الطبقة  
المتوسطة . توفى فى مصر عام ٣٤٦ هـ (٩١٥ م) . ألف كثيرا فى تقض كتب المنطق ، كما وضع  
كتابا عنوانه « المقالات » شرح فيه مذهبه فى العدل (٢) .

وكذلك ما كتبه ابن القفطى المصرى (٦٤٦ هـ - ١٢٤٨ م) فى كتابه « تاريخ

١. أبو حيان التوحيدى (٤٠٣ هـ - ١٠١٢ م) مقتبس من مقدمة السيد حسن السبولى لكتاب

الطائفة ، القاهرة سنة ١٩٢٩ ص ٨٢ .

٢. راجع الأستاذ (مكس هرتس) « مساهمة اسمية فى الكلام فى الاسلام » نور سنة ١٩١٢ ص ٣٤٨

« Max Horten Die philosophischen systeme des spekulativen Theologen im Islam »

وستنظر فى الإشارة الى هذا الكتاب بقولنا : هرتس — المذاهب .

الحكماء» بمناسبة كتاب 'أرسطو' «السماء والعلم» ( وقد كان العرب يعتبرون هذين الكتابين الصحيح والمنتحل - كتاباً واحداً ) : «... كتاب السماء والعالم .... ولأبي هاشم الحناني عليه كلام وردود سماه التصفيح ، أبطل فيه قواعد أرسطوطاليس .... وسمعت أن يحيى بن عدي ( ٨٠٧ - ٩٧٤ م تقريباً ) حضر مجلس بعض الوزراء ببغداد في يوم هناء ، وجمع في المجلس جماعة من أهل الكلام فقال لهم الوزير : تكلموا مع الشيخ يحيى : فإنه رأس متكلمي الفرقة الفلسفية : فاستغفاه يحيى . فسأله عن السبب ، فقال يحيى : لا يفهمون علمي ولا أفهم اصطلاحهم ... » .

وأبو هاشم المذكور هو عبد السلام أبو هاشم بن الحبابي ، من شيوخ الطبقة التاسعة من المعتزلة . توفي عام ٣٢١ هـ - ٩٣٣ م : وسنرد له فصلاً في نهاية هذا البحث .

ويؤيد ذلك أيضاً ما كتبه الغزالي ( ٥٥٥ - ١١١١ هـ ) في كثير من كتبه مثل قوله : « إن أول أنواع الخلاف بين الفلاسفة وخصوصهم ( أي المتكلمين بما فيهم المعتزلة ) يرجع النزاع فيه إلى مجرد اللفظ » : أو كقوله : « ... ولكن المنطق ليس مخصوصاً بهم ، في الفلاسفة ) . وإنما هو الأصل الذي نسميه في فن الكلام كتاب المنطق ، فعبروا عنه به . والمنطق تهويلا . وقد نسميه كتاب الجدل . وقد نسميه مدارك العقول ، « هذا اسم متكلمي المستضعف اسم المنطق . من أنه في غريب لا يعرفه المتكلمون » . ولا يضع عبه إلا الفلاسفة » (١) .

ثم إن المتكلمين . وجمهور أهل السنة . لا سيما بعد الأشعري ، مع أنهم لا يعمرون المعتزلة في صف واحد مع الفلاسفة . إلا أنهم يعتبرونهم . رغم هذا ، مبدعة يجب لا ندرس آراؤهم . روى أبو حامد الغزالي في الامام أحمد بن حنبل ، ذكر في الحارث بن عمار - رحمه الله - تصنيفه في الرد على المعتزلة : فقال الحارث : الرد على المبدعة فرض : فقال أحمد . نعم ولكن حكيت شبههم أولاً ، ثم أجبت عنها ، فم تأمن أن يطالع جو بث مبالغ شبه فيتعلق ذلك بفهمه ولا يلتفت إلى الجواب ، أو ينظر في الجواب فلا يعرف كنهه .<sup>٢١</sup> من أجل هذا كانت معرفتنا بالآراء الفلسفية للمعتزلة ناقصة مشوهة ، لا سيما ونحن لا نملك شيئاً من مؤلفاتهم : وقد انتهى إلينا أكثر ما نعرفه من مقالاتهم عن طريق خصوصهم من المتكلمين الذين لم يكونوا في أغلب الأحيان يفهمون مقاصدهم ، وكثيراً ما يعرضون في صيغ

(١) « تهافت الفلاسفة » ص ١٠ ، ١٥ ، ١٦ من طاعة الألب ( مورس ) ج ٨ ص ٧٩ .

بيروت سنة ١٩٢٧ .

(٢) « نقد من صلال » ص ٢٧ ، ٢٨ من نسخة شيمبور Schumolders في ك : به - نقد من

المداهم فلسفية عند العرب » ج ١ - ص ١٨٤٣ Les écoles philosophiques chez les Arabes »

نكتف عن الجهل غمزاها الفلسفى الصحيح ؛ وأكثر من هذا . فإن لغة المعتزلة - كما تبدو لى تقطع المنسوبة إليهم فى مؤلفات حصومهم وأنصارهم - لغة غير ثابتة ولا معدودة . حيث قد نجد لكلمة الواحدة فى فقرتين من نص واحد معنى عامياً ومعنى خاصاً . ثم إن المعنى لم قد يختلف أيضاً فى مدلوله . فأحياناً يدل على المعنى عند الفلاسفة ، ويدل أحياناً أخرى على معنى الخاص عند المتكلمين . ومن أجل هذا كان تفسير نصوصهم على الوجه الصحيح من شدة الواجبات عساً وتعباً . ومن أكثرها استمراراً للحذر والانتباه .

والغرض من بحثنا هذا أن بين أن المعتزلة هم أول المفكرين المسلمين الذين عالجوا الفلسفة بغير من معار لا شك أنها إغريقية ، لا سيما من مذهب المثل الذى ينتهى كماله عند الإغريق وسفاهة أفلاطون . وهذا العمل هو فى الواقع محاولة لدرس وجه خاص للفلسفة فى أول عهدها عند المسلمين ، ونحن نعتقد أن مثل هذا الدرس لا يخلو من فائدة . ولا سيما إذا انتبهنا إلى الزمن الذى عاش فيه هؤلاء المفكرون الذين سئموا فى درس آرائهم . وهو زمن الاعداد والتحضير للفلاسفة وللمتكلمين .

لم تكن اللغة العربية قد استلكت بعد كتابات الإغريق فى الفلسفة . تلك الكتابات التى أصبحت فى بعد المصدر الوحيد للفلاسفة فى بناء مذاهبهم . ومن أجل هذا وجب علينا أن نبحث فى محيطهم العقلى عن عناصر الثقافة الفلسفية التى استمد منها المعتزلة ما احتاجوا إليه لتشييد مذاهبهم .

### الفصل الثانى

كان المعتزلة الذين سبوا دراستهم مسلمين . عاشوا فى البصرة إبان القرن الثامن والتاسع ومشرع الميلاد ، ( من الثانى إلى الرابع من الهجرة ) ؛ ويكادون أن يكونوا جميعاً من أصل غير عربى . كما يدل عليه كون أغلبهم من المواوى أو العبيد المعتوقين ، ثم إنهم كانوا من خاصة من شناعة . كما يدل على ذلك اتصالهم بالخلفاء ، حيث كان يلتقى فى قصورهم خير ثمنى النفاقه وعصرهم . ثم إن المسائل التى عنوا بدرسها غير مطروحة فى القرآن فى صيغ تسمح بأن ندرسها مناقشات فلسفية . وكذلك فإن الحجج التى يستعملون بها لشرح أصولهم ومقالاتهم غريبة مطلقاً عن الأدب العربى السابق .

قال ابن خلدون ( ١٤٠٦ م ) : « إن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم . وإنما غلبت عليهم البداوة والامية ، وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تشوق إليه النفس البشرية فى أسباب لمكونات وبدء الخليفة وأسرار الوجود ، فلما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم . ويستفيدونه منهم وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى » ( ١ ) .

وهذا هو الواقع ما فعل العرب عند وفاة النبي . إذ أنهم أحسوا بالحاجة إلى أن يتكروا من فهم القرآن ، وأخذوا يبحثون عن تفاصيل الحوادث الكونية والتاريخية التي ورد ذكرها بجملة في الكتاب المزل . وتوضح لنا بقية كلام ابن خلدون النتائج الاعتقادية التي حدثت في الاسلام في أول عهده بتأثير الاستعانة بعلماء الدين الاسلامي الذين كانوا يهوداً قبل اعتناقهم الاسلام ؛ ذلك بأن نفوذهم وحجهم كانوا سائدين في الواقع على المؤلفات الأولى في التفسير . لم يكن اليهود والمسيحيون الذين توجه إليهم العرب ليماروا عنهم في كثير من حيث الثقافة وأما . إذ أنهم كانوا - على حسب اصطلاح ابن خلدون - بدواً ومبين مثلهم ؛ وقد كان يهود الجريه على الخصوص مجسمة ينسبون إلى الله صوراً جد إنسانية ، الأمر الذي حاربه فيما بعد موسى ابن ميمون ( ١٢٠٤ م ) .

وإذن فإن العرب لم يحتكوا في الحقيقة بالثقافة والعلم إلا بعد غزوهم الشام والعراق وفارس . وإذا ذلك اتصلوا بأهل ديانات تهذبت علومها تحت تأثير الفلسفة الاغريقية ، وكذلك من الديانات الفارسية والهندية - التي كانت غنية بأساطيرها وبمعانيها الخاصة بالمعبودية الاربية - . تكن أجنبية عن العلوم والروح الاغريقية (١) .

كان المتأدبون من المسلمين يتلقون العلم - ولا سيما في العراق - مع الفرس وغيرهم من الفرس . ومع النصاري واليهود . وكان الخلفاء يستقبلون - بكرمهم المعهود لأطباء وفلاسفة والفكرين من الفرس والسوريين . وهنا ينبغي ألا يغفل عما فعله السوريون في نقل الثقافة الاغريقية إلى الشرق . وذلك لأن مقدرتهم التجارية وشغفهم بالأسفار جعل منهم جسر وسفوف . ثم إن الاغريق لم يغفوا من ناحيتهم أن ينشروا أنوارهم في الشرق الذي غزوه بالسلاح والاراء . وإذا كانت فارس والهند قد استطاعت في زمن يسير أن تتخلصا من سيادة هذا الشعب الصغير . فإن الثقافة الاغريقية ظلت رغم هذا سيدة ، وذلك بفضل صفاتها الانسانية على الخصوص وقد اعتاد ملوك فارس ( لا كاسرة ) - منذ القرن الرابع للميلاد - أن يستمدعوا لفلاسفة اليونانيين . وفوق ذلك فأننا نعتقد أن الشرق - لا سيما الشرق الحديث الذي يهمن الآن - قد تفتت إليه فلسفة اليونان قبل هذا بكثير . إذ أن انتشار الاراء والمعاني في لاوسط اعقب المتحضرة لا يمكن أن يكون بطيئاً . وفي الواقع فإن الشهرستاني ( ٥٤٨هـ - ١١٥٣م ) يحدثنا عن تلميذين رشيدين لفيناغورس ذهباً يذيعان فلسفة أستاذهما . أحدهما في فارس

(١) في الاستاد . جوتيه Gauthier . . . . . كان هذه البداية ( منه دراشت ) . . . . .  
 بالتيسر . . . . . لم يكن كما هو صريحه . . . . . كانت مشتتة على الأقل مذهب الحكمة الالهية . . . . .  
 الفيل الاصلاحى . . . . . مقدمة للدرس الفلسفة لاسلامية . . . . . باريس سنة ١٩٢٣ . . . . .  
 Introduction a l'étude de la philosophie musulmane Etc.



ولآخر في الهند (١) . وفي لواقع إن مذهب الفيشاغورية ومذهب الفيشاغورية الحديثة غير  
غريبين عن البلاد التي فتحها العرب بين عامي ٦٣٤ و ٦٤٠ للميلاد ( ١٣ - ٢٠ للهجرة ) .  
ومدينة حران في العراق ( على حدود سوريا ) أهمية عظيمة في هذا الشأن . إذ أنها كانت  
مدينة طلت بعيدة عن الديانات السامية . وفيها كانت تدرس الرياضيات والملك . ومذاهب  
الفيشاغورية الحديثة والأفلاطونية الحديثة . ولكن كان يحيط بجميع هذا مذهب روجي  
سني . ينتهي بديانة صوفية معروفة عند العرب باسم ديانة الصابئة .

كان للصابئة عبادة روحية يتوجهون بها إلى معصيهم « أغاديمون Agithodeamon »  
و « هرمس Hermes » الذين كانوا يعتبرونهما رباً وآلهة ووسائل وشفعاء « عبد الله وهو  
رب الأرباب وإله الآلهة » (٢) . ولا شك أن هذه الديانة عريقة في حران . وكثيراً ما يتحدث  
سهرشترسي باعتبارها معاصرة ومقابلة لديانتى إبراهيم وموسى . وكذلك يقول ابن  
خديم ( ٣٨٥ هـ - ٩٩٥ م ) : « إن أول رؤساء الحرائير جلس على كرسي الرئاسة عام ١٠٤  
بلاسندر » (٣) . وكان الصابئة - على حسب شرح الشهرستاني - يقولون : « إننا نحتاج في معرفة  
الغنى ومعرفة طاعته وأوامره وحكامه إلى متوسط . لكن ذلك المتوسط يجب أن يكون  
روحياً لا جسمانياً ، وذلك لكاء الروحانيات وطهارتها وقربها من رب الأرباب » .

ولكنهم لما يقتصروا في بعد على الروحانيات البحتة والتقرب إليها بأعيانها . فزعت جماعة منهم  
ذهب كلها . وهي السيارات السبعة وبعض الكواكب الثابتة . فصابئة الروم مفزعها السيارات .  
وصابئة اليهود مفزعها الثوابت (٤) . وقد عاشت ديانة الصابئة في عهد الاسلام . وكان أهلها  
يرفون ( السريانية ) لغتهم الدينية . واشتهر منهم رياضيون وفلاسفة وأبناء أمثال : ثابت  
بن مرة ( ٢٨٩ هـ - ٩٠١ م ) . وابنه سنان بن ثابت ( ٣٣٢ هـ - ٩٤٣ م ) . وغيرهما من  
العلماء والمترجمين .

وما يجدر بالملاحظة أن عبادة الكواكب التي تتصل - بالطبع - بديانة الصابئة عملت على  
دعوة آراء المذهب الفيشاغورى الحديث ، وما لا شك فيه أن العرب عرفوا هذه الديانة قبل  
مجي الاسلام . كما يثبت ذلك نص القرآن . إذ جاء في السورة السادسة منه ( الأنعام ) :

١ . « تاريخ » ابن خلدون ج ١ ص ٢٣ - ٢٤ من طبعة دار الفكر . ٢ هـ . ١٣٤٧ .  
٢ . « الكتب المذكورة » ج ٢ ص ٧٧ . وقول هذه المقدمة ان الاعلام الان لا تشرحه في ٥٥ .  
الطبعة تنوبها كثيراً .

(٣) كتاب « الفهرست » طبعة ( فيجل Flügel ) لايبك سنة ١٨٧١ ص ٣٣٦ .

(٤) الشهرستاني « الملل والنحل » ج ٢ ص ٥٧ - ٥٨ .

## وحدة الوجود

( همد ) فيك المي وفيك المايا      نعمة أنت ، أم جماع البلايا !  
تسمى خفية فتفرق روحي      من وميض الها وبرق الثنايا  
وتذوب القلوب شوقاً ووجداً      بحول الصفا وصقل المرايا

\*\*\*

مظهر يجذب الخلق بهاءً      وبهاء مطلم بالخفايا  
يسحر اللب والفؤاد ويلهو      بأسود الثرى فتمسى سبايا  
منظر لاح في رواء ومجلى      وغناء ولذة ومزايا  
فيه للعاشقين لغز خفي      ومصون الجنبات تحت الحنايا  
خمرة تحتسى بغير مدام      وتمس العقول قبل الخلايا  
فهي كالنار والسمير لهيباً      تأكل الغير والسوى والخطايا  
كم لهذا الجمال صرعى وقتلى      ونشأوى تهتكوا وضحايا  
( غادة ) ترتدى الحمائل      والخز لها أبعاد والعلا والتحايا

\*\*\*

فلماذا تحجبت وتجنبت      يا خليلي وأولجت بالخبايا  
نكتة يهرع الحكيم إليها      جاهد الفكر خاضعاً لقضايا  
والقضايا موصلات لأخرى      مع قياس ومنطق ومهايا  
وغموض يدق إثر غموض      تنتديه الشكوك رغم النوايا  
تعب الكل في تقصى أمور      لا تؤدي إلى جلاء الخفايا  
فاسترح أيها الحكيم ورفقاً      من طویل العناء بجهد المطايا  
فتى كان للنهار دليل      والضحي واضح وشمس البرايا

\*\*\*

( همد ) نفسى تبرقعت بنقاب      عن مرأى العيان بين الطوايا  
لحظة تكشف القناع لمسنا      ذلك السر لا عناء ولايا  
فهي روح الوجود لب المعاني      قد تجلت تحائفها وهدايا

على سالم عمار

# نظرات في التربية

## أقسام اللعب أو طوائفه

بقلم الدكتور على عبد الواحد وافي

أستاذ التربية بدار العلوم العليا والأخلاق بقسم التخصص بالأزهر

وتاريخ الأدب المرحى بقاعة المحاضرات التثيلية

نكت أن يقسم اللعب من بواح متعددة وحسب اعتبارات كثيرة . ولسكننا منقتصر على قسميه من حيث إنه عام من أحوال التي تدرب القوى الجسمية والنفسية على القيام بوظائفها ، ونقد . بذلت - الطفل للحياة المستقبلية . متحذرين نظرية حروس (١) أساساً لهذا التقسيم .  
نقسم الألعاب - بهذا الاعتبار - إلى قسمين رئيسيين : ألعاب تدرب بها القوى الجسمية ونسبه على القيام بوظائفها العامة ، وألعاب تمرن بها تلك القوى على القيام بأهوار خاصة .

فن القسم الأول ما يأتي :-

١ - ألعاب الحواس - يأتي الأطفال - وخاصة في الدور الأول من طفولتهم - بأهوار عبه حرس منها مجرد الاحساس بالأشياء . فتراث يصعون على السمتهم كل ما يصل إلى أيديهم يتدفقو طعمه . ويتدفقون هباتهم على الأرض . أو يدقونها بأصابعهم . أو يقرعون بمصها حصص . . . ليسمعوا ما تحدثه من الأصوات . ( ومن هذا أيضاً ألعاب الزمارة والطنبل وما ساء ) . ويجدقون في الكرات دت الألوان المختلفة ليروا بريقها . ( ومن هذا أيضاً ما يفعله مص لأطفال الصغار من الخطأ بالحكاك ( الطباشير ) أو بالأقلام على الألواح والقرامليس ) ونسب منهم بالأشياء ليدركوا مسمها وما فيها من خشونة أو نعومة . . . الخ . . . الخ . وقد سمي لمربون هذه الطائفة من الألعاب « ألعاب الحواس » أو « الألعاب الحسية » لأنهم قد زودوا بالاتجاه نحوها لتدرب حواسه على القيام بوظائفها العامة .

٢ - ألعاب الحركة . - وهي أجل من أن تخصي : ووظيفتها تدريب قوى الطفل حركية على أداء ما خلقت له . وتنقسم من هذه الناحية إلى قسمين . يقوم القسم الأول منها بوسيلة لتدريب على تنسيق الحركات . ولا تيان بها على شكل يؤدي إلى نتائج معينة : ( الرمي وكرات لتصيب هدفاً معيناً ، أو لتتجه اتجاهاً خاصاً - تلقفها - لعبة القفيري (٢) . لعبه

(١) راجع هذه النظرية بمدد يوليو سنة ١٩٣٢ صفحات ٣٢٣ وتوايها .

(٢) لعبة للصبيان يتصون خشبة ونق فون عليها .

« كيك على العالي » . . . وما إلى ذلك ) : ويقوم القسم الثانى منها بوظيفة التدريب على الاتيان بحركات قوية تتطلب مجهوداً : ( اعدوا : المسابقة فيه ، الوثب من مكان مرتفع ، التدرج ، الطفور ، تحطى الوهاد ، القذف بالحصى إلى مكان بعيد . . . الخ ) .  
ومن ألعاب الحركة أيضاً ما يسمونه « الألعاب اللفظية » ، وهى المنطق بكلمات متناهية عدة مرات مثل :

« وليس قرب قبر حرب قبر » ، « غربال غربلها به وغربال ما غربلنا بوش » . « بربرى برنيل بنى منبر . وبربرى برما طلع منبر بربرى برنيل » . . . الخ . — وفى اللغة الفرنسية :  
( Didon Dina Dit - On Du Dos D'un Dodu Dindor )  
( Chasser Sachant Chasser Sans Son Chien )

٣ — الألعاب النفسية . — وتشمل كل لعب من شأنه أن يدرب قوة من قوى النفس على القيام بوظائفها ؛ وهى تنقسم إلى ما يلى :

( ١ ) — الألعاب الفكرية . — وهى الألعاب التى تعتمد بشكل أساسى — على قوة من قوى التفكير : ( الاستدلال ، الحكم ، الموازنة ، الذاكرة ، الفهم ، التأمل ، الخيال الحى ، الخيال الاحتراعى . تداعى المعانى . . . الخ ) . وذلك مثل لعب ( السمجة ) ، الورق ( الكشبية . النرد . الشطرنج ، الألغاز والأحجيات ، رسم شئ سبق للطفل رؤيته ، اختراع حكاية . . . الخ هذا ، ولما كان « الخيال الاحتراعى » قوة تقسية يحتاج إليها الانسان فى حياته . فهو الدعامة لجميع مظاهر تفكيره ، ولكل أعماله العقلية ، والخاصة التى باعدت ما يسه ويرى بقية أصناف الحيوان ، ومكنته من أن يسيطر على الطبيعة ، ومن أن يؤلف من شئ العناصر المادية والمعنوية تلك المجموعات الاحتراعية التى يرجع إليها الفصل كله فى حضارة بى الانسان ( العلوم ، الفنون ، الفلسفة ، المهنات الصناعية . . . الخ ) ، — لذلك رود الطفل بالتحديات نحو طائفة كبيرة من الألعاب . لا غرض منها إلا تدريب قوة خياله الاحتراعى . وإعدادها لقيام بتلك الوظائف الجليلة التى خلقت لها . على أننا إذا أنعمنا النظر فى بقية الطوائف المعينة ، نكد نلحظ فيها على صنف لا يستخدم فيه — بشكل ما — الخيال الاحتراعى .

وبفضل هذا الخيال أمكن الطفل — فى ألعابه — أن يعطى الأشياء والاناسى ما يشاء من الصفات : يرى فى قطعة خشب أحياناً فرساً ، وآلة سفينة ، وتارة قاطرة بحارية ، وحباً إنساناً . . . ينفخ خياله الروح فى الجمادات ، ويحرك الساكنات ، يمنح نفسه ما يشاء له هواء من الألقاب والرتب : ينتقل من سدة العرش إلى كرسي الوزارة . ومن سلوة القائد إلى حضور الجندى ، ومن منزلة الأستاذ إلى مكانة التلميذ . . . ليس عليه بمستنكر أن يجمع العالم فى شخصه .



وقد نكث عليه هذه الأوهام نفسه ، وتختفى أمام شمسها الوهاجة نجوم تفكيره ، فيظن واقع يمتق مع أهوائه ، ويرى حقيقة ما هو من محترعات خياله .  
وليس هذا قاصراً على حياته اللعبية ، بل قد يمتدّها إلى حياته الجدية . فكثيراً ما رأينا أن لا يفرقون حقائق الأشياء والوقائع عند ما يسألون عنها ، ويحتملونا على أن نصفهم بالكذب لِقَوْلِهِمْ ، وما في الغالب بكاذبين ، وإنما هو خيال اختراعى قد استحوذ على قلوبهم ، واخفى أمامه كل ما عداه من مظاهر تفكيره ، فحسبوا حقيقة ما هو من مختلفاته . — وعلى هذه قاعدة قرر كثير من علماء النفس عدم الاعتداد بشهادات الأطفال في القضاء ( انظر مثلاً ما كتبه الأستاذ جونكير في مؤلفه « كذب الأطفال » ) .

هذا . ومن الألعاب العقلية « ألعاب حب الاستطلاع » . وتشمل الأسئلة التي يلقيها الأطفال في سبيل معرفة مهابا ما يحيط بهم من الأمور المادية والمعنوية ، والتي يكلفون بها الكلف . ويخصّصون لها أكبر قسطن من مظاهر نشاطهم اللعبي في بعض أطوار طفولتهم ، ( سمي الأستاذ من سى هذه الأطوار « الأطوار السائلة » ) ، كما أنها تشمل أيضاً « ألعاب التحليل والتحطيم » التي لا يلجأ إليها الطفل في الغالب إلا مدفوعاً بفرصة حب استطلاع له لعناصر الأشياء ومعرفة ما تحتوي عليه .

(ب) — الألعاب الوجدانية . — وهي الألعاب التي يحاول الأطفال بوساطتها إثارة عواطفهم المختلفة مثل عاطفة الألم ، ( يتضارب الأطفال في بعض ألعابهم بعضاً رقيقة لينظروا بهم يتطليح تحمل كبركية من الضربات دون أن يصرخ ... الخ ... الخ ) : — وعاطفة خوف . ( ومن ذلك الألعاب القصصية التي يكون موضوعها الجن أو الفول ، واللعبة التي سببها القرنية « لعبة الوحش الأسود » . وهي التي يختفى فيها أحد اللاعبين ليثب على زميله . لدى يبحث عنه على حين غرة منه . وثوباً يملؤه خوفاً ورعباً . ومن ذلك أيضاً تعرض الأطفال سرّاً لغيره : يقرعون أبوابها أو يدقون أجراسها ثم يركضون عدواً خشية أن يلحق بهم الثوب أو صاحب المنزل ... الخ ... الخ ) : وعاطفة الجمال : ( عمل نماذج من الصلصال ، به منارل من الرمن . رسم صور الأشخاص والأشياء . التلوين ... الخ ) . وما إلى ذلك من مظاهر وجدان التي يصيق المقام عن حصرها ، وعن حصر الألعاب التي من شأنها أن تقوم بتدريبها على أداء وظائفها العامة .

(ج) — الألعاب الإرادية . — وهي ألعاب من شأنها تدريب قوة الإرادة ، وهما لألعاب التي تتطلب من الطفل مجهوداً إرادياً لإيقاف حركة من حركاته الجسمية . ( يقص قصة مسككة ، أو بحث عضواً من أعضاء الجسم المثير حكها للضحك ، لينظر أي اللاعبين أقدر على كتمان انفعالاته ، محاولة بعض الأطفال إيقاف تيار ضحكهم ، عملهم على ألا يظرفوا أبصارهم

عند تقريب يد أو شيء نحو أعينهم . محاولتهم عدم الحركة تقليداً للتثليل . وحسن التمسك بحاكة للأموات ... الخ ... الخ ) .

ومن القسم الثاني . ( وهى الألعاب التى يعز بها الطفل على أعمال خاصة يحتاج إليها في حياته المستقبلية ) ما يأتى : —

١ — ألعاب المصارعة : — وتشمل كل الألعاب التى من شأنها أن تدرب العنصر الحسنى للجسم أو على الدفاع أو على كليهما معاً ، وتنقسم إلى قسمين . ألعاب مبارزة حسمية ( المصارعة ) وللاكمة ... الخ ) . وألعاب مبارزة عقلية ( التكات المحورية ، المسابقات الرياضية . وما إليها ) .

هذا . ولا نكاد نعثر على صنف من الألعاب لا يعز فيه الطفل على المصارعة . فكأن تقريباً تؤدي هذه الوظيفة ، غير أن منها ما يؤديها أولاً وبالذات أى كوظيفة أساسية . وهى الألعاب التى وقفنا عليها هذا العنوان . والتي ذكرنا مثلاً منها ( . ومنها ما يقوم بها ثانياً ولغرض أى كوظيفة غير أساسية ) ( الشطرنج ) ، و « التينس » ، وكرة القدم ، وتسلق الحبال . وما يرد ذلك من الألعاب التى يكون حب التغلب على خصم حسى أو معنوى . أى على شخص أو على صوره . سبباً من الأسباب الدافعة إليها ) .

٢ — ألعاب الصيد : — وتشمل كل الألعاب التى من شأنها أن تدرب العنصر الحسى للأغراض الضرورية للقبض ( المتابعة ، الاختفاء ، البحث ... الخ ) . وتنقسم إلى قسمين : ألعاب صيد حقيقى . ( ومنها ما يولع به الصبيان الذكور فى بعض أطوار طفولتهم من متابعه خنثرب والجراد . وصيد الطيور بالأشراك وغيرها . وهدم أعشاشها للحصول على صغارها وعلى بيضها ... وما إلى ذلك ) . وألعاب تشبه عناصرها عناصر الصيد ( لعبة البحث والاختفاء ، الاستغاية » وما إليها ) .

٣ — ألعاب الجمع : — وتشمل كل الألعاب التى يرصى بها الطفل غير فى الملك والانداد . والتي من شأنها أن تدربه على الحرس . وبعد النظر . والتفكير فى حوائج العدد . والاستئثار بملك الأشياء . ومنع غيره من أن يمتد يده إلى ما يملك ... الخ .

يولع الصبيان بهذه الطائفة من الألعاب فى طور من أطوار طفولتهم . فتراهم يجمعون كل ما تصل إليه أيديهم . إذا فشت فى جيوبهم أو فى حقائبهم . أو فى الزوى التى يمتدحون عقارب الخاص . وجدت ثمة محازن قد وسعت كل شيء . بها من تافة الهبات ما تقضى عهداً لاهتمامهم بجمعه . وما لا يمكننا أن ندرك عظم قيمته فى نظرهم . إلا إذا نتيج لنا أن نسمعهم بالجوع إلى أطوار طفولتهم الأولى : قصاصات ورق ، طوايع يريد مستعملة . تذاكر زرة . مسابرة قديمة . قطع من الخصى والصدف والأحجار والخشب والطين والفحم ... حشرل

بته . قمشة محتممة اللون . . وما إلى ذلك من الأشياء التي لا سعادة لمطفل حينئذ إلا في كبر حجمها ، وزيادة كميّتها .

٤ - الألعاب الأسرية : وتشمل كل الألعاب التي من شأنها أن تدرب الطفل على حياة الأسرة وهي ما يتطلبه تكوينها وإدارتها . وأهمها أربعة أنواع :

ألعاب العرائس : وهي من أكثر الألعاب انتشاراً ، ومن أقدمها في النوع الإنساني . ثم تذكر أقدمها ( تحبب بها الطفلة داعي غرائز كثيرة . أهمها : غريزة الأمومة ، وغريزة سيرة والحكم . وغريزة التقليد : وتدرب بواسطتها على ما ستقتضيه حياتها عند ما تصبح ربة منزل .

ب - لعب الزواج : وهي التي يتزوج فيها دكور الأطفال بأنثاهم . ويحاكون أثناءها عيّداتهم لدينية والقضائية والعرفية المتبعة في الخطبة والعقد وزف المروس إلى زوجها . وما إلى ذلك .

ج - لعب لأم والأب : بعد أن تتم حفلة الزفاف يهتم العروسان بتعليم حياتهما فيعمدان رطب ( بلكونة ) ، وإلى نافذة من يوافد المنزل يحملانه محلاً مختاراً لاقامتتهما . ويقسمانه إلى حجر ومرافق يجيزانها ما يشاءان وتشاء لهما أهواؤهما من الأثاث . وسرعان ما يرضقهما الله بمولود سبيل ( قلب طوب ) أو « عروسة » : وعندئذ يستقبلان حياة جديدة ملائمة بالجد . ومن الذي يوزعانه بينهما توزيعاً يتفق مع واجب كل منهما نحو أسرته : على الأب السعي في مكسب لأرض وابتغاء الرزق . وعلى الأم تدير منزلها والقيام بشئون ولدها الصغير . . .

اليس هذا هو كل شيء في حياة الأسرة ؟ اللهم بلى !

د - لعب التدبير المرحلي : الفهوى ، والخبر ، والفصيل . وما إليها وهي منتشرة بين إناث الصغار أكثر من انتشارها بين ذكورهم . والسبب في ذلك واضح .

هـ - الألعاب الاجتماعية : وتشمل كل لعب من شأنه تدريب الطفل على الحياة الجمعية . وهي تكون إحميات وما إلى ذلك . ولأهمية هذه الأمور للنوع الإنساني . لا تكاد نعتز من لعب لا يمكن إدخاله في هذا القسم ( اللهم إلا الألعاب الفردية البحتة ) .

٦ - لعب الصناعات : وتشمل ألعاب النسيج . لعب الخياطة ، ألعاب الحدادة ، ألعاب النجارة ، ألعاب البناء . . . الخ .

٧ - الألعاب الزراعية : ومنها ألعاب الحرث والسقي والفلح وتربية الدواجن وما إليها .

٨ - لعب السباحة ٩ - لعب الجندي والشرط ١٠ - لعب الرقص ١١ - لعب

ولا يفوتنا قبل أن نختم هذه الفقرة ن نلته إلى أمرين :

١ - إن الأقسام السابقة كلها ليس مفصلاً بعضها عن بعض الانفصال الذي يوجهه هذا التقسيم ، وأنه قد تتوفر في صنف واحد من اللعب عدة صفات تسمح لنا أن نعمله من أفراد قسم كثيرة . فالشطرنج مثلاً يصح اعتباره من الألعاب العقلية ومن الألعاب الوحشية ( فهو يثير عاطفة الخوف ) ومن ألعاب المبارزة . . . وهم جرا .

٢ - إن أهم ما رى إليه في هذه الفقرة إنما هو البرهنة - بشكل غير مباشر - على صحة نظرية كارل جروس (١) وبيان أن جل طوائف اللعب تقوم بتدريب الطفل على ما تنميه حياته المستقبلية .

على عبد الواحد وافي

دكتور في الاداب من جامعة باريس

## المعاني الافلاطونية عند المعتزلة

[ بقية المنشور على الصفحة رقم ٤٣٧ ]

« وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة ؟ إني أراك وقومك في ضلال مبين [٧٤] . وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين [٧٥] . فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي . فلما أفل قال لا أحب الا فلير [٧٦] . فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي . فلما بر قال لئلا يهدي ربي لأكون من القوم الضالين [٧٧] . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي . هذا كبر . فلما أفلت قال يا قوم إني أرى مما تشركون [٧٨] - إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين [٧٩] » .

ومن هذا يتضح أن إبراهيم لم يرض بعبادة الأوثان التي كان يؤمن بها قومه . ففكر في عبادة الكواكب ، ولكن لم يرضه أفولها وغيابها وتغيرها ، وتشهد لنا هذه الايات بوجود عبادة الكواكب في جزيرة العرب قبل الاسلام ، أو تؤكد لنا على الأقل علم العرب بهذه الديانة قبل البعثة النبوية الاسلامية .

محمود الخضيرى

( يتبع )



بقلم الدكتور علي مظفر

١ - عذراء أورليان

ولم الكتاب والأدباء بسيرة تلك العذراء الفرنسية، التي حاربت وقادت الجنود لمحاربة  
عدها منها إذ ذاك، ولطرد الانحدار المحتلين من أرض فرنسا، وقد أغرم الناس بذكرها، ولذا  
بى عدة قصص ومسرحيات بهذا الاسم على تلك الفتاة، ومن أولئك الأدباء شاعر  
تلك الكبير، بل ربما كان من وأئلهم في ذلك المضار.

وعذراء أورليان هي جان دارك المولودة سنة ١٤١٠ في قرية (دوم رمس) بالقرب من  
بوكوير في مقاطعة الشمباني، وكان أبواها مثرين سرين، وفي ذلك الحين كانت إنجلترا تحارب  
رب سين طويلة. وقد حارب ملك إنجلترا هنري الخامس (١٤١٣ - ١٤٢٢)، وامتصر  
تصراً داهراً في موقعة (ارنكور) سنة ١٤١٥ على ملك فرنسا شارل السادس الضعيف العقل  
(١٣٨٠ - ١٤٢٢). وفتح هنري بلاد النورماندي وكل الأراضي التي في شمالي اللوار تريباً،  
حي أن حلفه هنري السادس (١٤٢٢ - ١٤٦١) كان يسمى ملكاً على أكثر الجزء الشمالي  
من فرنسا. وقهر ملك فرنسا شارل السابع (١٤٢٢ - ١٤٦١) بعد كل تلك الانتصارات  
لاحدية. وقد انضم إلى الانجليز كل من إيرابو أم شارل ودوق البرجند. وحاصر الانجليز  
مدينة أورليان. وأصبحت على وشك التسليم للأعداء. وعندها تقدمت عذراء من أورليان  
وفدت صفوف الفرنسيين واضطرت الانجليز لرفع الحصار عن المدينة (سنة ١٤٢٩). وأرادت  
رتود ملكها في منطقة الأعداء إلى مدينة ريمس لتتوجه هناك. ولكنها وقعت أسيرة  
في يد أعداء بلادها الانجليز بمدينة كمين، وقدمت لمحاكمة كلها خزي وعار، وأخذت سنة  
١٤٣١ إلى مدينة روان، وأحرقت الانجليز وهي حية لاثامها بالكفر والزندقه، ولو أنه أعلن  
سنة ١٤٥٣ أنها كانت عفيفة لا ذنب ولا جرم عليها. هذا هو التاريخ الصحيح ولو أن  
شلم يراعه تماماً في فاجعته التي كتبها عن تلك الفتاة.

لما ساءت خيالية لما بها من اعتقادات بالولاية والكرامات الدينية أثناء القرون الوسطى،  
وكثر جزائها خيالاً خاصاً بأهم شخصية للقصة نفسها. فأنت تجد العذراء ناعمة رقيقة شفيفة  
دنت شعور وإحساس سام. وقد قادتها نوازع الوحدة وميلها للحمية الدينية وتعصبها للمعتقدات  
لذات تنس بعالم الأرواح، وطهرت لها مريم أم المسيح كما تظهر أمثال تلك الأرواح في المنام.

فلتبتها واجبتها نحو وطنها المهديد بالأعداء وأنه يجب عليها أن تنقذه وأن تنجي ملكها وأخبرتها أنه للقيام بذلك الواجب يحب عليها أن تنبذ كل حب للرجال ، وأنه يحب عليها أن لا تبقى على أى عدو أو أن تراعيه ، وقالت لها : « يجب عليك أن تقتلى كل حي يثبت به إيد إله الحرب » . وأصغت العذراء للمصيح والارشاد وهجرت حبيبها . فغم ذلك بأها بد مشق الحياة وهلاذها الدنيوية . وحلفت كل عواطف الأوثنة وإحساسها الرقيق أثناء حرب . ورفضت الزواج بقائدين ناسلين رغبا فى إساءة بها . وهما دونوا ولادير . ولما اقترب منها موى موتجمرى راحيا منها العقو جعلت تنظر إليه . ولكنها لم تعطف عليه . ولم ترق له ولم ترم به ولم ترض ببطل آخر . وأخيرا اقترب منها ( ليونل ) أبى القواد الانجليز . وكانت تقترب عليه . وعند ما وقع نظرها عليه لم ترقته . بل أحب قلبها عدو بلادها . ولكنها ما لبثت أن اعترفت بخطأها وهى تبهرم وتتأدى . وجاء وقت الاستغفار . وكان ما كان من ونوعه في يد أعدائها وحرقتها وهى على قيد الحياة .

وكتب شار بعدئذ مأساة جديدة أسمها ( عروس مسينا ) و ( الاخوة الأعداء ) . وكان ذلك فى سنة ١٨٠٣ ، وهذه هى المفاجعة بإيجاز :

فى بيت أمير مسينا ترى جدا يلعب أعقاب لهذا محمداً ، وهو فى حلم . وقد رأى لأمرى حمه شجرتين من شجر الفار بينهما زنبقه صارت لهما والهمت ما حولها بسرعة . وفسره عربى ذلك الحلم بأن سيكون للأمر بنت سوف تسب خراب ولديه وأعقابيه وأولاده . ولما سمع الأمر ذلك التفسير أمر بأن يقتل ابنته التى ولدت بعدئذ بقليل . ولكن الأميرة رت حة آخر . فقد رأت طفلا جميل الحلقة يلعب فى الأعشاب وحاء أسد من الغابة فوحد فى حجر من صيده . وكذلك فعل النمر الذى اقتض من عل . وبقي الأسد والنمر عند أقدام لسن . فحبره راهب . كانت تحدى كلامه المصحح والسوى . بأن تسمير ذلك : أن ابنتها التى ولدتها سوف حمى بن ولادها المصاب . وبذلك تحت الابنة من الهلاك . وزكمتها الأميرة فى دير . وأخذت القديسه ( سيسلى ) فى تربيته وتهذيبها . ولبثت اثنتى سنين وهى ممتنة فى ذلك الدير . ثم مات الأمير وفى أثناء تلك المدة شب ابنا الأمير وترعرعا ونشأ بينهما حصار وكراميه . وطالما عاش الأمير كن يسكت ما يخدم بينهما من الجاح ، وما يشب بينهما من عداوة وحصار . ولكنها لما مات استمر لبيب العداوة بينهما ونشبت الحرب بين الأخوين . وهددت كيان البلاد . ونجحت الأم فى سماعها . وأصبح الأخوان على أن يمتا فى قصر بينهما عسيما وهما فى وفاق . ولما عاد لهما السرور وعلمهما الجور . حزنه الأم تحكاية أحتهما . وأخبرها الولدان بأنهما خطبا عروسين . وسوف يقدمانها لأمه . ولكن ما لبث أن انقلب السرور إلى حزن . إذ ظهر أن كلا من الأخوين يجب أحته المثار . لى فقد رأى الدون مايول أننى الأين فطاردها يريد اقتصاصها حتى وصل إلى حديقة لدير . فخرج ياتريس فأحبها . وتمكن حمها من قلبه . أما أخوه الآخر دون سيرار . فقد رآها يوم حة .

يه في كسيمة تقصر فأحبها عندئذ ولم يشك في حبها له ، وفي ليلة اتفاق الأخوين أخذ ما ينول حبيته من الدير وفر بها . وجاء بها إلى حديقة منفردة ، ولما تصالح هو وأخوه أسرع إلى ذلك لأحصادها فتصبح أميرة في قصر أبيه . وجاء جاسوس إلى سيرار وأخبره بقرار حبيته من دير وغوى به حبه لها . فطعن أخاه - وهو مغضب - لأنه ظن أنه حابه ، وأمر فأحصرت بارس لامها وكشفت عن الحقيقة . ولم يلبث المطمعون أن مات ، وأن انتحر الأخ الآخر . وحق في ذلك تفسير الحلم الأول .

ونرى من ذلك أن شاعر قد حافظ كل اعاقطة على الأصول العتيقة في تلك الفاجعة . بينما قد ركن إلى الخيال في ( عذراء أورليان ) . ونعني بالأصول العتيقة : ما تراهم من فكرة القضاء بدمه . وما قسم لأسرة بأكملها أو تهلك . لما جره عليها ذنب الأحقاد . وأن ليس لأحلاق الناس ولا لأرادته علاقة ما بالمقدور . بل يلبث محتميا ويدفع الناس للهلاك . فلكل ما قدر . وس من منقذ ولا شفيع . ويعتقد الإنسان أنه باحتراسه سوف يحو فيكون في ما ظننه ملاك . وكذلك تم الأمر في تلك الفاجعة . وقد سار شاعرنا على طريقة القدماء بأدخاله التراويل في سلك الدجعة ، وإن كان لم يتبع طريقة لاغريق في كتابة المآسي تماما . وشخصيات الفاجعة ست وصحة معينة تماما . وإنما تبين حدودها . ولكن لفاجعة عظمتها التامة وروعة أسلوبها الشعري .

## ٢- فيلم تل

كتب شعر تلك المأساة سنة ١٨٠٤ . وكانت حتام ما كتب من تلك المآسي . وفي ( فيلم تل ) . وقد عاد إلى نوع المآسي التاريخية الفعلية . فتراه في تلك المأساة قد أوضح عن آرائه في خربة إصباحا كافيا . وهي التي ظن ينادى بها منذ نشأته ، وفي مآسي صباه وشبابه . وتعالج مأساة فتنة ثلاثة من السويسريين هم شوتير وأوري وأوتر فالدين ، وجرهم ضد الدوق البرشت نسوي الذي أصبح بعدئذ قيصر ألمانيا . وسمى البرشت الأول . وظل كذلك من سنة ١٢٩٨ - ١٣٠٨ ) ، وكان يرى استعباد سويسرا وأهلها . فأرسل إليها حكما ومفتشين لهم متعسرين متعجرف . فطاموا البلاد والعباد . فطرح اسويسريون الدير عن أعناقهم . وتمت . حد عقد في ( مرج رتلي ) الواقع على بحيرة الأقاليم الأربعة ذات الغابات بسويسرا . وقد شتم بلاد من عدوها لا كبر الحاكم جسر وانضم إليه كثيرون . وفي تلك المأساة يظهر نوع من رحل العمل . ومع أنه كان مغرما بحب بلاده ، إلا أنه لم يشترك في اتحاد رتلي المشار إليه . ومن العجب أن شعر لم ير في حياته سويسرا . ولكنه قد أحاد في وصفها وصفا صحيحا . وقد ضاع قبل كتابته تلك المأساة من المراجع : تاريخ حلف السويسريين ليوهانس فون مول ولد سنة ١٧٥٢ في شافهورن وتوفي في كاسل سنة ١٨٠٩ ) . وله تأليف أخرى . كما أنه راجع

حوادث ( اجيديوس تشودى )، وقد اتبع شرف قصته ما فيهما من حقائق، حتى أنه نقل الحظ التي نقلها ( تشودى ) في حوادثه .

وقد دعى لبرلين ليحضر تمثيل فيلهم تل هناك ، ولكنه أبى ، وقد تحسنت حالته العامة في سنه الأخيرة، وانتقل من عسر - كالخه في صباه - إلى يسر ظاهر . وأنعم عليه فيصر لذي بلقب تشريف ، بناء على إيعاز من ( الهر تروج ) اعترافاً بخدماته، وكان ذلك سنة ١٨٠٢ . ولما احتفل بزواج ولي عهد فيمار عبي الأميرة العظيمة (ماريا بولوفنا) أنشد قصيدته (نعمة القصور . وكان في عزمه أن يكتب أثاراً أخرى ، منها فاجعة جديدة اسمها ( شمتر يوس ) من خير ما كتب الشاعر ، ولكنه لم يتمها ، فقد عاجله الموت بفيمار في اليوم التاسع من شهر مايو سنة ١٨٠٥ . وقد عاشت أرملة في بون إلى سنة ١٨٢٦ ، وخلف كارل وأرست وابنتيهما كارولينا وإميل ، وقد توفيت الأخيرة سنة ١٨٧٢ ، ومات آخر حفدته الذكور سنة ١٨٧٧ . وكان بكباشيا في الجيش النمساوى ، ولا يزال ابن حفيدته يعيش حتى الآن في مونيخ وهو كاتب معروف .

على مظهر

## وصف العود

للأستاذ مصطفى جواد (بغداد)

شيخ المعازف طول عمره	أعصابه من فوق انحره
يبكى فيصمت فجأة	فكان حشرة بصدرة
ويظل طوراً نائماً	فتظنه يبكى بسحره
وعلى كلا الحالين ير	عشياً أمى لغريب أمره
أمريض حتى نافض	أم واصف ضربان دهره
أم ريشة المواد آ	ذته فبدد كل صبره
واهتاج ينفض نفسه	كالبيت ينشر بعد قبره
ضربوا به كل اللحو	ن فياله جهلا بقدره
أتراه للأفراح تو	أفا وذاق وبال صمره
شيخ يحارب دهره	للا ك لم يظفر بنصره

مصطفى جواد

# النفس والله في فلسفة أفلاطون

بقلم الاستاذ يوسف كرم  
مدرس الفلسفة بالجامعة المصرية

## النفس

( أ ) إن فكرة النفس ماثلة في جميع مؤلفات أفلاطون . وقد رأينا أن نظرية المثل نفس القول بالنفس موجودة قبل اتصالها بالبدن ، من حيث إن هذه المثل ليست متحققة في التحركة ولا مكتسبة بالحواس . فلا بد من قوة روحية تعقلها ، أو بالأحرى تذكرها ، بعد عقلها في عالم يماثلها . ورأينا في ( ثيماوس ) والقوانين ، أن المادة لا تتحرك بذاتها . فلا بد لتفسير الحركة من الرجوع إلى مبدأ غير مادي يتحرك بذاته ويحرك غيره ؛ وأن الجوهر مستمر لا يعقل ، فلا بد من وضع العقل في جوهر لسيط هو النفس : أضف إلى ذلك الرد من المذهب المادي القائل في ( فيدون ) : إن النفس توافق العناصر المؤلفة للبدن بحيث لا يكون لها وجود ذاتي بل . تكون كالنغم بالاضافة إلى الآلة والأوتار ( 85-86 ) بأن توافق النغم بتيجه ، والنتيجة لا تباين المقدمات . ولكن النفس تدبر لبدن وتتحكم في أعضائه . بل تقاوم البدن بالإرادة متى كانت حكيمة . ولم يكن ذلك ليتأتى لو كانت النفس نتيجة لنسق البدن وطبائعه فليست نهم . ولكنه الموسيقى الخفى الذى يحدث النغم ( 87 ) . وعلى ذلك فالنفس حقيقة لا ريب فيها يدل على وجودها تذكر المثل والتعقل الخالص وحركة البدن وتديره بمقتضى الحكمة .

( ب ) على أن رأيه في ماهية النفس وعلاقتها بالبدن لا يخلو من التردد والغموض . ففى « وه الواحدة » « فيدون » يتحدث النفس تارة بأنها فكر خالص . وطوراً بأنها مبدأ حياة وحركة « جسم » دون أن يبين ارتباط هاتين الخاصيتين ولا أيتهما الأساسية . وفى لمقالة الرابعة من « جمهورية » يجعل للنفس ثلاث قوى : العاقلة والفصية والشهوية ، ثم يقول في « ثيماوس » : « نفس ثلاث : الواحدة إلهية حائدة والأخرى طبعيتان فانيتان . ويميز لكل منها محلا في بدن . وبيننا يشبه النفس في « فيدر » عركية مجنحة ، الحودى فيها العقل . والجوادان الإرادة والشهوة . ويرى أنه قد يحدث في الحياة السعيدة التى تقضيها النفس مع الآلهة



أن الجودى لا يحسن القيادة ، أو أن يعصاه الجوادان ، وخاصة الجواد الجوح بالطبع وهو الشهوة ، فتعبط النفس من مقرها الالهى - إذا بكلامه فى « ثيماوس » يشعر أن العصبية والشهوية صنعهما الآلهة للحياة الأرضية والوظائف البدنية .

كذلك الحال فى علاقة النفس بالبدن . فتارة يعتبرها متميزين تمام التمايز . فيقول : إن الإنسان النفس ، وإن البدن آلة . وطوراً يضع بينهما علاقة وثيقة ، فيذهب إلى أن البدن يشغلها عن فعلها الدائق - وهو الفكر - ويحجب لها أهم احتياجاته ولداته وآلامه . وأن الموت خلاص لها . وأن مهمة الفيلسوف العمل على الحياة من البدن جهد المستطاع وريصه المسمى بموت ( Phedon 64-66 ) دون أن يبين ماهية هذا الاتصال وإمكان هذا التمايز بين المادة وروح تفاعلا يذهب - فى ثيماوس مثلاً - إلى حد علاج النفس بالبدن والبدن بالفلسف . وقيد شعور والادراك فى النفس عند تأثر البدن بالحركة المادية على ما بين هذه الحركة وأغاهرة السمية من ثيماوس .

( ج ) وشغل أفلاطون شغلاً كبيراً بمسألة الخلود . ذكرها مراراً قبل أن يخصص . « فيدون » وكان يحس إحساساً قوياً بخطورتها ووجوب بحثها من جهة ، ولضعف عقله من جهة أخرى . فقال هذه العبارة الحامعة : إن العلم بحقيقة مثل هذه الأمور يمنع أو عسير جداً فى هذه الحياة ، ولكن من الجبن العدول عن البحث واليأس قبل الوصول . آخر مدى العقل . فيجب إما الاستيناق من الحق . وإما - إن أمتمنع ذلك - استكشاف الدليل الأقوى والمخاطرة عليه لاجتياز الحياة ، كما يخاطر المرء بقطع البحر من لوح حطب ( Phedon 85 ed ) . وهو يسوق أدلة ثلاثة : الأول أسهلها تناولاً . لأنه قائم على حقيقة القويمة وهى : ( أرفيه ومصرية وفيثاغورية ) بتداول الأجيال البشرية . فإدراك صحة أن النفس التى تولد فى هذه الدنيا تأتى من عالم آخر دهمت إليه بعد الوفاة . وأن لاجباً بمنور من الأموات . ينتج لنا أن النفس لا تموت بموت البدن . ثم يدعم الدليل ويقول : ونحن دائرنا فى التغير بالاجمال - وهو قانون العالم - سوس - وجدناه تبادل دائراً بين الاضداد بتولّد الأكبر من الأصغر ، والأجس من الأسوأ وبالعكس . فتصح لدينا العقيدة القديمة بأن الحياة تبعث من الموت . ولو لم يكن الأمر كذلك لانتبهت الأشياء إلى القضاء . وإذ قد كانت النفس قبل الولادة وستبقى بعد الموت ( 70c-72c ) . ويتأيد هذا الدليل من ناحية أخرى . ذلك أن هناك ضدين هما العلم والجهل ، وبعداً من نوع آخر هو تذكر المتس . فإدراك كانت النفس قد عرفت المثل قبل هبوطها إلى الأرض . فليس ما يمنع بقاءها بعد الموت ( 72e-77d ) .

والدليل الثانى يدور على تعقل المثل . فإن هذه بسيطة وبالتالي ثابتة . إذ أن المركب هو

التي يحل إلى بساطته ويتحول ، أما البسيط فلا يجوز عليه تحول أو انحلال ؛ فلا بد أن تكون النفس التي تعقل المثل شبيهة بها على حسب القول القديم : الشبيه يدرك لشبيهه . وعلى ذلك فالنفس بسيطة ثابتة ( 78b-84b ) .

ولكن أفلاطون يقر أن كل ما يدرم من الدليل الأول بفروعه الثلاثة هو أن النفس كانت من ولادة ، ومن الثاني أنها شبيهة بالمثل : فن هذين الوجهين لا تتناقى حصاً نصها مع البقاء . أما لبقاء نفسه فما يقيم البرهان عليه . إذ من يدرينا أن النفس لا تقى بتلاشي قوتها بعد أن تكون تجمعت أجساماً عدة ؟ ( 86e-88b ) . هنا يلجأ أفلاطون إلى نظريته في المثل والمشاركة . ويقدم دليلاً ثالثاً . فيقول : لما كانت النفس حياة فهي مشاركة في الحياة بالذات ولا تقبل فيه ما هو ضد لها إلا وتتلاشى كما يتلاشى البارد إذا قبل الحار ، ولكن النفس لا تقبل موت . فانها منافية له بالطبع من حيث إنها مشاركة في الحياة بالذات البسيطة الباقية . فالنفس لا تتلاشى ( 105c-107 ) .

غير أن شعوره المزدوج بعظم المسألة وبالضعف البشري لا يفارقه . فتراه يعلم أن هذا الشعور يضطره لبعض التحفظ براء هذه الأدلة على وجاهتها عنده : بل يذهب إلى أن مقدماتها نفسها مفتقرة لبحث أوكد ( 107ab ) : وهو يعود لموضوع في « فيدر » ( 21c-22a ) ثم في « القوانين » ( 893-896 ) . ويمرس دليلاً جديداً قائماً على ما أسلفنا في قسم الحركة إلى ذاتية وقسرية ، وتعريفه النفس بأنها ما يتحرك بذاته . ويحرك المادة فيقول من ناحية : إن ما يتحرك بذاته فهو خالد ، من حيث إنه لا يوجد فيه ولا في غيره ما يقف حركته : ومن ناحية أخرى : إذا كانت النفوس علة الحركات الطبيعية فهي باقية ، إذ لو كانت تنهى لانتهت الطبيعة أيضاً . ولما ندرى مقدار ثقته بهذا الدليل . وإذا رجعنا نقوم أدلته وننجز مقدماتها — كما يريد — وجدنا الأول يسلم بالدور تسليماً ، ولا يحاددهم وحده حتى يقر في غلط هو أنه بالمغالطة حين يدعى أن الضد يخرج من الضد ، وكلامه يدل فقط على أن الضد لا يقبض إلى ضده حتى يتلاشى أولاً كالخار والبارد . أو يكسب أو يخسر شيئاً كالصغير يصير كبيراً والعكس . أما التذكر فليس التفسير الوحيد لتعقل المثل . فقد نجد لها من الحزنيات على مذهب أرسطو . وأما إن النفس حياة وحركة ، فلا يدل قطعاً على لقاء النفوس الإنسانية . لا إذا صح أنها كل النفوس . وأن الحركة والحياة لها بذاتها . وأن مشاركتها في الحياة بالذات لا يجوز أن تكون مؤقتة كسائر المشاركات . يبقى تعقل المثل ، وهو الدليل الأقوى فيما يرى ، فانه يطر للنفس في ذاتها لا بالإضافة للبدن والطبيعة ، ويراه روحية تدرك الروحانيات وتوق إليها ، وتعلم ما بينها وبين المادة من تغاير . وأن حياتها الخاصة لا تتحقق إلا بخصوصها من المادة في عالم عائلها . وهذه الفكرة منبثة في محاوره « فيدون » من أولها إلى آخرها .

فهما يتشكك أفلاطون في قيمة أدلته ، فإن الشك لا يتناول العقيدة نفسها ، وكانت ثابتة عند من مذهبه بأكمله . ومما كان عملاً قبيحاً من إرادة الخير ، إذ يمتنع على من اقتنع بالزواج والعقل والفصيلة أن يصدق بفناء النفس وغلبة المادة وبظلال الحياة الانسانية . ولو لم ينته إلى البرهان ، بل إن هذا الرجاء وهذا الشوق إلى السماء . وهذا الأسف الرائع لأن وحباً لم لم ينزل ( 85d ) فيحيل الرجاء الجميل يقيناً وطيداً - كل أولئك لا يحمل في طيه البرهان لمير . هل كان الانسان يطلب الخلود لو لم يكن خالداً ؟

أما مصير النفس بعد الموت فله فيه قصص طويلة ترجع كلها إلى أن الاحياء يلحقون بالآلهة وينعمون بسعادة مقيمة : والأشرار يلحقون قصاصهم في الجحيم في بعض المواضع . ويتمصون أجساداً حيوانية في مواضع أخرى . إلى أن يتظاهروا من آثامهم ويعودوا أخيراً وهو في جميع تصوراته يصدر عن وجوب التكافؤ بين العمل والجزاء وإيمانه بالمعدنة لاهيه

الله

(١) إن كتب أفلاطون ملاءى بذكر الله والالوهية والآلهة . وإن لفظ الله مشكك عنده بلا جدال ، وقد مر بنا ما يكفي للدلالة على ذلك : ولكننا نصرف النظر مؤقتاً عن هذا الشرك الطاهر ، ونقول إننا نجد عنده جميع عناصر التوحيد واضحة قوية ، فقد رماه بعبء المبدأ العام : « كل ما يحدث فهو يحدث بالضرورة عن علة » . ويرهن عن وجود الصانع بالحركة والنظام : فمن الناحية الأولى يقسم العلة إلى ذاتية وقسرية ، ويضيف الذاتية للنفس ويرى النفوس حتى يبلغ إلى نفس عليا يسميها الله : ومن الناحية الثانية يقرر أن النظام من العقل . وأن العالم منظم فينتهي إلى أن الصانع نفس عاقلة مفعمة بالخير : وهو في الواقع لا يتهمهم بالحقة إلا على أنها عاقلة . من حيث إن شيئاً لا يفعل إلا إذا قصد ( أو قصد به ) إلى غاية . وإن الغاية لا تتمثل إلا في العقل ، وعند هذه الصخرة يتحطم كل مذهب آلى .

ورأينا يصنع المثل . لأنه وجد المحسوسات تتفاوت في صفاتها ، فذلك هذا التصوت في أن الصفات ليست لها بالذات ، بل هي حاصلة في كل منها بالمشاركة فيما هو بالذات . وحصر بالذكر مثال الجمال في « المأدبة » . ومثال الخير في المقالة السادسة من « الجمهورية » . فضل عن الأول : إنه علة الجمال المتمرق في الأشياء ، والمقصد الأسمى للارادة في نزوعها إلى المسك . والغاية القصوى للعقل في « استدلاله » لا يوصف ، أي لا يضاف له . أي محمول ، لأنه غير مشارك في شيء . ولكن هو هو الاتحاد به تمام الخلود ونهاية الارب : وقال عن شاني « في آخر حدود العالم المعقول يوجد مثال الخير ، هذا المثال الذي لا يدرك إلا بصعوبة . ولكننا لا ندركه إلا ونوقن أنه علة كل ما هو جميل وخير . هو الذي ينشر ضوء الحق في موضوعات العلوم . ويعطى النفس قوة الادراك ، فهو مبدأ العلم والحق يفوقهما جدلاً .

يكره من جمال . هو أسمى موضوع لنظر الفيلسوف ، والغاية من « الاستدلال » تعقله .  
 ورجله ليعجز كل بيان لا يوصف إلا سلباً . ولا يعين إيجاباً إلا بنوع من التمثيل  
 ناقص . وكما أن الشمس تجعل المرئيات مرئية وتعطىها الكون والتمو والغذاء دون أن تكون  
 هي شيئاً من ذلك . فإن المعقولات تستمد معقوليتها من الخير . بل وجودها وماهيتها . ولو  
 خير نفسه ليس ماهية . وإنما هو شيء أسمى من الماهية بما لا يقاس كرامة وقدرة . اعلم  
 الخير والشمس ملكان : الواحد على العالم المعقول . والآخر على العالم المحسوس . ومقصد  
 بلاصور واضح هو أن التفسير النهائي للشيء . هو أن هذا الشيء خير أو مشترك في الخير ،  
 أي أن العلة الغائية هي العلة الحقة المطلقة .

(ب) وفي المقالة المباشرة من « تقواين » يذهب إلى أنه يمكن تقرير بصعة حقائق عن  
 (الآلهة) ، هي وجوده وعنايته وعدلته ، وأن إنكارها جملة أو فرادى جريمة ضد  
 لدولة يجب أن يعاقب عليها لقضاء ، لأن هذا الإنكار يؤدي مباشرة إلى فساد السيرة . فهو  
 خلال النظام الاجتماعي . وقد ينكر الإنسان الله بقاءً . وقد يؤمن به ثم ينكر عنايته .  
 وقد يؤمن به ويعنايته . ثم يتوهم أنه يستطيع شراء رضائه بالتقدمات والقرابين دون التوبة  
 ونية صالحة . والبدعة الثالثة أشنع من الثانية . لأن الإلهام فيها أعظم . والثانية أشنع من  
 الأولى لنفس السبب . فإن إنكار الله أهون من إنكار عنايته مع الإيمان به . وإنكار العناية  
 هو من تصوير الله مرتشياً . والأولى والثانية جديرتان بالمراجعة ، أما الأخيرة فأحق  
 بالسخط منها بالتفنيد .

ها يبين أفلاطون أن للاتحاد مصدرين كبيرين : الواحد دعوى الطبيعيين أن العالم  
 وحده ما فيها النفوس تحتاج حركة العناصر المادية غير العاقلة . والآخر دعوى السوفسطائيين  
 المادي الخلقية وضعية نسبية ، وأن ليس هناك خير وشر بالذات : ثم يعرض في البرهنة  
 على وجود الله بما سبق بيانه . وينتقل إلى إنكار العناية الإلهية فيقول : إن دليله عند أصحابه  
 نوح الأشرار . ولكنهم وأهول . فإن الآلهة إن كانوا لا يعنون بسيرتنا . فذلك إما لأنهم  
 عاجزون عن ضبط الأشياء ، وهذا محال . وإما لأن السيرة الإنسانية تقع عندهم من أن تستحق  
 عنايتهم . وهذا محال كذلك . لأن كل صانع يعلم أن للجزئيات شأنها في اجمع فيعني بها .  
 بل يكون الله قس علماً من الإنسان ؟ إن ساعة الأشرار آتية لا محالة . أما الشر الطبيعي فما  
 هو في ذاته إلا نقص في الوجود ، أو خير أقل . هو ضد يتميز به الخير كما يتميز الصدق  
 بالصدق لم يردده الله ، بل سمح به فداءً للخير الفاضل على العالم . ويستحيل أن يكون العالم  
 لمصروع خيراً محضاً فيشابه نموذجه الدائم . هو إذن ناقص ولكنه أحسن عالم ممكن . وعناية  
 الله تشمل الكليات والجزئيات أيضاً بالقدر الذي يتفق مع الكليات . ونحن نرى الطبيب

يراعى الكل قبل الجزء . والقنان يدبر أعماله على مقتضى الغاية . ويرى إلى أعظم كل ممكن للكل . فيصنع الجزء لأجل الكل لا الكل لأجل الجزء ؛ كذلك حال الصانع الأكبر . فإن كان الانسان يتدمر . فلا أنه يحل أن خير الخاص يتعلق به وبالكل معاً على مقتضى قوانين الكل . (ح) والآن ماذا عسى أن تكون قيمة ما يديه النقاد من استدراك واعتراض على مذهب أفلاطون في الله ؟ فقد قيل إن كل شيء عنده إله أو إلهي : المثل . ومثال الخير . ومثال الخمر . والعقل . والفس . والصانع . والعالم . والكواكب . وآلهة الأوثان . والحن ( وه وسط وواسعة بين الآلهة والبشر : متصفون بالحكمة والخير ) . فأين الله بين هؤلاء الآلهة وما التودج . الحى بالذات « الحاوى جميع المثل ؟ وما العلاقة بينه وبين الصانع . ومثال الجمال ومثال الخير ؟ ولم يقرب أفلاطون بينهم ، بل تركهم متفرقين ، وأرسل الكلام على الصانع قصة رمزية تحجب لقائل أن يقول : إن لصانع يمثل ما لمثل من قدرة وعلية في المادة وليس شخصاً قائماً بذاته . نجيب أننا إذا أهملنا بعض المصوص الضعيفة العارضة واعتبرنا روح المذهب ومبادئه الأساسية لوجدنا أن توحيد الصانع والتودج . والخير والجمال . وسائر المثل في الله لا يكلف كبير عناء . فهو الصانع من حيث هو علة فاعلية ، وهو التودج الحى من حيث هو علة تودجية يصنع على مثال مقتولاته . وهو : الجمال والخير . من حيث هو علة غائية تحب وتطلب . فإن الصانع موصوف بالخير . والخير موصوف بأنه مصدر المثل أما باقي الآلهة ( وفلامون لا يذكر آلهة الميثولوجيا إلا تسامحاً وبشيء من التهمك ظاهر ) . فتبعتهم لله لا يتطرق إليها الشك : إلههم مصنوعون . وإن خلودهم محبة من الله . فهم آلهة باشتراك الاسم فقط . وقد أتى هذا الاشتراك من اعتقاد أفلاطون أن « مبدأ التدبير إلهي » . حينئذ وجد التدبير واسمائه وجد العقل . والآلهة متفاوتة بتماوت الوجود . وعلى ذلك فالآلهة الصور أو القوى التي يبدو فيها العقل الأول والآله الحق .

يوسف كرم

واجبك ... هل أديته ؟

إنك ستؤديه بلا ريب ...

أيها الشباب المتقف !

إن مجلة « المعرفة » سبيلكم إلى الثقافة الصحيحة ، وهي المجلة المصرية التي يصطلع بأعبائها الشاقة أحد مواطنكم : فليكن تعضيدكم إياه مشجعاً له ولغيره . . على إحياء القومية المصرية

هذا واجبكم فأدوه



# الاسكندرية في أوج عظمتها

للاستاذ أحمد الشنتناوى

ليسانسيه في التاريخ والآداب وليسانسيه في الفلسفه والاحتماع

مدينة الاسكندرية إحدى الآثار الخالدة التي خلفها الاسكندر المقدوني أثناء تلك  
الفتوح الهائلة التي قام بها في القارتين : لافريقية . والآسيوية بقصد توحيد العالم المعروف  
في وقت تحت لواء امبراطورية واحدة كبرى تضم أجزائه وأطرافه . ولكن ذلك الحلم  
لم يمتد إلى ثلاثين عامًا لاسكندر عام ٣٢٣ قبل الميلاد، وتفرقت تلك الامبراطورية  
حينئذ بعد أسلاء وأجزاء . وكانت مصر نصيب بطليموس بن لاخوس أحد قواد الاسكندر  
الذين لديه . وغدا هذا الرجل صاحب الصولة والسيطرة في مصر . وكانت شهرة مصر  
الوجدة في ذلك الوقت أنها كانت الموردة الاولى والوحيدة لورق البردي لجميع جهات العالم  
لذلك فكان هذا الاحتمار مصدر أموال همة تمكن بواسطتها بطليموس من تحقيق  
أغراضه . أي من تأسيس ملك قوى يقوم على دعائم ثابتة من العلوم والآداب .

وقد كان مركز مصر وتوسطها بين العالم القديم في الحقيقة سبباً من أسباب نهوضها  
التي كانت تستقي من حيراتها كل جديد من الفنون والحضارة . ثم كانت هي من جهة أخرى  
تعتبر على العالم نوعاً طريفاً من الحضارة المصرية . هو خلاصة تلك الحصارات المدة المجاورة .  
وسكنها خلاصة ملية جديدة بكل معنى الكلمة . عليها انما هي المصرية الخاصة دون أن يكون  
منه شيء شذوذ أو عدم تناسب بين أجزائها وفصولها . ثم كان دخول الاسكندر مصر  
رئيسه لمدينة الاسكندرية . ففدت بعد فترة قصيرة إحدى المراض العظيمة الواقعة على  
بحر الأبيض المتوسط . فأخذت تنافس موقعا فرطاحنة الهائلة . وامتدت صلاتها التجارية  
في سائر العالم القديم كمواسم الهند وبلاد العرب . وقدرة للاسكندرية أن تنتعش بعد موت  
مؤسسها حتى بلغت أوج مجدها وعزها في عهد الامبراطورية لرومانية . وبالأخص إبان حكم  
امبراطورها الاول الاماجد .

شمرت مصر باستقبال الأمر فيها تحت البطالسة والحكام الاغريق . ووجدت في مصر  
حكومة ديدنها التسامح . والعمل لما فيه مصلحة الأهالي . فشمرت أنها كسبت حقاً بالضمائمها تحت  
اللواء الاغريق . فكان ذلك سبباً لها بعد أن فقدت استقلالها . وفي الحقيقة كانت مصر تعتبر أنها  
في عز البطالسة وصحتهم إليها . ولم تكن هي التي نصحت تحت اللواء لمقدوني . وقد

ظهرت هذه الحقيقة واضحة جلية في كل مظاهر العمران التي تفتحت عقب هذا الانهيار. إذ يرى - مثلاً - أن بطليموس رئيس الحكومة قد تميز عن غيره من الحكام الاغريق الذين يحكمون باقي أنحاء امراطورية الاسكندر : فهو في مصر قد غدا فرعوناً لا يختص عن الفراغة المصريين الذين تبوأوا عرش مصر من قبله في شيء. وقد استلزم ذلك - دون شك - اصطباغ جميع مرافق الحكومة بالصيغة الفرعونية. بعد أن كان المنتظر أن تسود الطب الهلالي في مصر جميع النظم الأخرى المعروفة. وأصبح النظام السياسي والاداري في مصر هو نكبة لنظام الحكم الذي كان سائداً إبان الفراغة: تختص أو رمسيس أو غيرها.

بعد ذلك ننظر إلى مدينة الاسكندرية نفسها. فنجد الأمر فيها يختلف عن بقى جهات مصر. فانها - بالنسبة لصلاتها التجارية المتواصلة مع أنحاء العالم الاغريق - ثم لوجود بلاد البطليموسى بها - كانت مدينة إغريقية بكل معاني الكلمة. إذ كانت اللغة لاغريقية وسم الهلالية هي التي تسود البلدة في جميع نواحيها. لأن بطليموس - بلا شك - كان يحرص ثقافته وتعاليمه الاغريقية. ولو أنه يعمل جهده في عدم إشعار المصريين بغير رئيس الحكومة لمصر ملكاً إغريقياً عن البلاد وعن عاداتها وتقاليدها، لذلك كانت اللغة الاغريقية هي لغة المراسلة والثقافة في مصر كلها؛ حتى أن الحالية اليهودية التي كانت تقطن الاسكندرية - وهي موفورة العدد والنفوذ - قد اضطرت إلى ترجمة كتبها المقدسة إلى اللغة الاغريقية، بل إن كثيرين منهم نسي لغته العبرية ولم يعد يفهم غير الاغريقية. وبالجملة لم تكن سيطرة اللغة لاغريقية مقصورة على مصر وحدها، بل كانت سائدة بوجه أعم في النصف الشرقى من البحر الأبيض المتوسط.

وكان بطليموس الأول ذا كفايات علمية نادرة، وقرنحة حاضرة، وذهناً متوقداً. جدعى عاتقه نشر تعاليم أرسطو حسبما سمعها وفهمها من بلاط مقدونيا، حيث كان أرسطو يهدى ويحب الاسكندر الأكبر ابن ملكها فيليب المقدونى. وكان أول خطوة خطاها بطليموس في سبيل تحقيق ذلك الغرض هو تأسيسه لمتحف الاسكندرية. ويجب ألا يغيب عن أذهاننا أن كلمة متحف « Museum » هذه معنى آخر غير ذلك المعنى الذي نفهمه منها في العصر الحاضر. فانها كانت تدل - عند العالم الاغريق القديم - على المعبد الذي تبجل وتعظم فيه آلهة الفنون والاداب، وبالأخص آلهة الشعر. والموسيقى. ولأدب فقد كان يوجد مثلاً في المعبد لدى سقراط. أرسطو لفلسفة في أثينا - قسم لهذا الغرض المذكور اتفاقاً كما أن بطليموس قد استعان في تشييده لهذا المتحف، والمكتبة الملحقة به، بأحد اليونان اللاجئين إلى بلاطه. وكان من اشهر هؤلاء بالاداب وفلسفة ويدعى ديمتريوس. وهذا بدوره جعل من مدرسة أرسطو والمتحف في أثينا أعودجاً يأخذ عنه في تشييده لمتحف الاسكندرية ومكتبتها.

انتهى العمل في بناء المتحف في عهد بطليموس الأول ، ولكنه لم يتم إلا في عهد ابنه  
 بطليموس فيلادلف ٢٨٥ - ٢٤٧ ق . م ، الذي اشتهر بحبه للاداب وعلم الحيوان : وكان  
 عادة عن بناء هائل ملحق بالقصر الفرعوني على شاطئ البحر الأبيض المتوسط بالاسكندرية ،  
 وقد ذكر استرابو عند زيارته للمتحف عام ٢٤ ق . م ، أنه كان يتألف من صالة كبرى تحوطها  
 روفة نشابة روفة معهد ، ثلثها ، وكان رئيس المتحف ينتخبه ملك مصر بنفسه ، وكان لقبه الرسمي  
 : *بكمه* آلهة الاداب ، ولقد حجب بطليموس - للعلماء ليونان والفلاسفة - الرحيل إلى الاسكندرية  
 بشربحائهم ، وتعاليمهم تحت اسم المتحف الاسكندري ، وكان ينفق عن سعة على هؤلاء العلماء ،  
 وعزى عليهم أرزاقهم موفورة محترمة ، لذلك كان المتحف أشبه شيء بمجمع للعلماء الذين انقطعوا  
 بدراسهم ، وغدا الحال على هذا المتوال حتى عام ٣٠ ق . م ، إذ أصبح المتحف تابعا  
 لحكومة الرومانية ، وهي التي تتولى صرف أرزاق العلماء والفلاسفة الذين يعملون فيه .

وكان بحاف هذا المتحف مكتبة هائلة ضمت بين جوانبها أغلبية المؤلفات التي كانت  
 معروفة لملك العهد ، إذ يذكرون أنه كان بها - في عهد بطليموس فيلادلف الثاني - خمسمائة ألف  
 مؤلف . وقد وصل هذا العدد إلى سبعمائة ألف مؤلف عام ٥٠ ق . م ، وكان لهذه المكتبة شهرة  
 عالمية هائلة . إذ كانت أكبر مكتبة في ذلك الوقت . بل كانت عبارة عن دائرة المعارف الوحيدة  
 التي بدحا إليها كل من التوث عليه مسألة من المسائل ، وبحث في أي فن من الفنون ، فيحدثها ما يشفي  
 غيبه من المؤلفات التي جمعت من جميع نواحي المعمور . ولا زال تقرأ في كتب التاريخ عن  
 الوسائل العدة المختلفة التي لجأ إليها ملوك مصر في ذلك العهد ، لأجل جمع المخطوطات النادرة ،  
 وهم كانوا يتصيدون المخطوطات تصيداً ، وينثرون العيون لأجل البحث عن الكتب التي  
 لا توجد منها نسخ في مكتبة الإسكندرية ، وكانت العادة الجارية أن يحتفظ البطالسة بالنسخة  
 الأصلية . ويعطوا صاحبها نسخة أخرى تنقل عن النسخة الأصلية ، لذلك وجد في المكتبة عدد  
 زاهر من النساخ انقطعوا لهذا العمل وتخصصوا فيه . وقد اهتم مدير المكتبة ، وكان يدعى  
 ( Callimachus ) بوضع فهرس شامل لجميع ما تشتمل عليه الدار من مخطوطات ومؤلفات .  
 ولم تكن المؤلفات في ذلك العهد البعيد على مثال ما نعهده اليوم من حيث الشكل والحجم ،  
 بل كان لكتاب عبارة عن مجموعة هائلة من رقع البردي ملفوفة معا . لذلك كانت مهمة القاريء  
 شيرة شاقة . وبالأخص إذا أراد الرجوع إلى نص ، أو عبارة سابقة مرت عليه بين أوراق المخطوط ،  
 وقد حدا هذا بمدير المكتبة إلى أن يقسم الكتب المطولة كتاريخ هيرودوت مثلا إلى كتب  
 مفصلة لسهولة حفظها . وتوفير لعناء القاريء ، ولقد جذبت المكتبة إليها عدداً كبيراً من  
 طلاب العلم يفوق بكثير العدد الذي أتى للاستفادة من علماء المتحف ، وأساقذته ، وازدهرت

الاسكندرية بهذا العدد الوافر من الطلاب . وغدا وجوده فيها سببا من أسباب ضعف حركة الرزق والتجارة بها .

وبالجمله فقد كانت المكتبة والمتحف مصدر العلم والمثاقير في ذلك الوقت ؛ غير أن ذلك المور لم يرسل شعاعه إلا إلى حد محدود . وذلك لعدم استماعة كل شخص . يريد العلم . رجح إلى الاسكندرية ليرأشف من مناهلها العنمية . ولم تكن هناك وسيلة أخرى يتمكن بواسطتها القاصي والداني من تلقى العلم كطريقه المراسلة المعروفة اليوم مثلا . ولا يجمع هذ أنه كان بالاسكندرية نجاب المكتبة الكبرى عدة مكتبات أخرى صغيرة أهمها مكتبة امير بيوه التي كانت تحتوى على نحو ٤٠ ألف مخطوط . وكان في مكتبة طالب العلم يشتري بعض المؤلفات والرسائل من بعض المكتبات الصغيرة بأثمان معتدلة . وعلى الجملة فقد كان العلم محبوبا عن الطبقة الدنيا من الناس الذين شغوا بتعاطف الحياة . والبحث عن الرزق . عن كل شيء آخر . وبالرغم من الحاجة الماسة إلى طلب العلم . فإن اقوم في ذلك الوقت لم يحاولوا حفظ الاستداده من نُسس فن الطباعة التي كانت معروفة منذ حيال ساقية . فإن إسان العصر الحجرى مثلا كان يقوم بطبع الصور والرسوم على ملاسه الجلدية . كذلك كانت الاحتماء قد عرفت . وهى تعين في طبائتها أسس فن الصباغة . وقد كانت الصين أول من بدأ في تطبيق هذ العلم على العمل . بد أخذت في طبع كتبها القيمة منذ القرن اثنى لالميلاد . ورغمما يرجع السبب في عدم نشر فن الطباعة في ذلك الوقت إلى معارضة أصحاب المييد الذين يقومون بعملية النسخ في المكتبات خوفا من انقطاع أوراقهم . وقد يرجع ذلك إلى عدم اتصال النظام الاجتماعى بين رجل الفكر الذين يقومون بتأليف الكتب . وبين رجال الأعمال الفنية الذين يمكنهم تنفيذ فكرة صناعة عمليا . ولعل السبب الآخر في عدم انتشار فن الطباعة . هو عدم وفرة المواد الصالحة لصناعه كورق البردى . أو وجودها بشكل لا يتأتم مع المذنوب . ولكن لا يقوم كل هذ عذر قوي أمام عدم انتباههم قطعا لطبع بعض الصور التفسيرية أو لرسوم الميابة التي قد تقي القاري على تفهم ما يقرأ .

وعلى الجملة فقد كانت الاسكندرية — إبان عهد البطالسة ٣٢٣ - ٣٠٥ ق . م - مركزا للعلم والعلم لاغريقى . ولقد اشتهرت بالانحاث الرياضية والجغرافية التي قام بها علماء المتحف . وبكى أن نذكر اسم قليدس . وكنا يعرف هندسته ونظرياته ( وراتوستين Eratosthenes ) وهو أول من حاول أن يقيس قطر الأرض . وقد نجح في ذلك نجاحا باهرا بحيث إن تقديره لم يفر عن الحقيقة إلا بمقدار خمسين ميلا فقط . كذلك أدخل عدة إصلاحات على التقويم بقصد تحديده توارىخ بعض الحوادث الهامة الماضية . كما أنه كتب رسالة فلسفية في طبيعة النايخ والشمس . كذلك

ع. راتوستين في الأدب والشعر، فقد كتب أشعاراً مطولة استمد موضوعها من الميثولوجية الإغريقية القديمة. كما أنه يعد من بين مؤسسي علم الجغرافيا الحديث.

ما في ميدان التاريخ فقد ظهر في عهد بطليموس الأول مؤرخ مصري يدعى مانيقوس من أحد رجال البلاط البطليموسي. وهذا تمكن من وضع تاريخ لمصر القديمة، مستعيناً على المستندات الرسمية الموجودة بالقصر الملكي. وإلى لم يتوصل إليها أحد قبله من المؤرخين، من تاريخه مصدراً هاماً للمؤرخين الذين كتبوا عن مصر بعده. كذلك كان اكتشافات الجغرافية حط موفور في ذلك العهد، وقد ساعد على ذلك وجود الأسطول البحري. معطيم الذي خفقت أعلامه في جميع البحار المعروفة لذلك الوقت، وقد وصل إلى بلاد إثيوبيا ووضع مؤلفاً قياساً عن تلك البقاع، ولقد تبعه في ذلك الأمر امرء البحر الذين اتوا بعده، إذ وضع كل منهم مؤلفاً عن الجهات التي وصل إليها بسفنه، وتسبب في اكتشاف الرياح الموسمية في المحيط الهندي يرجع الفضل فيه إلى رجال البحر المصريين الذين ظهروا في عهد دولة البطالسة؛ وقد ظهر بجانب هؤلاء علماء آخرون كتبوا لوائح لعدد المختلفة رسائل قيمة، مثل أبو لونيس الذي كتب عدة رسائل قيمة عن القطاعات البحرية. ثم هيباركوس وهو أول من حاول أن يرسم خريطة للسماء وما بها من كواكب نجوم، والتعبيرات التي تطارأ على ما كتبها من وقت لآخر، ووضع هيرودوت (Héro) تصميم أول خريطة. ولقد استرعت هذه الاكتشافات العلمية. نظار العلماء من جميع بقاع الأرض، فبدأت ترميدس الطبيعي المشهور يرحل إلى الاسكندرية بغية الدرس والتحصيل، وقد غدا من خارجياً للمتحف بعد مغادرته للاسكندرية كما يفعل الأعضاء الأجانب المنتمون للمجمع العلمي الفرنسي في الوقت الحاضر. كذلك اشتهرت مدرسة الطب بالاسكندرية. إذ كانت أول مدرسة من نوعها في العالم. ويذكرون أن ديموفيلوس أشهر علماء التشريح في الاسكندرية في آخرى تجاربه وأبحاثه على جنث المجرمين، مع أن الكثيرين غيره من العلماء أنكروا هذا من إذا كانوا يكتفون بعلم العقاقير والوصفات الطبية.

لأن هذه الحركة العلمية المباركة قد خبا لحيها في قل من قرن من الزمان لأن نظام محب نفسه لم يكن بحيث يكفل له البقاء والخلود طويلاً. لأنه كان غلبة معهد ملكي، فأستأذنه من يتبعه فرعون مصر بنفسه ويدفع هو رواتبهم وأرزاقهم، وهذا بخلاف الحال في مدارس ومعاهدها إذ كانت تتمتع بالروح الديمقراطية وباستقلالها عن كل سلطة فردية تتحكم فيها، وكانت أكثر ثباتاً ودواماً من مدارس الاسكندرية ومعاهدها. ولقد استفادت مدارس الاسكندرية ومعاهدها حقاً من رعاية ملوك مصر لها، ولكن تلك الاستفادة لم تكن منتظرة من ملك قوى محب للعلم والآداب أمثال بطليموس الأول أو بطليموس فيلادلف. ولكن



من يصعب لنا بقاء تلك الروح العالية في نفوس الفراعنة أجمعين ؟ . ثم لم تلبث أن ضمت  
 الكهنة في مصر على سلفه الفراعنة فاضمحل المتحف وخفقت أصوات أساتذته وعلمائه في  
 المكتبة فقد أصابها الحريق عدة مرات بؤس وأكبر حريق أصابها كان عام ٤٧ ق . م بعد  
 ما أشعل يوليوس قيصر النار في الأسطول المصري الراسي بميناء الاسكندرية . ثم بعد ذلك  
 أهدمت المكتبة بالتدريج وقلت عناية الفراعنة بها تدريجياً حتى تلاشت من عالم الوجود في  
 منتهى القرن الثالث للميلاد ، فلم تكن هناك بالاسكندرية مكتبة عند دخول العرب مصر على  
 يد عمرو بن العاص ، وقد أصبح الآن خبر إحراق تلك المكتبة على يد عمرو بن العاص . ثم  
 عمر بن الخطاب حديث حرافة لا يقوم على أي أساس من الصحة . أما المكتبة الأخرى في  
 كانت محفوظة بالسرأيوم فقد دمرها المسيحيون عام ٣٩١ من الميلاد . وكانت لاسكندرية  
 كذلك خلاف ما ذكرنا مركزاً لتبادل الآراء الدينية ، إذ كانت المخطوطات المخصوصة في المكتبة  
 والمتحف تضم بين دفتيها بذور مذهب أرسطو والروح الهيلانية ، ثم عنصر أفروديت من الحضرة  
 المقدونية . ثم كان بجانب ذلك عدد عظيم من اليهود رحلوا إلى مصر من جهات فلسطين وبلا  
 يمنع هذا أنه كان بمصر قبل نزوح هؤلاء عدد آخر من اليهود غير قليل . بل بمصر ولم يرحل  
 إلى بيت المقدس عند هجرة هذا العنصر من مصر مع نبيهم موسى . وكان هؤلاء يهود  
 يقطون قسماً كبيراً من الاسكندرية ، بل كانت الاسكندرية في ذلك الوقت لمدينة لأهل  
 التي تضم أوفر عدد من اليهود بحيث فاق عدد اليهود فيها عدد من في بيت المقدس نفسها . وقد  
 رأينا كيف تقل هؤلاء اليهود كتبهم المقدسة من العبرية إلى الاغريقية . وكان بجانب هؤلاء  
 عدد عظيم من المصريين أصحاب البلاد يتكلم أغلبهم اللغة الاغريقية . ولكنهم كانوا شعراً  
 محافظاً على تقاليدهم وعقائدهم وطقوسهم التي تغلغلت في نفوسهم منذ أربعين قرناً  
 من الزمان .

ومن هذا يتبين أنه اجتمع في مصر وبالأخص بمدينة لاسكندرية ثلاث عقبات منبهة  
 الطباع والعادات . وهي على الجملة العناصر التي كانت تمثل الجنس الأبيض في ذلك الزمان . وقد  
 بها : العنصر الارى اليوناني الذي اشتهر بعقليته الجبارة الناقدة للأفكار . ثم العنصر السامي  
 اليهودي ، وهم أصحاب كتب منزلة وعقيدة خاصة لا يترحمون عنها ، وتصددها عقيدة نوحه  
 (Monolatriism) ، أما العنصر الثالث فهم المصريون ، ولهم طقوسهم وديانهم المعروفة التي نعت  
 في معابدهم الضخمة ومذابحهم العدة .

هذه هي العناصر الثلاثة الهامة التي كانت تتألف منها مدينة الاسكندرية . ولا يغيب عن  
 أذهاننا كذلك أنه كان يوجد في الأسواق وفي ميناء البلدة عدد آخر من الأجناس الأخرى  
 المتباينة النظم والعادات ، حتى أن طائفة من البوذيين تركوا الهند واستوطنوا لاسكندرية  
 بقصد التبشير بديانهم ومذهبهم . . . . ١

وفي وسط هذا البحر العجاج من الاختلاط الجنسي والديني أخذ الناس يشعرون أن  
معد الآلهة ما هو إلا تعدد اسمياً فقط لكائن واحد هو مصدر ما في الوجود من كل وخير،  
هو عند الرومان الآلهة جوبيتر. وعند اليونان الآلهة زيس (Zeus) وعند البابليين الآلهة مردوخ،  
وهو عند المصريين آمون إله السماء والأرض. وقد يشتق من كل إله من الآلهة السابقة الذكر  
إلهة أخرى، هي بمثابة النواحي المختلفة للاله الواحد، مثل الآلهة أزوريس وآيس من آلهة  
مصرين، لهذا كان في بطليموس الأول أن يوحد بين تلك الآلهة المتعددة، ولذلك بنى معبد  
ليرايوم وخصصه لعبادة الآلهة سيراييس وهو مزيج موحد لآلهة المصريين واليونان.

ثم لاحظ كذلك أن فكرة الطهود بدأت تظهر في ذلك الوقت لأول مرة وتصبح مركزاً  
مستندت لدينية المختلفة، ويرجع الفصل في إظهار تلك الفكرة الدينية إلى المصريين حيث  
هو يعتدون في هذا الأمر اعتقاداً راسخاً. وقد أخذت هذه العقيدة مكاناً واضحاً في عبادة  
آلهة سيراييس السابق الذكر، وهذا بدوره انتشرت عبادته في جميع نواحي العالم المتمدن  
في ذلك الوقت، أي حوالى القرنين الثاني والثالث للميلاد؛ ولقد كان لهذه العبادة أثر جلي  
في الدين المسيحي عند ظهور المسيح عليه السلام.

ولقد مدت الاسكندرية هكذا مزدهرة بالعلوم والآداب رديحاً طويلاً من الزمن إلى أن  
سقطت دولة البطالسة وأبتدأ نجم لامبراطورية الرومانية في الظهور. فاكتمى الأمر بطرارة الرومان  
أن حرموا مصر بأجمعها عبارة عن محزن محبوب عند روما عاصمة الامبراطورية—بالغالب؛  
لخصت تلك الروح العلمية في البلاد. وانتقلت تلك الحركة الهائلة من الاسكندرية إلى روما.  
سحان لدى يغير الأمور من حال إلى حال وهو باق لا يتغير.

أحمد الشلتناوى

## اطبعوا مطبوعاتكم

في

مطبعة المعرفة

فهي مستعدة لطبع الكتب والمجلات والجرائد بنجاية الدقة والاتقان

الإدارة شارع عبد العزيز رقم ٤ بالقاهرة

# فلسفة الحقوق الجزائية

بقلم ايزاك موسى شمس (حلب)

— تمة —

١٥ اطربة تطورية - ١٦ اطربة الاوروبولوجية - ١٧ اطربة السوسيولوجية -  
١٨ المدرسة الاطرية الحديثة - ١٩ الاتحاد الدولي لحقوق احرائيته - ٢٠ جمعية تدوية  
للحقوق الجزائية - ٢١ خلاصة

\*\*\*

أجلنا في العدد السابق من « المعرفة » الغراء ، النظريات المدرسية الارملة . التي عرفها  
فلسفة الحقوق الجزائية إلى عهد غير بعيد . وبودنا اليوم أن نطعمك على النظريات الحديثة  
تتنازع البقاء في الوقت الحاضر وتثير الجدل من حولها في اجالات والصحف والادبيات الحقوقية .

— ١٥ —

نشأ في واخر القرن التاسع عشر ، على ضفاف « التامير » و « السين » و « النور »  
حديث لم يلبث أن انتشر في جميع أقطار العالم باسم « علم الهيئة الاجتماعية » ( Sociologie )  
وقد بدا عليه - ولما يتجاوز سن الطفولة - طموح غير متناه لبحث كل ماله مساس عبادة  
الهيئة الاجتماعية . ولهذا لم يقصر بحثه على ناحية من نواحي الحياة بل مد يده إلى كل شيء  
وأدخل تحت سيطرته ، حتى الحقوق ، والحقوق الجزائية بصورة خاصة .

وطلع علينا علماء « السوسيولوجيا » بنظرية في فلسفة الحقوق الجزائية ، دعوها « النظرية  
التطورية » ( Theorie evolutioniste ) رادوا بها أن يتمثلوا الحقوق ككرة صلبة .  
تترامى على صفحاتها الملءاء جميع التطورات التي تفارأ على حياة الهيئة الاجتماعية .

ولاحظوا أن لكل جماعة من الجماعات البشرية طاراً خاصاً في تفهم الحياة ومعالجة  
وأن طرق التفكير تختلف كلما احتلت الحدود والقوميات والاجناس وأن هذه الفرق  
نفسها ، على جانب كبير من الشبه في شعب واحد ، أو قوم واحد ، فاستنتجوا من ذلك أن  
الجماعات البشرية أجسام حية . وأن حياتها مستقلة من جهة عن حياة أفرادها . ومرتبة  
بها من جهة ثانية .

ولم يقف بهم البحث عند هذا الحد ، بل استنتجوا من النتيجة السابقة حقيقة ثالثة .

عن حب عظيم من الالهية : مادامت الجماعات البشرية أحصاها حية ، وما دامت هذه الحياة  
مستفزة عن حياة أفرادها . فقد وجب أن يكون لهذه الجماعات ما لأفرادها من حقوق . وأول  
هذه الحقوق وأهمها : حق الحياة !!!

ولكن ، قد يمتد على هذا الحق فرد من أفرادها ، وفرد من جماعة غيرها . فهل  
نعم ؟ أن تقف من هذا الاعتداء . موقفاً سليماً ؟؟؟  
كلا . العقل يوحى إليهم ، والمنطق يؤيده . أن حق الدفاع مقدس كحق الحياة ، بل هو  
نفسه بكثير : إذن : يحق للجماعات البشرية أن تقتصر من الممتدين ، وأن تعاقبهم كما عاثوا  
فيها فساداً !

ولكن ، إلى أي حد يجب أن تبلغ هذه العقوبة ؟  
بكر علماء السوسيولوجيا على الجماعات البشرية حق الثأر ، ويسكرون عليها قدسية عاطفة  
الانتقام . كما كان يفهمها الأولون . ويقررون - في غير إيهام ولا غموض - أن للجماعات حق الدفاع .  
ور هذا الحق يجب أن لا يتجاوز حد منع الشر . أي أنه لا يحق لأحد أن يعاقب معتدياً  
كأن وثق أن هذا الممتدى لن يتكرر عمله مرة ثانية !!!  
وهذه النظرية تشبه من نواح متعددة النظرية المدرسية التي دعوا بها « نظرية المصلحة  
عامة » . ولكنها تفوقها من حيث دقتها في الملاحظة ، والطريقة العلمية التي اتخذتها للبحث  
عن أساس العقاب ، الذي يخول الجماعات البشرية حق الاقتصاص من الممتدين .

— ١٦ —

وبما طريقة العلمية التجريبية تتناول المعارف البشرية بالبحث والتحريص . لتظهر ما فيها  
من صدق وصحیح ، إذا بالذكتور « لومبروزو » ( Dr. Lombroso ) العالم السوسيولوجي  
الإيطالي الشهير ، يقيم في مكتبه ، ويستسلم للتفكير !  
خذ مسائل نفسه . لماذا لا تمتنع هذه الطريقة فلسفة الحقوق الجزائية ؟ هل هنالك ما  
يجوز دون تطبيقها ؟؟؟

نفس بحث على جميع وجوهه . فلم ير ما يمنع بحث العلوم القانونية - ولا سيما الجزائية  
ب - بالطريقة العلمية التجريبية . التي ينبغي أن لا تثق بغيرها . إذا أردنا أن يكون بحثنا  
عديداً خصباً .

وهكذا لم يعض زمن يسير حتى تقدم في عام ١٨٧٦ ميلادية بمؤلفه القيم عن الإنسان الخرم «  
( L'homme criminel ) . وفيه نظريته المعروفة باسمه . والتي شاء أن يدعوها « النظرية  
أنثروبولوجية » ( Théorie anthropologique ) . وحلاصتها : أن الجريمة تنشأ عن خلل  
« فسبولوجي » - تشريحي - في الجسم !

ويؤكد الدكتور « لومبروزو » أننا إذا استطعنا أن نستأصل هذا الخلل فالتأثير نستأصل في الوقت ذاته الجريمة من أساسها !!!

ولاحظ أن أكثر السارقين لهم أيدي طويلة وأنوف قصيرة ، وذلك بعكس المجرمين القاتلين . فإن أيديهم قصيرة وأنوفهم شبيهة بمنقار الطيور الجارحة ...

وهذه النظرية تنفي عن المجرم كل مسؤولية ، لأنها تنفي عنه الحرية في العن ، ومن مبادئ الحقوق الأساسية ، أنه حيث لا حرية لا مسؤولية ، فالمجرم - في نظره - مريض يجب مداواته ، ولا يحق للجائحات البشرية أن تعاقبه ، لأنه مجبر في أعماله غير مخير . وكل ما يمكن أن عمله لتقى نفسها من خطر ، هو أن تتخذ أسباب الوقاية ، أي أن تتيقظ منه . وأن تسمى لتطبيبه ومداواته متى ظهرت عليه دلائل الخلل الذي يدفع المصابين به إلى الأجرام والتقت

— ١٧ —

وصادت نظرية « لومبروزو » رواجاً عظيماً في أوروبا ، ولكن المشرعين أبوا مع اعترافهم بصحة قسم كبير منها - الالتجاء إليها في وضع قوانين الجزاء . وكما هذه النظرية حسرت النقاب عن سر الاجرام ، فقام « فيري » ( Ferri ) يدرسها ويبحثها ، وإد أنه يعتقد أن سر الاجرام يجب أن لا يلتصق في علم «الفسولوجيا» ، بل في تأثير البيئة الاجتماعية التي يحيا فيها المجرمون .

ولم يلبث أن انضم إليه ثلاثة من كبار علماء التشريع الجنائي في إيطاليا ، هم : « غروفالو » ( Garofalo ) و « تارد » ( Tarde ) و « أنريكو » ( Enrico ) ، وإد هم يتقدرون نظرية الدكتور « لومبروزو » وينسبون الاجرام إلى سبب رئيسي هو انحيط الذي يشافيه مجرمون . ولفت أنظارهم أن أكثر المجرمين من المدمنين على السكر والقمار . وأن أغلبتهم لساحة من الفقراء المعوزين ، فطلبوا إلى المشرعين أن يحاربوا الميسر ، وأن يزيوا بعض أسباب غير المدقع ، بإنشاء النقابات وجمعيات البر ، إذا أرادوا أن يستأصلوا الاجرام من جذوره .

ولاقت هذه النظرية من الرواج ما لم تلاقه نظرية قبلها . فقامت الحكومات تنشر ملاجيء للعجزة ، ومستشفيات للمرضى ، وصناديق لتخفيف وطأة البطالة ، وأصدرت العقوبات الصارمة للمدمنين على السكر والقمار .... وإذا الاجرام تقل نسبته ، وإد « نظرية الاجتماعية » Theorie sociologique « تكتسح سائر النظريات ، وتدخل جميع القوانين

— ١٨ —

وعلى أثر ذلك تألفت في إيطاليا مدرسة حديثة . دعت نفسها « Terza Scuola » ، أحدث



من صفتين السابقتين قسما هاما ، ورمت بالقسم الباقي عرض الحائط : وإذا بها تطلع علينا صرية حديدة قد يكون لها من الصحة سهم وافر .

وتتلخص هذه النظرية في البحث عن حرية الانسان في العمل ، وعن مقدار هذه الحرية في فرائس وجودها ؛ وينتهي البحث بنتيجة لعلها ميل ما تكون إلى إنكار هذه الحرية ، والاعتقاد - بطرف خفي - بالنظرية الجبرية التي تريد الانسان آلة يفعل ما يراى .

وقد بتوهم الانسان ، فيحسب نفسه حراً فيما يفعل ، وحرّاً فيما لا يفعل ، وقد يحتاج على ما أنه عند ما أقدم على العمل الفلاني كان مسيراً بمصلحته الخاصة ، وإلا لما أقدم عليه ، كما لم يأت العمل الفلاني لأنه يعارض مصلحته . وهذا وهم لا تريد المدرسة الايطالية الحديثة راقع به ، وإن كان يقع فيه كثير من المفكرين والفلاسفة .

ولمها على حق في نظرتها هذه إلى حرية الانسان . ومن يبحث نظريتها لا يتردد لحظة واحدة عن تأييدها ، فالانسان قد يرى نفسه حراً في بعض الأحيان ، وقد يرى نفسه مقسوراً في أحيان أخرى ، فكيف نشرح ذلك ؟

وكيف تعلمه المدرسة الايطالية الحديثة ؟

بكل سهولة ! . . . يظن الانسان نفسه حراً في حالة واحدة . عند ما يكون العمل الذي عمله يوفق مصلحته الشخصية . ومشئته « القوة » التي تسيره ... وهذه الموافقة تجعله يترحم أنه حر في أعماله .

... تعارضت المشيئات ، فهناك الشعور المر بالجبرية وبالفساد وباللاحرية !!! ونكر هذه المدرسة النظرية القائلة بأن بعض الناس يولدون « مجرمين » ، وتعتقد كماء سوسيولوجيا أن الجريمة ثمرة البيئة ، وأن المحيط الفاسد ، هو الذي يخلق عالم المجرمين .

وهي تلتقي مع كثير من النظريات السابقة . ولكنها لا تلبث أن تفترق عنها بالنتيجة وتقررهما ، وتتخذها برنامجاً لها .

تريد المدرسة الايطالية الحديثة أن يكون للعقوبة غايتان : الأولى إصلاح نفسية المجرم عن طريق إصلاح البيئة والمحيط بنشر العلم والأخلاق ، وتخفيف وطأة الفقر والبطالة . والثانية سدنه احرم . لا لأنه مشغول عن عمله ، ما دامت لا حرية له في العمل ، بل ليكون عزة لعمره .

وأت ترى أن غاية العقوبة الأولى وجيبة كل الوحاة . بعكس الغاية الثانية . فانها ضعيفة لا تكاد تحتل أقل جدل أو مناقشة .

وما دمتنا نبحث عن القانون العقلي الذي يخول للبشر حق الافتصاص من بعضهم عدو يعتدى بعضهم على بعض، جرى بنا أن ننصف العقل، فنقرر في غير غموص ولا إيهام أن العقوبة الثانية لا يجزها العقل، ولا يمكن أن يقبلها منطق، إذا ما دمتنا لا نستطيع أن نعد المعتدى لما أتاه من الاعتداء، لأنه غير مسئول عن عمله ما دام مسيراً غير عير، فهل يجوز أن نعاقبه من أجل غيره؟

وهل يجوز أن نعاقبه ليكون عبرة لغيره، وجريمة هذا الغير قد تنشأ عن أسباب لا يمكن التكهن بها؟ وقد يجوز أن لا يعتبر هذا الغير بالعقوبة التي نرسلها للمعتدى الأول، فعلى صاحب من يجب أن عقوبتها؟؟

وقد طلست هذه المدرسة إلى المشرعين « تشخيص » العقوبة « la punition de » أي أن لا تكون العقوبة واحدة إزاء عمل واحد، يأتيه عدة أشخاص، فلا بد من النظر إلى حالة المعتدى، والبحث عما إذا كان اعتدائه ناجماً عن ظروف استثنائية فادرة لا يمكن إلا الرضوخ لها، أم إذا كان معتاد الاجرام، وفي الحالة الأولى تطلب تخفيف العقوبة بتطبيق الأسباب والظروف المخففة، وتطلب لتشديد في تطبيق العقوبة في حالة التامة بتطبيق الظروف المشددة.

### — ١٩ —

وفي هذا الخضم الزاخر بالنظريات المتضاربة غرق المشرعون، وأحدث الأمواج المتلاطمة تتجاذب القوانين، فتنصرف هذه مرة، وتتحقق تلك مرات. وإذا بثلاثة من كبار مشرعين في العالم يبحثون في وجوب إنشاء جمعية تجمع شمل علماء القانون، وإذا هذه الجمعية يؤلفها الأساتذة: « برنس Prins » ( أستاذ القانون الجزائي في جامعة بروكسل )، و« فون ليز Von Litz » ( أستاذ القانون الجزائي في جامعة الحقوق ببرلين )، و« فان هامل van Hamel » ( أستاذ القانون الجزائي في جامعة الحقوق بأستردام ) .

تم ذلك عام ١٨٨٩، واتخذت هذه الجمعية لها اسماً: « الاتحاد الدولي لحقوق الجزئية ». ووضعت لنفسها برنامجاً واسماً يرمى للتوفيق بين النظريات المدرسية الأربعة والنظريات الحديثة. واعتنقت هذه الجمعية الطريقة العلمية التجريبية، وطلبت إلى الحكام أن لا يسلطوا الجريمة من حيث هي جريمة فقط، بل من حيث هي ثمرة البيئة والمحيط والظروف. وأرادتهم (أي الحكام) على التمييز بين المحرم المعادي والمجرم الذي اقترف جريمته لأول مرة في حياته، وتحت تأثير دوافع قاهرة، ولكسها على كل تبرر لعقوبة بقدر ما تقتضيه المصلحة العامة، وتطلب إرادة الجريمة بتوفير أسباب الارتزاق للمعوزين، وإنشاء جمعيات المساعدة، ومع السكر والقمار وما إليهما.

وقد شاءت الأقدار أن تفاجأ هذه الجمعية عند نموها وترعرعها بالحرب العظمى ، وشاء  
سكده الحقوق الجزائية أن لا تصع الحرب أوزارها إلا بعد أن يوارى الثرى الأساتذة  
« ثلاثة لدين أسموا » الاتحاد الدولي لحقوق الجزائية ، . . . وجمعيتهم معهم !!!

— ٢٠ —

لأن الحاجة إلى مثل هذه الجمعية لم تلبث أن ارددت . ولا سيما بعد أن بلغ سيل  
الآراء تلك القوة المروعة . فقام بعض الصحفيين يطلب إنشاء جمعية ثانية تحل محلها . وإذا  
حرب قمية عنيفة بين محبذى تأليف الجمعية وبين مناوئتهم تحترق الحدود الطبيعية في أوروبا .  
ونشغل حقول أمهات الصحف فيها .

واحدثت المعركة عن مور الفريق الأول ، فتألفت في جامعة الحقوق بباريس عام ١٨٨٩  
جمعية « Association internationale de Droit pénal » للغاية نفسها .

ولتسهيل تبادل الآراء بين علماء الحقوق أنشأت لها مجلة دعيتها « مجلة الدولية لحقوق الجزائية  
« Revue internationale de Droit pénal » . وهي اليوم من أكبر مجلات الحقوق في العالم .  
ونسمى هذه الجمعية لعقد مؤتمرات حقوقية من حين لآخر . ولكنها لم تنجح في هذا  
الميدان لمصالح الذى كنا نرقبه لها ، والحقيقة أن ثمار هذه الجمعية لم تنضج بعد ....

— ٢١ —

والآر . وقد فرغنا من سرد المظريات المعروفة في فلسفة لحقوق الجزائية . ومناقشتها  
بقدر ما تسمح لنا به المجلة ، ماذا نستخلص ؟  
نتيجة واحدة . هي مع الأسف في غير مصلحة الحقوق الجزائية . لأنها تظهر لنا المستند  
« منطقى » لهذه الحقوق . متضعصاً لدرجة قد لا يكون المدم بعيداً عن أن يكون  
وصفاً لها .

ورغم من الجهود التى بذلها وبذلها علماء القانون الجزائى لاكتشاف هذا المستند  
« منطقى » — Principe rationnel ، فانه ما يبرح على الخفاء . ومع ذلك فان بعض  
نوابين تذهب في تطبيق العقوبات مذهباً لا رحمة فيه ولا شفقة !!!  
وليس شك أن العقوبة ضرورية في نهض الأحياء . ولكنها نريد أن يكون لهذه العقوبة  
مدر . وأن يكون هذا المبرر عقاباً مطلقاً . ولا تحسب ذلك ممكناً إلا يوم يجمع الفلاسفة  
على رأى واحد في النظر إلى حرية الانسان من حيث الأعمال التى يأتينا .

وعند ذلك . وعند ذلك فقط ، يمكن لحقوق الجزائية أن تخطو الخطوة المنشودة . . . وعند  
ذلك فقط . تستطيع فلسفة الحقوق الجزائية أن تستأنف طريقها في مأمن من العثار والفتور !  
إيزاك موسى شموش  
( حلب )

# كيف نعد الفتاة للزواج؟

بقلم الاستاذ مصطفى جاد أبو العلا

دبلوم دار العلوم العليا

إن أول شيء يجب تلقينه للفتاة التي ستمسى ولها أولاد يلقي بيدها زمام تربيتهن وأعباءه بأمركم هو :

( أ ) تدبير الصحة : فقد يتفق كثيراً أن زوجها أو أحد بناتها أو من له بها صلة قريبة معرض فلا تدري ما ذا يجب عليها فعله للمريض حتى يحضر الطبيب . وقد يكون جهلها هذا دعيّاً إلى إيصال الأذى إلى المريض ، وإذا أشار عليها بعض النسوة اللاتي هن عشرة معهن وحسنه بها وارتأين فعل شيء وقتي يسكن ألم المريض حتى يأتي الطبيب ، فقد يكون هذا الشيء دليلاً إليه الأذى . خصوصاً وأنه صادر من حادثات مثلها . . . ومن هنا يتحلى للمعاشرة فائدة تربية الفتاة ودرايتها بمبادئ قوايين الصحة وما يترتب على معرفتها ذلك من الفوائد الجمة .

( ب ) تدبير المنزل . حتى تحفظ حياة الأسرة وهمايتها ويصبح بيتها جنة تؤوي بها الأمهات يقتطفن من ثمارها أزواجا ، وحير لاهلها أن يعلموها ذلك بالمنزل حتى تصق العمل على العمل .

( ج ) كيفية تربية الأولاد تربية تبعده عن الأسقام وتنشئهم عن الملل .

( د ) العلم التام بكل شيء له علاقة بنظام المنزل : كترتيبه ، وكالطهي ، وغيره . . . حتى

إذا لم نجد يوماً من الأيام عندها طاهياً مثلاً قامت بأداء وظيفته دون أن تسبب لزوحه . كقدر وتوقمه في بحر من اليأس .

( هـ ) الحياكة والأشغال اليدوية : مما يجب تلقينه للفتاة ويكمل به النظام العائلي . ودرايتها

بهذه الأعمال ضروري جداً .

بقى علينا أن نذكر أهم العيوب الأخرى التي تتمتعها البنت في المدرسة وسنذكر المفيد منها  
١ - القراءة والكتابة ، حتى يتسنى لها أن تطلع الكتب الأدبية وتوسع مداركها وأفكارها ، وحتى لا نجد ربات الحرافات والأوهام ( كشيحات الزار ) - مثلاً - سبيلاً إلى إهداب ترهاتهن في عقلها .

٢ - الدين : فهو ضروري ولا خلاف في ذلك . لأنها بقدر تدينها تكون محترمة في عين زوجها . وتميل إلى عمل الخير وعدم إقرار الذنوب وفعل المعاصي .

٣ - اللغة الوطنية : وفائدتها واضحة إذ أنها تثق في نفسها روح الفيرة على الوطن ولندود

ما نتجها تلقن ذلك لأولادها فيما بعد . فينشأون وتفوسهم منصرفة إلى الدمار عن الوطن ونزوحه جانباً دائماً ، والعمل جهدهم في سبيل رفعة بلادهم .

١ - الحساب : لأنه يعينها في المعاملات ، ولا أرى في التاريخ فائدة كبرى . إلا أن معرفتها تاريخ الشيريات من النساء لا بأس به . فقد يسبب لها الميل إلى التشبه بهن والسعي في حب محورها لعمل الأعمال العظيمة ... أما الباقي من العلوم كاللغات الأجنبية والتاريخ العام وغيره فلا أرى فيه فائدة كبيرة لها ، وقد قيل :

« ما شبه بعض المتعلمين ببلور الوافد ، نستطيع أن نرى الحقيقة من خلالها ، ولكنها فلتنا عن الحقيقة » .

الوقت الملائم لتعليم الفتاة :

رب قائل يقول : لقد سلمنا بضرورة تربية البنت وتعليمها ، فلا ترى أنه يقف دون ذلك من موانع الأدبية ما يجعلنا نقص بقاءها جاهلة مع ما ذكرته من نتائج الجهل الوحيمة على أن تعلم ؟

الجواب على هذا يدهى للغاية وهو :

إن تعليم البنت يجب أن يكون في سن الحداثة وبهايته عدد من الموانع - وإن كانت التربية عسيرة صعبة بطبيعتها من الزلل - ما دام خلاف ذلك يدعو إلى التغيير من عاقبة التعليم ولا حدم عنه . وبذلك لا يوجد لأحد حجة يحتج بها على أن لجهل المرأة فائدة ، وكل امرئ عده مسكة من الشعور لا بد أن يقول « سعادة البشر في تعليم المرأة وتهذيبها »

وليس شرطاً على الرجل أن يذهب بها إلى المدرسة ، إنما يراد منه أن يعلمها سواء كان في مدرسة أم في البيت ، ولا نطالبه بأن يساويها به . وإنما نطالبه برفعها عن مستوى الجهل ، وعدم اعتباره إياها كالأنعام أو البهائم .

المهر والجهاز :

الآن قد وفقنا إلى الفتاة التي يجب اختيارها روعة تخرج لمستقبل ولأدأ نافعين مجدين مدمور وطنهم ويحافظون على مكانتهم ويرفعون شأنهم ، بقى علينا أن نتكلم عن الوسيلة في خيارها ، وهي مسألة المهر والجهاز ، وهي من الأهمية بمكان :

من العادات السيئة : الإسراف في الجهاز للعروس . فإن تلك العادة قد انتشرت في بلادنا فكانت عاقبتها من أشنع العواقب : ضرر بين ، وفقر حاصر ، وحراب عاجل . يقولون لا بد للعروس من أن تصطحب جهازاً فيه ما تلذ لأعين . سواء أكان ذلك يستعمل في بيت زوجها أم لا . ويدوم أن يكون في ذلك لحمار من الخيل ما غلا ثمنه وحف حمله ، ومن الثياب ما غلت قيمته . ولأن ماله ، وتعددت أشكاله ، وتوعدت ألوانه وأزياءه ما يكفي الواحدة السنين الطوال . كأنهم يريدون أن يفتحوا لها عزة في بيت زوجها أو معرضاً من معارض الخيل والملابس !!!



مسكين والد العروس يأخذ مهرها ويصيف إليه ما عنده من المال ويشترع في جمع دين من كل محزن وحالوت ، حتى إذا فرغ ما في يده استدان وتناول أموال الناس خوفاً من كلام النساء وصونا لكرامته من أقوال إخوانه . تذهب العروس إلى زوجها وترك والده يفسد مريض الدين وآلامه ، وكمن رجال ذهب شرفهم وانحط قدرهم بسبب الجهار . وقد شوهد أن بعض متوسط الثروة أصبح بسبب تخيير ابنته فقيراً ، وبات وعى عاتقه من الديون تقن يئس تحت عبثها . على أن معظم الجهار يكون قد فنى وتبدد وما بقى منه فقما يستعمل . ماور العروس وهذه التكاليف الباهظة مع أن البيت باسم الزوج لا باسم الزوجة فان أعجه لا يقرشه أصلاً فليكن . وإن راقه أن يحرف سقوفه وجدرانها بالذهب فليعمل . وليس للزوج وأهله أن ينتظروا شيئاً من العروس ، فهي وشأنها في مالها ومهرها كما قصت به الشريعة السمحة . وحوادث الطلاق فيها عظمات كبرى لو التفت إليها . تطلق المرأة وتذهب بجهارها إلى بيت أبيها فيظل مكسداً يرتع فيه المثل والجردان ، فإدا ما تزوجت ثانية وحدث أكثره تلما لا يصلح للاستعمل . والذي يدعو الرجل لهذا الاسراف هي زوجته « ولدة العروس » . لأنها تريد مناظرة غيرها من أهلها والعارفين بها ، ولماذا تقلد كل سيدة من هي أغنى منها ؟ وهل يعد المتوسط في الفنى والفقير عيباً ؟

وإن يعجبني لا يعجبني إلا المرأة الأوربية . لا ترى مالها كما تفعل المصرية في أوار لا تستعملها . وفي حرق تبلى بعد زمن قليل ، بل تستمر ذلك المال فتمنيه وتحفظه لعمور و تدخره لأولادها من بعدها . فهل للنساء اشرقيات أن يقصدن الغريبات في طرق الاقتصاد وفعل الخيرات ؟

ومن أضرار الجهار أنه كما يكلف والد العروس تلك التكاليف الحسيمة . يرم الزوج بها المهر الفاحش . فان والد الزوجة يجعل دائماً نصب عينيه الجهار الفخم ، وهذا يستدعي المعالة في طلب المهر ليستعين به على ذلك ، وكثيراً ما يكون الزوج عاجزاً عن قيمة المهر المطلوب ، ولكن إلحاح والد العروس وعزمه الأكيد يلجأه إلى إتفاق جميع ما تملكه يده فيصبح فقيراً معدماً أو مديناً دليلاً . ويتبدى حياته الجديدة بالهم الدائم والشفاء المستمر .

فالواجب يقضى على أهل البنات أن ردعوا صهرهم عن الاسراف إن حاول هو ذلك ، لا أن يحموه عليه تلذذاً بالتحدث عنه أمام باقي العائلات .

من واجبات أهل العروس مساعدة الصهر قدر لا مكان لشرط ألا يكافوا أنفسهم لا طاقة لهم به لأن براحتهم تراح ابنتهم . وإذا كان بناء بيته أو هيكل رواجه متيناً مدعوماً تكون سعادته وزوجه مطمونة . والفصل في مثل تلك الظروف لمن سبب السعادة وساعد عليها وفي الحديث الشريف « قلبن صداقاً أكثرهن ركة » .

( البقية على الصفحة رقم ٤٨٠ )

# عباس محمود العقاد\*

١ ملخص ترجمته - ٢ آراؤه في الأدب والحياة - ٣ آراء كبار الأدباء فيه

للأديب المبارك إبراهيم (ملا كال - سودان)

- ١ -

ملخص ترجمته

رحو ألا تتوهموا أيها الأخوة، أني سأعرض عليكم - في هذه الليلة - صورة فنية . واضحة واضحة . كاملة الأجزاء . لترجمة حياة أحد رسل المهضة الفكرية في مصر . الأديب الخالد من لعقاد ، فقدوين تراجم حياة المشاهير من قادة الفكر . وما شا كلهم بالاجمال من ذوي الشخصيات التاريخية البارزة ، قد أصبح اليوم فناً قائماً بذاته ، لا يحذفه إلا أفراد قلائل من جهة الأعلام في العالم ! قد تعمقوا في دراسة علم النفس . ووقفوا على ما استند من سراره . وستر من خفاياه . وأتقنوا بجانب ذلك أساليب البحث العلمي . ومناهج الاستقراء الفلسفي . كما لا يخرج عن دائرة معارف حضراتكم : أيها المتأدبون .

ومنى ألا يدور بخلدكم أيضاً ، أتى سأقدم إليكم بدرس تحليلي واف لباحية من نواحي لأدب العقادي المختلفة . لأن أوقات فراغي القصيرة . لا تمكنني من الخوض في عباب الحوث المستهينة المخصصة . التي يضطر محضرها إلى المراجعة والمقابلة والمقارنة بكل غاية وتقدير .

وعليه صعوة ما أصبو إليه . هو أن أوفق في إعطائكم تاريخاً مجلداً لحياة هذا الأديب المصري . مع نماذج منتقاة من كتبه الفلسفية في الأدب والحياة . أسردها عليكم دون شرح وتفسير . تاركاً لكم الحرية لكي تحكموا لها أو عليها . بما تقتضيه عدالتكم . ومن رأيي أن العقاد كثير من خول الشعراء . وعبارة الكتاب ، وجهابذة النقاد . له من كبره وكبراته ، ونجده يعترف بأكثر من هذا ويقرره بكل صراحة ووضوح في الأرجوة التي قدم بها ديوانه إلينا ، إذ قال :

هذا كتابي في يد القراء

.....

فيه من الحكمة والغباء

محمود عبد الله ، الأديب العباس المبارك إبراهيم ، توفاه الله . من درون عن محمود  
عبد الله المصري من أبناء السودان ولقيت من طلبة كلية غوردون النجاء . ونحن نشرها عملاً بحرية  
الرأي ، حتى لا تبهم بالجاهل والغرض .

ولكن صديقه الأستاذ المارنى يفسر لنا هذا الغباء . بأنه غباء من يتعب نفسه في هذه الدنيا بالأدب والخلود : وما إلى ذلك ، لا غباء من لا يفهم . ولا يرى حين ينظر . وقال أديب آخر : في ديوان العقاد غباء حقاً ، ولكنه نادر جداً ، لا تكاد تقع عليه وتقصيته ، وهو الذى عدّه عليه أحد الأدباء . ومزجه بأضعافه أضعافه من السفاهة ، ثم رجمه تقدراً . وإن غباء العقاد خير ألف مرة من ذكاء المدعين . وسفاهة الموتورين . هذا وحلاصة كلامى الليلة عن العقاد . إذا حلا من فائدة ، فأنا زعيم بأنه لا يخفى من لذة :

الأستاذ العقاد الآن . رحل قد تخطى عتبة الصبا . وتجاوز حد الأربعين ، ودخل في عهد الكهولة الذى يكتمل فيه النمو العقلى . ويقوى توفد القرينة . وتصحج الآراء . وبني رغبة . أنه قد بدأ يطوى حلقة العقد الخامس من عمره . فأنت تراه قى موزق المود ، بادی شرب . مشرق الطلعة ، معتدل القامة طويلها عملاقا .

أتى الأستاذ العقاد إلى الوجود منذ ٤٣ سنة ، في صيف ١٨٨٩ م ، وترعرع ودرج في حشرات بيت متواضع . لا تظالعت من مظاهر ما كنيه دلائل الثروة والعظمة والجدة . وليس في هذا ما يعاب به عليه . فجل مفكرى العالم وفلاسفته من أقدم العصور إلى يومنا هذا . إذ نصفنا تواريتهم . وحدنا قد تربوا في أحضان المائلات الفقيرة . وخرجوا إلى من بين جدران البيوتات الصغيرة .

وقد انتظم في سلك المدرسة الابتدائية الأميرية بأسوان مستقصد رأسه . وتخرج في سنة ١٩٠٤ وعمره أربعة عشر ربيعاً ، ويقول الأستاذ : « لم ألتق بعد انفصالى من المدرسة الابتدائية غير أبواب محدودة في الكهرباء والطبيعة ، حضرتهما بمدرسة الصنائع وانغمس بأسوان . وقد عاقتى عوائق شتى عن متابعة التعليم المدرسى كما كنت أود يومئذ . ولس على ذلك الآن بنادم » .

والفضل في تعلق الأستاذ العقاد بالأدب وانكبابه على دراسة كتبه ، ينسب إلى قصبة العلامة الأديب المرحوم الشيخ أحمد الجداوى ، أحد نبغاء الأهر الشريف الذين تنعذوا لاسيد جمال الدين الأفندى . فقد كان مجلس الشيخ الجداوى بأسوان محط رجال محب المعرفة . وقبله أنظار عشاق الآداب . وكان من المواظبين على الاختلاف إليه الشيخ محمود العقاد . مصطحباً - سعد الطالع - ابنه عباساً الطالب بالمدارس الأولية ، وهو لا يتوقع - بالطبع - أنه بعمله هذا قد مهد طريق الظهور لابنه الذى أصبح اليوم أحد الشخصيات البارزة المؤثرة في الحياة الأدبية والسياسية في الشرق عامة ، وفي مصر خاصة .

ويقول العقاد : « كنت أسمع من الشيخ الجداوى مطارحاته الشعرية . وفراءته لمقامات

بحررى وبعض القصائد المختارة ، واستطرف فكاهاته ونوادره التى كان يروها عن المتقدمين  
 وشأخريين ، فتشوقى ذلك إلى مطالعة الكتب الأدبية . فكان أول ما وقع فى يدي منها :  
 كتاب المستطرف فى كل فن مستطرف ، وديوان بهاء الدين زهير ، وقصص ألف ليلة وليلة ،  
 وبعده من دائرة المعارف للبستاني ، وأعداد مختلفة من صحيفة « الأستاذ » لصاحبها السيد  
 عبد الله النديم ، وكنت أسمع اسمه كثيراً فى مجلس لأستاذ الجداوى . ومن ثم أقبلت على  
 الطالبة العربية والافرنجية ونظم الشعر .

وما لا يترك مجالاً للشك فى أن العقاد أديب موهوب . وشاعر بالسليقة والفطرة . قصيدته  
 لسبابه التى نظمها فى فصل العنوم المدرسية . وهو ما رل فى دور الطفولة ، وعمره عشر  
 سنوات ، ومنها :

علم الحساب له حزايا حجة وبه يزيد المرء فى العرفان

وكذلك الجغرافيا تهدي الفتى لمسالك البلدان والوديان

وتعلم القرآن وادكر ربه فالنفع كل النفع فى القرآن !!

ثم اطروا أيها السادة إلى هذه الشاعرية الطفلة التى ولدت مع شاعرنا ، كيف نمت بنموه .  
 وحلّت أراهير الحكمة والفلسفة العميقة ، فى المقطوعة الآتية التى قالها وهو فى الثامنة عشرة ،  
 عذبت بها السعادة التى أعياها طلابها دون جدوى ، لأنه نشأ بأثماً كما أسلفت ، قال :

مه يا سعادة عني فما أنا من رجالك

لا تطعمني اليوم منى بالسعى خلف خيالك

فقد سألتك حتى ملأت طول سؤالك

وقد جهلتك لما سحرتني بجمالك

إن الحبيب بغيض إذا استعز بخالك

فلا تمرى بيالى ولا أمر يمالك

أشقى الأنام أسير معلق بحبالك

وقدر ول العقاد مهنة التعليم بعدة مدارس أهلية ، والتحق ببعض الوظائف الحكومية ،  
 ونشوب . كنت أستقبل منها واحدة بعد أخرى نفوراً من قيودها الثقيلة . وتكاليفها الغنية .  
 هذا . وبعد نشوب الحرب الكبرى فى سنة ١٩١٤ ، كان العقاد يقبم ببلدته ( سوان )  
 فانه مديرها بالاشتغال بالأمور السياسية والاهتمام بأخبارها . فوكل أحد جوده عراقتة ،  
 سر بلازمه كظله فيما سار أطراف النهار . وببيت أمم داره آناء الليل . وكان المدير يوافق  
 إدارة لداخلية بأخباره تفرافياً فى كل يوم ، ويلفق ضده التهم الباطلة ، الشئ الذى جعل  
 فرع الأمن العام بالقاهرة يهتم بأبنائه ، ويطلب إلى المدير أن يشدد المراقبة عليه ، لكيلا

يستفحل خطره . وأخيراً ضاق أستاذنا درعاً من هذه الحالة المضنية ، فخرج من دره تحت  
أستار الظلام قبيل طوع العجز . متسكراً في زى امرأة « نسوانية » حتى لا يتعرفه الجندى  
الواقف له بالمرصداً أمام الباب ، وبعد أن توارى عن نظار الرقيب . ارتدى ملابس رجلى  
التي كان يخفيها تحت ملابسه النسوية . وقصد إلى المحطة التي تقع بحرى أسوان . واستن من  
القطار إلى القاهرة .

وهناك رفع أمره إلى وزير الداخلية . فعظمته المرحوم السلطان حسين كامل ، ولما تبيّن لولاه  
الأمر أن الأحبار التي كانت تصلهم من مدير أسوان عنه لا ظل لها من الحقيقة . طبعوا  
المدير على افتراءاته المبالغ فيها بحالته على المعاش . وهكذا ينتصر الحق على الباطل .  
وهنا السر - على ما ظن - في رثاء العقاد لسلطان حسين . لأنه لم يمودنا أن يتلقى و  
مدحه أى « امرئ غره عرش وإيوان » . و يتكلف في رثائه لمن لا يستحق . ومن ذلك  
الرثاء الجيد قوله :

وادی الكنانة غاب عنه هممه      وجبا سناه ونكست علامه  
أحسين ! لا يبرح حيالك حاضراً      للملك كيف صلاحه ونظامه .

ومن أراد الوقوف على هذه المراثية العصماء . وحدها مدرجة في ديوانه بخديده .  
على الصفحة ٢١٨ .

وقد أخذ بدر شهرة العقاد في الظهور والتجلى بعد مقامه بالقاهرة على أثر هذه الحادثة  
واشتغاله بالصحافة . وأول جريدة عمل فيها كحرر هي جريدة « الدستور » التي كان يصدره  
الأستاذ فريد وجدي مؤلف دائرة معارف القرن العشرين . وقد حرر بعدها في « مهات  
الجرائد المصرية كالأهرام والآمال والبلاغ ومصر . وهو اليوم المحرر الأول لجريدة  
كوكب الشرق .

وقد أصبح الأوحدين قادة الفكر ومولك الكلام في الشرق العربي . حيث يتمتع بحبه حبون  
جراحة من القراء والمؤيدين والأنصار .

والعقاد يكتب بأسلوب فلسفي قوى في غير خشونة . وعباراته منطقية عقلية مصدولة في  
غير تنميق لغوي أو زحرفة بديعية . وقد يتعمق « حياً » في بحوثه وفصوله الأدبية حتى يشهد  
عن تناول فهم القارئ السطحي البسيط .

وله طريقة في النقد هدامة . قل أن يصارعه فيها ناقد . وهو قوى الحجة في ميدان  
المسافة والجدل . وقد قل : « وخطي في المناقشة أن أعمد إلى أقوى الحجج بداءة . فأحتد  
في تقويضها . ثم أقفوها بأضعف الحجج . وقد أعود إلى ما فيه مساك من القوة . وربما كانت  
في هذه الخطة مفاجأة للقارئ . ولكنها مفاجأة لا تحو - كما شاهدت بالتجربة - من  
تأثيرها المحمود » .



وفد كان لزعم الراحل يلقبه بالكتاب الجبار العكر . كما أشار العقاد إلى ذلك في رثائه  
لعه ، قال :

يا هدى الأمة يا نعم الهدى يا حدين الصحب يا نعم الخدين  
أنا حبارك لا تمهني ذلك الجبار في الدمع السحين !  
وعقاد يعانى منذ زمن ليس بالقصير كآلام داء دوى كامن بين حسيه . ولهذا يكتب مقالاته  
باسم سياسية منها في مرله وهو طرح الفرائض . أما الشعر فينظمه وهو يرتاض في الأماكن  
لطوية أو بين الرياض ، ولقد قال :

وفصل الكتابة مفرداً لا يحيط في أحد . ولم يكتب قط في الأدب خاصة ومع آخر  
في الهجرة إلا أن أملى عليه ما أقول ، وهو جد نادر .

« ولم أعود أن أستعين بشيء من المنهات التي يألفها بعض الكتاب ثناء العمل : كالتدخين  
وشرب قهوة وما إليهما ، حتى أيام كنت أدرج . بل لقد كنت يومئذ أترك التدخين حين  
أشعر في الكتابة » .

ولم تخرج المطابع في العهد الراحل من الأشعار التي ترمى إلى الأغراض السامية النبيلة  
دوع من شعر العقاد والرهاوى . على ما اعتقد . ، وشعر العقاد في مجموعته يمثل العقل أكثر  
من تنيله للعاطفة .

وبعقاد طريقة خاصة في اللقاء . ترك كتاباته تسطيع في فؤادك انطبعا . وهو قليل الحركات  
، لاشارات في مواقفه الخطائية ، وقد حظيت بسماحه خطيباً مرتين : الأولى ينشد قصيدته  
التي في احتفال القاهرة الثالث بأحياء ذكرى الرئيس الراحل بجوار بيت الأمة ، والثانية  
حين كان يناظر الأستاذ سلامة موسى في صالة المحاضرات بالجامعة المصرية ، في  
موضوع « اشرق شرق ، والغرب غرب . والاثمان لا يلتقيان » تناول هو الناحية السلبية  
« مسرة ناحية الإيجابية . وبعد أن أدلى كل منهما بأرائه وأفرغ جملة براهينه . أسفر أخذ  
موسى المستمعين عن انتصار العقاد وانهزام سلامة موسى .

ألمت أيها السادة في تقدم إلى طول قمة العقاد . ذلك الطول انطاهر ، ولهذا المناسبة  
ربما أسوق هذه لنادرة لتكون خاتمة لهذا الفصل .

قيل : إنه في يوم خروج العقاد من السجن في ٨ يوليو من السنة الماضية ، كان في طليعة  
الذين تهنئته بداره في مصر الجديدة بشارع السلطان سليم رقم ١٣ صديقه الأستاذ  
داري . وهو على عكس صديقه قصير القامة ، وعند ما التقيا أحب المازني أن يعانق حميمه  
فدفع . ويطبع على جبينه قبلات الفرح والاشتياق : ولكن دلوني كيف السبيل إلى ذلك ؟  
والفرق ظاهر بين طول العقاد وقصر المازني !

لم يكن هناك غير أن شرع المارني . والحالة هذه - في تعلق قومه العقاد وهو يساندني الصمود حتى نال أميته !! فكان منظرهما مؤثراً ستثار عاطفة الصحت في نفوس المشاهدين

— ٢ —

### آرائه في الأدب والحياة

العقاد أديب وعالم ومفكر معاً ، كرس حياته منذ حداثة على المطالعة ، وتوفر على درس أنصح ما أثمره العقول وأنتجته القرائح في الشرق والغرب . قديماً وحديثاً . ومقتى إلى يوم يصرف ساعاته بين الكتب في المطالعات والمراجعات وتحرير الفصول . وهو يعيش في جو العزوبة الهادي ، زاهداً في الزواج ومنزعجاً من تكاليفه ، ليقضي ليلاته منرداً يقرأ ويكتب ، ولا سيما وأن المرأة في بلادنا الشرقية بوجه عام لم تأخذ حظها بعد من الثقافة والرق . ولهذا ليس أبغض إليهما من جلساء فتاها ( بعلمها ) مثل الكتاب .

وفي ثناء مصالعاته قد توحى إليه كتبه بما توحى ، فيسبى يفضي إلينا بقيمة هذا الوحى . ويشرح لنا أثره الصالح والردى في الحياة والأدب . بتلك الطريقة العقادية الممتعة المتناثرة وأديبنا يرى أن كتبه هي إلى أشعرته بهذا الشقاء الذي هو فيه . ولكنى في الوقت عبء أراها قد سطرت اسمه بحروف من نور على صحيفة الزمان الباقي . وأنا أتصوره في منظومته الآتية حالساً بين أكداها . والبؤس يعرض ويهتد في حشد ، وهو يتأفف ويتصحر . وينحى عليها باللائمة بلغة حزينة باكية مثلاً :

يا كتي ألبست جلدي الضنى	لم يغن عني جلدك المذهب
كم ليلة سوداء قضيتها	مهران حتى أدبر الكوكب
والناس : إما غارق في الكرى	أو غارق في كأسه يشرب !
أو عاشق واقاه ممشوقه	فقال من دنياه ما يرغب
ينتفع المرء بما يقتنى	وأنت لا جدوى ولا مأرب !
إلا الأحاديث وإلا المنى	وخبرة صاحبها متمب !
أثقت منى ما يعرض الورى	به على الله ولم يذنبوا
من ضوء عيني ومن صحتى	سدى ومن وقى وما أكسب
ومن شباب فيك ضيعته	فما أنا إلا الفقى الأشيب !
لو كنت كالجبار فى تقمى	لكانت فى النار لها معطب
فى ذمة الطرس وفى حفظه	عمر تقضى شطره الأطيب !
لا رحم الرحمن فى من مضى	من علم العالم أن يكتبوا !

ومن هنا أتقل إلى سرد آرائه في الأدب والحياة ، ورحأى إليها السادة أن تستمعوه

مادة و نشأة . وهى من الآراء الناصحة التى يعتمد بها ، لصدورها عن فقيه من فقهاء الأدب  
البلين في شرقنا العزيز .

### رأيه في الشعر

شعر يعمق الحياة ، فيجعل الساعة من العمر ساعات ، فإذا قلنا لك أحبيب الشعر ، فكأنما  
قربك عش أو إذا قلنا إن أمة أخذت تطرب للشعر ، فكأنما نقول أنها أخذت تطرب للحياة .

والشعر من نفس الرحمن مقتبس	والشاعر الفذ بين الناس ورحمن
تفضى له ألسن الدنيا بما علمت	كأنما هو في الدنيا سليمان
والحب والشعر ديني والحياة مما	دين لعمرى لا تنفيه أديان
والشعر ألسنة تفضى الحياة بها	إلى الحياة بما يطويه كتمان
لولا القريض لكانت وهى فاتنة	خرساء ليس لها بالقول تبيان
مادام في الكون ركن للحياة يرى	ففى صحائمه للشعر ديوان

### رأيه في الموسيقى

معلمة الانسان ما ليس يعلم	وقائلة ما لا يبوح به الفم
ومسمعة الانسان أشجان نفسه	فيطر به ترجيمها وهى تؤلم
أعيدى على الصوت أنظر لملنى	أرى فى ثنايا اللحن ما يتوسم
ألا حديثنا عن إله نجبه	ونعبد حجاباً ولا نتألم
فما كان للوحى الإلهى مملوك	إلى القلب أشجى من صدك وأكرم
حديثك من كل اللغات منظم	ومعناك فى كل النفوس مقسم

### رأيه في الأدب والحياة

ما الحياة وما الأدب ؟ شيان كلا ليسيهما من مادة واحدة . فالحياة هى شعور تملأه  
ونفس ، وتتأمل آثاره فى الكون وفى نفوس غيرك . والأدب هو ذلك الشعور ممثلاً  
وتمثل الذى يلائمه من الكلام ، وما احتاج لئاس من قبل إلى من يثبت لهم أن  
لأدب لا يكون بغير حياة ، ولكسهم يحسبون أنهم فى حاجة إلى من يثبت لهم أن الحياة  
لا تكون بغير أدب . مع أن الأمرين بمرلة واحدة ، فان لكل حياة أدباً ، ولكل أدب  
حياة . والمقياس الذى يقاس به كلاهما واحد لا يختلف فى دلائله ، وإن يختلف فى وسائله .

### رأيه في الأدب العربى

إن الأدب العربى أشبه بالمواد الغذائية التى ما زالت فى حاجة إلى المعنى ، فإذا كان  
تدري ماهياً ماهراً . استطاع أن يخرج منه مائدة كأشهى الموائد ، وإذا كان القارىء  
كلاً ليس إلا . ففى استفادته من هذا الأدب صعوبة لا يتعذر تذليلها عادة النظر فى

المصنفات القديمة على يد لجنة أو أفراد من الأدباء قادرين على استخلاص النافع من  
وتحليله للقراء على الوجه المقبول .

### رأيه في الأدب والسياسة

« لا أحسبني اشتغلت بالسياسة عن الأدب كل الاشتغال . ولا نسيت عهدى في هذا الأمر .  
الأدب عندي شجرة طعمت بفضن من السياسة ، فتغير طعم الثمرة بعض الشيء ولم تتغير رائحة  
ولا الجذور ! »

### رأيه في المرأة الشرقية

« إنني أحب أن تحتفظ المرأة الشرقية بأنوثتها . ولا تقتبس من المدنية الغربية إلا ما كان  
سلاحاً لهذه الأنوثة ، في أداء وظيفتها وصون حقوقها . »

### رأيه في السعادة

« أنا تصور أن السعادة هي الاكتفاء واليقين ، وتكون النفس إذا اكتفت وقيست  
قريبة باسمه ، ووديمة حاملة ، وراضية في سكون وغبطة . ومسترسلة في عناية مصبرة . »

### رأيه في إجماع الآراء

ما بكثرة المثبتين الأمر تثبته ولا بقلتهم للحق إيهاد  
ورب قولة رور قالها رجل منهم فضاف بها في الأرض ركبان  
تداولوها فصارت في مذاهبهم شريعة تقصها كفر وعصيان  
أخرى مزاعمهم بالشك أسيرها فالحق متمد والافك عجلان

### رأيه في أن الإنسان قرد

وقال يشير إلى نظرية داروين في شيء من التهمك الصاحك :

قالوا إن آدم من قرد ققلت لهم كلا ولكنه في الأصل ثعبان  
إن أصبح القرد في خلق عائلته ففي خلأقه لا شك برهان  
في كل يوم له ثوب يجده من الرياء وفي فككه زيفان

### لا تعبذن !

وقد اتهم بعضهم الرجل في عقيدته . راعما أن من قوله الاتي تشتم رائحة الهرمة  
والكفر القبيح !

الدين باق ما جهلنا سره ولنبتقين سره جهالا  
لا تعبذن إذا أردت سيارة رباً يعين الصيد والأنذالا .  
واعبد إلهاً يصطفيك بمعونه ويذيق حصمك دلة ونكالا

## في وصف الله ١

يا قول إن روح التوحيد والايان الحار الصحيح ترفرف فوق آياته الآنية ، قال :  
يا قارئاً في طرسه وكتابه ما العلم حظ القارئ التراث  
والعلم ما كشف الحقائق نوره وأراك كيف يكون صنع الباري  
والعلم ما تفض الكرى عن أهله فأقام بعد الليل ضوء نهار  
والعلم علم الكون في صفحاته لا في قراطيس ولا طومار !  
والعلم وصف الله فاعلم تستطع تصريف ما في الكون من أسرار !  
فاذا درست في الكتاب حققوا مصداقه في حكمة القهار !

- ٣ -

## آراء كبار الأدباء فيه

وفي بي أيها السادة طائفة من آراء مشاهير الأدباء والعلماء في العقاد :  
رأى الدكتور أصحاب المقطم

« العقاد كاتب بخانة ، وشاعر نظمته جامع بين متانة الشعر القديم وسلاسة الحديث ! ويظهر  
لنا كأن اطلاعه على منظومات الأوربيين في لغتهم - بعد ما تخرج في مختلف العلوم الطبيعية  
والاجتماعية - سهل على قريحته الاتيان بعمان جديدة : ولا يحسب النظم شاعراً ، إلا إذا  
جمع بين أمرين : دقة المعنى ، ورقة اللفظ ، وهذه الأخيرة هي ما يسمى بالديباجة ، وهما  
فداًجتماعاً للاستاذ العقاد » .

## رأى المازني

« وبني لأحسن بعد الفراغ من مراجعة ديوان العقاد - كأن تدير الحياة لي كان حقيقة أن  
يكون ناقصاً من بعض وجوهه لو لم يقل العقاد شعره هذا ! . ولا أراي مبالغاً ولا أقول ذلك  
على سبيل المجاملة ، أو مدح صديق لصديقه » .

## رأى دوقائيل بطي

« العقاد شاعر مجيد مبتكر ، وقد اشتهر على الأكثر بزوجه الى التجديد ، وعرف بوقوفه  
القائم على روح الأدب » .

## رأى زكريا علي

« يسرنا أن نشكر العقاد الذي برهن على تفوق المذهب الجديد على المذهب القديم » .

## رأى دريني خشبة

« العقاد نغم لمصر ، لانه خلق لها فلسفة مصرية سادحة تستروح إليها النفس . رغم ما يبدو  
فيها لأول مرة من تعقيد ! ! ! »



## رأى محمود الشرفاوى

«العقاد له شخصية قوية في كتاباته تجعل له سلطانه على قارئه، لا يستطيع أحد ما مقاومته. وإن حين أقرأ مقالا سياسياً للعقاد، أحكم بأن العقاد السياسي هو خير من العقاد الشاعر والعقاد النثرى. وعند ما أقرأ له فصلاً أدبياً، أحكم بأن العقاد الأديب أفضل من العقاد السياسي والشاعر. وعند ما أستمتع بقصيدة حية من روائعه، أحكم بأن العقاد الشاعر خير من العقادين. إن خير من جميع الشعراء، ذلك لأن للعقاد قوة تشغل النفس بالحاضر، حتى يطفى على الغائب، رأى بعضهم

«نحيي العقاد بشير النهضة العقلية، وهو القنطرة انطلقت سحرا من الأرض الراقدة. وحلقت في علياء السماوات. تنشد الشمس حتى توقظها من حدرها لتخرج على عالمنا تفيض عليه لنور وتعيد إليه الحياة». الخاتمة

إلى هنا انتهى في المضاف - أيها السادة - بعد أن مررت بحضوركم مروراً حديرياً على تاريخ العقاد وآرائه وآراء كبار الأدباء فيه، وأنا لا أدري متى ستمسح لي الظروف لأنترف بالتحدث إليكم مرة أخرى عن هذا الفيلسوف القيم بالدرس والتحليل، والذي لا يساورني شك في أنه من أقوى الدعائم في بناء مدرسة الآداب الحديثة. ملا كال (سودان)

المبارك إبراهيم

## كيف نعد الفتاة للزواج؟

(بقية المنشور على الصفحة ٤٧٥)

وإداسئل والد العروس عن السبب الذي دعاه لطلب زيادة المهر يقول: إن هذا القدر من المهر زهيد جداً، لأني سأعد جهازاً كاملاً وسأنتق عليه من مالى أضعاف المهر. به المذر الضعيف قد خالف الشرع الشريف، ورضى بشؤم ابنته وبضرر زوجها بنضر نفسه وباليات هذا الاتفاق كان في شيء نافع للعروسين. بل إن الجهار في الوقت الحاضر صار من الأمور الصورية التي تستمع بها الأنظار، ولا تستعمل في مرافق الحياة التي هي العرض من الأزواج ومن الاستعداد لبناء أسرة في المجتمع.

وإن لأرجو أن يكون لنا قدوة حسنة بالمرحوم عثمان باشا ماهر. فقد قيل إنه عد روح ابنته وبعد عقد العقد سلمها لزوجها، وسلم إليها قبل مغادرة منزل حجة الأطلين التي اشترها باسمها وقدرها مائة فدان، وقال لزوجها: هذا هو الجهاز تنصرف فيه بالعقل والحكمة وعيشاً معاً في هناء ورخاء.

ومن ثم أدرك بعض العقلاء منه هذه الحكمة، فحفنوا من المهر واقتصروا على الضروري من الجهاز بفعلى أن يكونوا قدوة لنا، فتحسن الحال وتحفظ الثروة ويعيش الأرواح مع زوجاتهم في هناء وعيش رغيد.

مصطفى حاد أبو العلا

# المستشرقون بين الأديين :

## القديم والحديث

بقلم الأستاذ محمد أمين حسونة

نوح اليوم في أفق الأدب العربي ظاهرة جديدة حساسة ، جديرة باهتمام أبناء الباطنيين  
صدد والمتشبعين بروح التجديد : هي أن يجري بحوث المستشرقين والمستعربين . قد بدأ  
نحو رويداً رويداً من الأدب العربي القديم إلى الأدب الحديث ... وهم من حيث دراستهم  
مما شاع من لأدب . إنما تراهم يقومون بنفس الخدمة التي كانوا يقومون بها من قبل ، فهم  
عالميون ، يحققون فكرة سامية طالما جاشت بصدورنا . هي الوصول بالأدب المصري  
لحدث إلى العالمية ؛ وهذه بلا شك أحسن دعاية طيبة لنا ، من حيث تعريف الغرب بشيء  
من أدبنا العصرية وجهودنا . وتصويرنا كأمة حية تريد أن تأخذ نصيبها ومكانتها في الحياة .  
إن أعجب ظاهرة بارزة في هؤلاء المستشرقين خدمتهم بلغة العربية ، وهم ليسوا من  
سبها ولا يمتنون إليها بصلة . وقد يكون للبعض منهم ما كرب استعمارية ، ولكن لم يكن هذا  
مؤسس لأساسي ؛ فنذ نيف وثلاثة قرون وهم يخدمون هذه اللغة عن صدق وإخلاص ، وقد  
حيو معلم حضارات ونهضات كادت تطمس لو لم يتصدوا لها ويتولوا بمصائبهم واهتمامهم ،  
بهاك آلاف لكتب — سواء التي نشرت بالعربية أم بلغاتهم — بعثوها من قبورها . وأقوى  
ممن منهم رهرة حياته في درسها ، وفردوا لبعضها الفهارس التي تسهل على الباحث والقارئ  
من دراسة ؛ ولا يستطيع إنسان أن ينكر أنهم أمناء في النقل وتحري الحقائق ، حتى إن  
كثيراً من الأئمة والأعلام . إنما يعتمدون على كتبهم وبحوثهم ويثقون بها ثقة مطلقة ، وإن  
شاهدنا صحة ذلك بقول رجل علامة فاضل ، هو الأستاذ محمد كرد علي ، رئيس الجمع  
معي بدمشق . حينما وقف وألقى محاضراته القيمة بدار مدرسة المعلمين العليا بالقاهرة ، والتي  
كان عنوانها « أمهات الكتب العربية القديمة . وعلماء المشرقيات في الغرب » ، فقد جاء بها :  
وبعد ، فما برح العارفون منا يقدرون عمل المستعربين حق قدره . بل ويعجبون به  
ويحسدونه . قال لي أستاذي علامة الشام ، الشيخ طاهر الجزائري : أليس من الغريب أن  
يكور تفسير القاضي البيضاوي المطبوع في ألمانيا أصبح من الطبعة التي طبعت في الآستانة ؟

وسمعت أستاذي العلامة الشيخ محمدًا المبارك يقول: لاحظت - مع الجماعة الذين تجتمع وإياهم على قبة سيرة ابن هشام - أن الطابع الأفرنجي على بطبعها وخدمتها أكثر من عناية المصحح لها والمطبعة الأميرية في مصر، وهذا من عجيب تدقيق علماء المشرقيات وسلامة نظره. يحسنون طبع تفسير قرآنا وسيرة رسولنا أكثر مما نحسنه، على حين نحن لم نحرص في كل عصر على شيء حرصنا على علوم الدين ومقوماته، وأغفلنا ما عداها من العلوم إلا قليلا. ولولا عناية المستعربين بأحياء آثارنا ما انتهت إلينا تلك الدرر الثمينة التي أخذناها من: طبقات الصعابة. وطبقات الحفاظ، ومعجم البلدان، ومعجم الأدباء. وابن جبير، وابن بطوطة، ومعجم ما استعجم. وفتوح البلدان، وفهرست ابن النديم، ومفاتيح العلوم، وطبقات الأطباء، وأخبار الحكماء، والمفردات، والاصطخري، وابن حوقل. والهمداني، وشيخ الرتبة، إلى عشرات من كتب الجغرافيه والرحلات التي أفسحت أمامنا معرفة بلادنا في الماضي، ووقفنا على درجة حصارها - لولا إحياء ابن جرير، وابن الأثير، وأبي الفداء، واليعقوبي، والدينوري. والمسعودي، وبنو شامة. وابن الطقطقي، وحمزة الاصفهاني، وأمثالهم، لجهلنا تاريخنا الصحيح. وأصبحنا في حماية من أمر. ولو جئنا بعدد حسنات دواوين الشعر وكتب الأدب والعلم التي أحيوها لطلاليد المسال، ففي الذي أوردناه من أسمائها - فيما سلف - غنية بالمقصود بيان تلك المزايا والاشادة بالأيدي البيضاء التي أسداها القوم لآدابنا « اهـ ».

ولا يستطيع أحد أن ينكر أن الأستاذ كرد علي كان صادقا وأميناً فيما ذكره عن جهود هؤلاء الأبطال العالميين، وسواء أكان لبعض منهم ما رُب استعمارية أو غير استعمارية. فلا يحق لنا أن نخلط بين هذا، وبين الجهود التي بذلوها وانتفعت بها اللغة والآداب العربية وأذكر على سبيل المثال بعض أقطابهم وأعلامهم، أمثال: مرجليوث، وهارسون، وصمويل لاي. وكارلايل في انجلترا؛ وليتمان. وروخ في ألمانيا؛ وجويدي الكبير. ودينيو. ولازوي، وكيتاني، وجريفيين، وبرترلوميو في إيطاليا؛ ولافونت، وجسبار، وكلازرا، والشاعر الفونسو يارو - الذي قل أخيراً رباعيات الخيام - في إسبانيا؛ وكسون، وديكوف، وكراشفوسكي في روسيا؛ ومهرن، ومورج، وسترستين في السويد؛ ومارسيل، ومسينيون في فرنسا... الخ.

وتمثل جهود المستشرقين اليوم مجتمعة متضامنة في « دائرة المعارف الاسلاميه ». وهي مجهود عنيف جبار. لم يتح لسواهم الاقدام على مثله - أعني وضع هذه المعاملة الكبيرة، والتي سوف تظهر قريباً، بثلاث لغات حية: الانجليزية، والفرنسية، والألمانية، وينشر فيها كل ماله صلة وما يتعلق بالاسلام من أدب وعلم وفقه وتشريع، وقد بدأوها بالحروف الأبجدية العربية. واحتص كل مستشرق بكتابة الفرع الذي يحسن دراسته أكثر من غيره.

ونعود الآن إلى موضوعنا الأصلي فنقول: إن من بين المستشرقين الذين أضرروا اهتماماً

ويذكر في لأدب المصري الحديث، الدكتور سنوك هيحرونيه «Snouk Hargronje» الهولندي،  
 ذكر أنه استقبل مرة في السربون فبقبه المسيو ماسينيون المستشرق الفرنسي المعروف بـ «شيخ  
 شترفين» .

والحقيقة أن الدكتور سنوك يعتبر اليوم أكبر مستشرق ، وأغن ما نملكه في الأدب  
 من من دحيمة ، ويرجع اهتمامه بالأدب المصري وبالمباحث الاسلامية إلى طبيعة وظيفته .  
 من ولية العهد في هولندا . ومن القواعد المرعية هناك دراسة اللغة العربية لأولياء  
 العرش . والحكام نظراً إلى المستعمرات الاسلامية التي تبسط دولها عليها ، وهو إلى  
 بعد يشمل وظيفة مراقب للشؤون الدينية والاجتماعية في المستعمرات الهولندية بالشرق .  
 كبير من اشرفيين رجلاً دقيقاً منصفاً ، وقد وصفه بذلك عطوفة الأمير شكيب أرسلان  
 إحدى رسائله .

وكانت هولندا منذ أعوام قلائل قد أخذت بمعض عادات أهل جاوة ، ووضعتها في قانون خاص  
 وببوسطته إجبار الأهالي على الخضوع لمراسيمه ، غير أنهم ثاروا على هذا القانون ،  
 من الحكومة الهولندية الدكتور سنوك ، الذي سافر إلى هناك ووضع تقريراً مسهباً ،  
 من شأنه أن عدلت الحكومة عن رأيها ، وسحبت هذا القانون لما كان فيه من المخالفة  
 لقواعد الشريعة المحمدية السمحاء ، وقد استفتته فرنسا بالأمس في القوانين الجديدة  
 حاول تطبيقها على البربر في شمال أفريقيا . وهم مسلمون لا شك في إسلامهم - وقد وضع  
 من تقاريره التي لا تزال موضع بحث وتمحيص .

وبأية اهتمام الدكتور سنوك بالأدب العربي الحديث ، هي أنه يبحث في فرع خاص منه ،  
 في كل ما يكتب في الفلسفة الاسلامية . وهو يعتبر حجة في هذا الباب ، ولعل القراء  
 يحسون أن الدكتور ذكر مبارك أهدى « الرسالة العذراء » إلى الدكتور سنوك ، نظراً  
 إلى الأخير وضع رسالة عنه بالهولندية بمناسبة كتابه « الأخلاق عند الغزالي » الذي نال  
 حمة الدكتوراه من الجامعة المصرية .

وبى لدكتور سنوك في الاهتمام بالأدب العربي الحديث، الأستاذ ماسينيون (Massignon)،  
 وكوليج دي فرانس ومعهد الدراسات الاسلامية في السربون . ووجهة اهتمامه بهذا النوع  
 من الأدب : الصحافة المصرية . وأذكر على سبيل المثال . أنه وضع أحيراً دليلاً مفصلاً جداً  
 من جميع لترات الدورية باللغة العربية في العالم ، وله شغف واهتمام بوضع الاحصائيات عن  
 سائر الجبهات التي لها أدب خاص ، هذا في حين أنك تجد مغمراً بصفة خاصة بتعقب التطورات  
 العلمية في الشرق ، فهو يعرف مثلاً عن الشيعة في مدينة القاهرة ما لا يعرفه القاهريون  
 منهم . ويصدر مجلة تحت اسم « الدراسات الاسلامية » ، وفي هذه المجلة تنشر سجلات  
 دورية عن حركة النشر في العالم الاسلامي . وحركات التطور والاصلاح . حتى عن دقائق الأزهر

التي قد تخفى علينا، وله إلمام تام بمعرفة الأدباء المصريين، الذين يهتمون بالفلسفة الإسلامية، وهو من هذه الناحية تلميذ موفق للدكتور سنوك .

والأستاذ « جب » الانجليزى له بحوث قيمة ، كان للدكتور هيكل بث فصح لسبر وإذاعة ترجمتها على صفحات « السياسة الأسبوعية » ، وهى مجموعة آراء تقيسة عن الأدب العربى فى القرن التاسع عشر ، وتحليل مسهب لأعلام المدرسة الحديثة .

وفى روسيا اليوم نهضة وثابة واهتمام كبير بالأدب العربى الحديث ، ويقود هذه سيرة الأستاذ كراتشفسكى المستشرق الكبير ، وأول من درس فى الغرب البلاغة العربية العصرية درساً مطرداً ، وقد زار سوريا ومصر حوالى عام ١٩٠٨ ، وهو صديق حميم للأدباء المصريين . وقد انتخب عضواً بالمجمع العلمى العربى فى دمشق فى عام ١٩٢٣ ، والقراء يذكرون - دورته أنه احتفل أخيراً فى « ليننجراد » باليوبيل الفضى لدراسته اللغة العربية . وقد نشرت سيرة « فاسيلفا » أخيراً - تحت إشراف الأستاذ كراتشفسكى - مختارات من الأدب المصرى الحديث ، صدر بمقدمة تقيسة عن تطور البلاغة العربية فى أواخر القرن التاسع عشر . والأستاذ دى جوزى ينشر الآن سلسلة بحاث قيمة فى فترات متفاوتة على صفحات « المقتطف » . وبين يطالعون الأستاذ جوزى ، يحكمون بما للرجل من السعة والتبحر فى الأدب العربى والحديثة منها خاصة .

وفى ألمانيا اليوم ، طائفة من المستشرقين ممتازة ، على رأسها الأستاذ كرامير رئيس الجمعية الألمانية للدراسات الإسلامية ، وأستاذ الأدب العربى بكلية اللغات الشرقية ببرلين . وهو ينشر الآن دراسات دورية باللغتين العربية والألمانية عن الأدب المصرى . وقد وضع أخيراً - بمساعدة الأستاذ طاهر ضميرى - كتاباً تحت عنوان « قادة الأدب المصرى » . وقد حوى الكتاب تراجم وتحليل لأسلوب كتابنا المعاصرين أمثال: الدكتور هيكل ، والدكتور طه حسين والأساتذة : مصطفى ، وعلى عبد الرازق ، وسلامة موسى ، وعنان . والمازنى ، والعقد ... خ . وفى الجامعة المصرية طائفة مختارة من المستشرقين المتشبعين بروح الآداب العصرية ، وعلى رأسها الأستاذ « ا . شادة » مدير دار الكتب المصرية السابق ، وأستاذ الأدب العربى بجامعة هامبرج ، كذلك الأستاذ شتراز برجر الألمانى ، والأستاذ باكتون المستشرق الانجليزى المعروف ، و مترجم كتاب الأيام للدكتور طه حسين ، وهو مهتم الآن بوضع كتب عن القصة المصرية وتطورها ومنتخبات قصصية لمشاهير الكتاب المصريين .

أما فى سويسرا ، فهناك الأستاذ ويدمار ، وهو يبدى غيرة ونشاطاً أكثر من غيره . ويقول اليوم نشر سلسلة كتب باللغة الألمانية عن الأدب المصرى الحديث ، حازت إعجاب المهتمين بالأدب العربى جميعاً . وقد بدأ بدراسة اللغة العربية منذ ثمانية عشر عاماً تقريباً .

[ البقية على الصفحة رقم ٤٨٧ ]



# بناء العش

## في مملكة الحيوان

بقلم الاستاذ محمد محمد السيد  
مدرس العلوم بالمدراس الأميرية

عش هو المكان الذي يبيض فيه الأنثى وترى فيه صفارها، وتختار موقعه دائماً في أبعاد صلب عن الأخطار، حتى تضمن الأم لصفارها السلامة على قدر الامكان .  
في الحيوانات الرخوة (الحمار والقواقع) تلتق الأنثى ببيضها في الماء بدون تفكير في مصيره،  
مور أن تبني مكاناً ملائماً لاستقبال هذا البيض ؛ ولذلك فاحتمال إنتاج هذا البيض قليل جداً . وكله يذهب تقريباً طعاماً للحيوانات البحرية . ومن هنا كان عدد البيض كثيراً طالع النوع .

في الأسماك فتضع بيضها عادة في قاع الأنهار والبحار بين الصخور وبعضها : فالسمك  
سرو (حوت سليمان) يحفر في قاع إحدى حفرة ليضع البيض فيها، حتى يصبر بآمن من التيارات  
التي ومن الأعداء . وبعض الأسماك كالزمر يصنع الذكر منه عشاً جيلاً من النباتات البحرية  
شعبة المسوحة ببعضها بوقود الأنثى إليه . فإذا ترددت دفعا تارة بفمه وتارة يجذبها من  
سبح حتى تدخل العش وتبيض ، فيلقح الذكر لبيض بصب السائل المنوي عليه ، وهو يكرر  
الأيام التالية نفس العملية مع أبات آخر يقودهن للعش أيضاً حتى يحصل على عدد كبير  
من البيض من إناث متعدّدات ، ثم يحرس البيض بيقظة وحماسة شديدين ، ويقاتل لأجله إن  
وم الأمر .

وعند عامة تبيض على الحشائش البحرية . والماء ضروري أثناء وضع البيض ، ويوجد  
مع من الصفادع (ضفدعة جزائر الملك سليمان) يجمع الذكر والأنثى بعض أوراق النباتات  
بحرية ونطبق على شكل كأس أو وعاء لاستقبال البيض الذي يوضع فيه ثم يترك في مكان  
هادئ في الماء حتى يفقس .

في طيور نجد غريزة بناء العش بلغت شأواً كبيراً من الرقي، والعش هنا يختلف باختلاف  
سرو والوسط . فإذا كان الطير آمناً على صفاره ويبضه شر الأعداء صار العش بسيطاً  
في مساووس، إذ يضع بيضه على الأرض، وكما تفعل بعض الطيور البحرية . فهي - لشدة اطمئنانها  
على بيضها - فلما تبيض أكثر من بيضة واحدة تضعها على حشائش فوق الماء آمنة عليها شر  
مدو رضى .

أما الطيور التي تتعرض صفارها لأخطار كثيرة فتتفنن في إخفاء عشها وإعادة من متماول الحيوانات المفترسة ، فبعض الأنواع الصغيرة تبني عشها شبيها بالقرع يتدلى من فرع رفيع جداً في أغصان شجرة . حتى إن أجراً القطط لا يمكنها المجارفة والسير على هذا الفرع . وهو من جهة أخرى بعيد عن الأرض ، فلا يمكن لأي حيوان مهما كان بارعاً في القفز أن يصل إليه . وقد شوهد أن فم العنكبوت يبني أضيق من المعتاد في الجهات التي تصكّر فيها الطيور الكاسرة .

ومهمة بناء العش يقوم بها الزوجان - الذكر والأنثى - ولكن قد ينفرد بها الذكر حيناً كما في التنوط ( طير ) ، فالذكر يبني العش قبل الفوز بالأنثى ، ثم يتنافس مع غيره من الذكور . فإذا انهزم أمام غيره ضاع تعب سدي ، وصار العش الذي بناه مأوى لغيره من الغرماء المساكين . وفي الحشرات كما في الطيور نجد أنواعاً متباينة من المساكن ، والقاعدة العامة أن تبنى الأنثى دائماً الأماكن التي تأنس فيها الأمان لصغارها عند القس والغذاء الوافر لهم ، فبعض الأنواع مختلفة من أبي دقيق تبيض على جذور النباتات ، أو على الأسطوح السفلى للأوردة . وبعض الحشرات - زيادة الحبيطة والحذر - تبني عشوماً خاصة لاستقبال البيض وحمايته وصون حماية الصغار كما تفعل الزاير المختلفة والنحل والنمل وغيرها .

وتختلف عشوش أنواع الزاير المختلفة ، فبعضها تبني عشها على شكل حلية . ولكن من الورق الذي تصنعه من ألياف الأشجار المضغوطة ، وتضع بيضها فيه ، ولحمها تعيش في تجاويف الأشجار أو تحفر في جدران المنازل لتبيض . وهناك أنواع كثيرة تبني عشها من قصب . كذلك تختلف عشوش النحل ، فبعض الأنواع تبني عشها من الرمل المضغوط . مكونة خلايا كاملة بين الصحور وفي الشقوق ، والبعض تنقب الأشجار ثقوباً على شكل خلايا لتضع في كل منها بيضها .

والنحل العادي يبني عشه من الشمع الذي تفرزه أفراد الشغالة ، وهو يكون منه شكلاً هندسية منتظمة سداسية الجوانب ، تصنع الملكة في كل خلية منها بيضة واحدة . أما النمل فيحفر عشه في الرمل أو التراب . ويمكن مراقبة هذه العملية في الجهات الخفية حيث نجد أفراد الشغالين منهمكين في إدارة الأتربة من العش بكل نشاط ونظام .

والنمل الأبيض أو الأرضية ( وهي حشرة اجتماعية تعيش في أواسط أفريقيا ) تعيش في مكانة عن مبلغ رقيق بعض الحشرات في فن المعمار والهندسة . فإذا قطعنا مقطعاً من عش من مساكن هذه الحشرة ( والعش عادة يبني من الرمل المضغوط ويقوى في صلابته وتماسكه أجود أنواع الأسمنت ) نجد أنه مكون من أربع طبقات : الطابق العلوي خال وجيد التهوية ، ويليه الطابق الثالث وهو مخصص للعناية بالبيض وفقسه على رفوف مهيأة لهذا الغرض ، ثم الطابق الذي وهو عبارة عن بهو واسع يحمل على أعمدة كثيرة ، والطابق الأسفل يحتوي على الغرفة الملكية

في تعيش فيها الملكة وزوجها سجينين ، وحول هذه الغرفة توجد عدة غرف للشغالة ، وعدة غرف أخرى مملوءة بالطعام المخزون .

وفي جدران العش توجد ممرات حلزونية للانتقال خلالها . وفي أسفل العش توجد غديف منها أخذ الرمل اللازم لبناء العش ، ويبلغ ارتفاع العش كله نحو الأربعة أمتار .

لم يذكر شيئاً عن المساكن التي تتخذها الحيوانات الآرقى لاقامتها ، ففي الحيوانات الثديية عند لقمان البرية تنسج مسكنها من الحشائش وسنابل الحبوب ، والسكابل البرية تتخذ من كبرها في حفر تحفرها في الأرض ، وبعض أنواع القردة تبني لها عشا من جذوع الأشجار . ويمكن تقسيم العشوش التي تبنيها مختلف الحيوانات إلى أقسام ثلاثة :

١ - المتفورة في الشجر أو الخشب أو الأرض ، وهي تقابل الكهوف التي كان يعيش فيها الانسان في العصور الأولى .

٢ - المنسوجة من مواد خفيفة ، وهذه تقابل المساكن التي يقطنها بعض الهنود ، وهي منسوجة من القش ، ويوت الشعر التي يسكنها العرب .

٣ - المبنية من الطين وما يشبهه من المواد ، وهي تقابل المباني التي يتخذها الانسان الثمدين لسكنه .

محمد محمد السيد

## المستشرقون بين الأديين

[ بقية المنشور على الصفحة رقم ٤٨٤ ]

وسر دراسته لها : أنه من رجال المذهب البروتستانتى . والذين يقرض عليهم دراسة التوراة بلفتها العربية . وقد وجد أنه يلزم لدراسة اللغة العبرية ، دراسته للنحو والأدب العربية ، وهو في ذلك تلميذ للأستاذين : مارتى وفيشر ، وعمله اليوم محصور في تعريف الأمم الأوروبية عامة - والألمانية خاصة - بالأدب العربي الحديث . وهو يريد التوسع في مشروعه هذا فيجعله دراسة عامة للنهضة الحديثة وأبطالها ، واختار أعلام المدرسة الحديثة ليضع لكل منهم دراسة خاصة ، ومن أجل هذا نشر أول كتاب له تحت عنوان « سلسلة دراسات عربية غربية - محمود تيمور » ، والثاني عن الأمير شكيب أرسلان وأثره في النهضة الأدبية الحديثة . وقد بدأ بالأستاذ تيمور ، نظراً لما له من الفضل الجم على القصة المصرية . وما أحدثه سوره فيها من إعجاب القراء . وقد حوى الكتاب - الذي نحن بصدد ترجمته - مقدمة الشيخ سيد عبيط ، وهي المقدمة البليغة التي وضعها الأستاذ تيمور عن نشوء الأقصوصة وتطورها في عالم الأدب عامة ، وعن البلاغة القصصية في الأدب العربي خاصة . ثم اختار بصع قصص : أمثال « صاخة » ، وأبو عرب ، وأم زيان ، ومهزلة الموت ، والشجاد ، والبتيمة » ، وترجمها إلى الألمانية ليوقف لقراء على صورة صحيحة للقصة المصرية في دورها الحالى . وفي هذا - بلا شك - دعاية طيبة لما نحن نقاتلها بالانتاج المشر والجهود الموفقة فالعمل الذي يقوم به المستشرقون اليوم ، كان لما علينا أن نقوم به وتولاه بال العناية والاهتمام .

محمد أمين حسونة

## في زوايا التاريخ

### أول مؤتمر في الاسلام

وماذا أثمر؟

درست - كما درس غيري - شيئاً من التاريخ الاسلامي ، وصرت - كما مر الكثيرون - من الكرام على تقطع هامة من هذا التاريخ : غير أني أذكر أن نقطة أو نقطتين منه لم تنال من الاهتمام كأخواتهما ، وإحدى هاتين النقطتين هي التي سأتكلم عنها في بحثي هذا : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذهل المسلمون وأكبروا موته ، وتباينت أقوالهم في الوفاة ، وكان لذلك الدهول الأثر الأكبر في هذا التباين ، وكان لا بد للعاصفة من الجلود فما أن سكن روعهم وهذا ثائراً ، حتى انصرفوا إلى المجدى من الأعمال . فأخذ بعضهم بإعداد معدات الدفن ، واجتمع آخرون للتفكير في مصير المسلمين ، وبين هؤلاء - ولثقت عنه قرأ من كبار المهاجرين فقد عني سقيفة بني ساعدة - بعد أن اجتمع فيها الأنصار - لانتخب الخليفة . ولا نعلم من مر هذا الاجتماع الشيء الكثير ، ولكننا نعلم أنه تكون من أبي بكر وعمر و علي عبيدة ، وأن ترد في الاجتماع لم يكن عبثاً . فلا هم كانوا مع علي وصحبه يقومون بأجبهه نحو رسول الفقيه ، ولا هم حضروا اجتماع الأنصار منذ بدئه ، وما كانوا - وفيهم خيار الصحابة - بالذين يتوانون بلا سبب أو بسبب واه عن أحد أمرين مهمين كهذين .

إذن لقد اجتمعوا ، فإذا كان مدار البحث وعلام اتفق هذا الثالث ؟ لتقدم قليلاً . خطوة أو خطوتين ، إلى مؤتمر السقيفة نفسه فلعل فيه الجواب ولعلنا متمدون إليه . يقول المؤرخون إن عمر حاول أن يتكلم في ذلك الاجتماع فمنعه أبو بكر وتكلم هو . وها أنا ذا أدنى بكلمة عمر في هذا الصدد كما ذكرها المؤرخون حرفياً :

« وقد كنت زورت مقالة قد أعجبتني وأردت أن أقولها بين يدي أبي بكر . وكنت أدرى منه بعض الجد . وهو كان أحلم مني وأوفر ، فقال أبو بكر : على رسلك ، فكرهت أن أعصيه وكان أعلم مني وأوفر ، والله ما ترك كلمة أعجبتني في تزويري إلا قالها في بديهة وفضل حتى سكت » فهل كان أبو بكر يعلم الغيب أو كشف له عن القيوب حتى علم ما في نفس عمر فقله ؟ أو لا يجوز أن يكون اطلع على ما في نفس عمر من دى قبل ؟ قد يقول البعض إن المقام كان يستدعي ذلك الكلام الذي أضمره عمر وقاله أبو بكر ، ولكن أليس من الصعب أن لا نغيب عن أبي بكر نقطة مهمة كهذه كانت هي أول ما عن لعمر إذا لم يكن هناك سابق تمام ؟

مد نحي عمر عن حقه في الكلام بهذه السرعة ، مع أن موقفه كان للمصلحة العامة ؟ و إذا  
 لم يستصيح أن تفسر كلمة « على رسلك » سوى أنها تعني : أن تمهل . فنحن متفقون وسأنتولي  
 الكلام عنك ؟ قد يجيبون بأن عمر فعل ذلك احتراماً لأبي بكر . ولكن عمر - الذي ثبت أنه  
 كان حياً - يعمل بخلاف رأى الرسول صلى الله عليه وسلم حين كان يرى أن ذلك الخلاف أضمن  
 لمصلحة العامة - ما كان ليأبىه لأبي بكر في سبيل تلك المصلحة ، إذ من يضمن له أن صاحبه  
 يتكلم بما يضر هو ، لولا أنه كان على يقين من ذلك ؟ ثم لماذا أنهى أبو بكر خطابه ؟ لقد قال :  
 « نبيكم بأحد الرجلين : عمر بن الخطاب أو أبي عبيدة عامر بن الجراح » أي إنه طلب منهم مبايعة  
 أحدهما من رجلين ، أحدهما منعه عن الكلام قبل هنيئة ، وما هذه السياسة لو كان يدعو  
 بيعة لعمر ، فمذ برهة ينزله عن المنبر ، فلا يجد فيه مقدرة تامة ليسوس جماعاً من المسلمين  
 ويقيمهم . ويعيدها يجد فيه الكفاءة الكبرى لأن يقود المسلمين جميعاً ويحكمهم . ولكن لماذا  
 أنه عمر ؟ كان جوابه أن ضرب على كفه بالبيعة وقال : « أكون هذا وأنت حي ؟ » وهكذا نفذ  
 أول بند في الاتفاقية ....

أما وقد وصلنا إلى هذا الحد ، فلنعد إلى الوراء قليلاً ، لنرجع البصر مرة أو كرتين ، إلى  
 يوم موت النبي صلى الله عليه وسلم . فكأنني بهؤلاء الأقاليم الثلاثة في اجتماعهم يتحدثون .  
 مد جمعهم ؟ جمعهم الخطب الجلل والمصاب الجسيم . عوت الرسول عليه السلام . رأوا أن هذا  
 لاسلام الرضيع بحاجة إلى من ينقذه من موت يحتم يودي به في المهد ، كما كاد يحدث ، فاستمروا  
 باسم شخصيات التي تصلح لذلك المنصب الخطير . منصب خلافة النبي الأعظم :  
 عباس . نعم هو ودوحة من الدوحات الهاشمية ، وعم النبي صلى الله عليه وسلم ، وشيخ من شيوخ  
 فريش . ولكنه حديث العهد بالاسلام بعد أن يدين له من سلم منذ عشرات السنين ، إذن فعلى نعم هو  
 رعه الرسول ، وروح لبنته ، ولكنه في حدث يصعب أن يخضع له الشيوخ من القبائل ، وقد  
 قدوا لا يدعوا إلا لطاعن في السن وسديد في الرأي . لم يبق إلا هـ وخصوصاً أبا بكر ،  
 بوزن من أسلم ، وهو الصديق ، وهو الرسول ، وثاني اثنين إذ هما في الفار ، ووكيله في الحج  
 . الصلاة . فأجمعوا على أبي بكر ، ولكنهم - وه أصحاب عقول نيرة - لم يكتفوا بهذا الحد الذي  
 وصوا إليه . فالاسلام تكنتفه الأخطار من أربع جهاته . وحياة خليفة واحد قد لا تكون  
 من الكفاية بحيث تنقشه من هذه الأخطار . إذن فليبحث عن ولي عهد : فكان أن عهد بها  
 عمر . ثم بحث عن حلف لولي العهد فكان أبا عبيدة . وانقرط عقد الاجتماع وكان ما كان من  
 أمر مؤتمر السقيفة وانتخاب أبي بكر .....

والمنصف لا يستطيع أن يرى في انتخابهم هذا أي مظهر من مظاهر إيتار النفع الخاص  
 من النفع العام . فانهم - والحق يقال - انتقوا فأحسنوا الانتقاء ، ولا أدل على ذلك من الوثام  
 من لدى ساد المسلمين في زمنهم . والأمن الذي استولى على داخلية البلاد إبان حكمهم ، ولقد  
 استعدوا في الخلافتين المتتاليتين أن يصلوا إلى الغاية التي رموا إليها ، وهي إنقاذ الاسلام  
 وإنشاله من الهوة التي كاد يقع فيها .



ولكن علياً الداهية فطن إلى ذلك الاحتجاج ، واستطاع أن يدرك ما دار فيه ، منع عن مبايعة أبي بكر مدى ستة أشهر ، رأى بعدها أن لا بد له من البيعة ، خصوصاً بعد موت هبة وتنكر الناس له ، فأرسل إلى أبي بكر يستدعيه للبيعة بمفرده « كراهية محضر عمر بن الخطاب » كما يقول المؤرخون ؛ ولعله رضى بالأمم الواقع من ولاية أبي بكر ، ولكنه حاول إزاء عمر من ولاية العهد ليلبها هو . إلا أن علياً وجد لنفسه قرينة بعمر الذي أقسم على أبي بكر أن لا يذهب وحده ، ولكن هذا ذهب قائلاً لعمر : « وما عساه أن يفعلهوا بي والله لأنبيها » ولم يستطع على - على رقة أبي بكر وسهولة انقياده - أن يقمعه بالتخلي عن رجل عاهده واعتد فيه أنه أجدر من يمل الخلافة بعده . فتوفى أبو بكر وقد عهد بالخلافة لعمر . وهكذا قد البند الثاني . . . .

رأينا الظروف واثت هذا الخلف في القسم الأكبر من خطته ، فهل ياترى يقدر لها أن ينفذ القسم الباقي منها ؟

أصبح عمر خليفة المسلمين وأمير المؤمنين ، وعادت المياه إلى مجاريها بينه وبين من حرما منها على السلام العام وجمع الكلمة ؛ وعادت « الكراهية » محبة ووثاماً ، وغدا في مستند الحكومة القضائي ومرجعها في الهام من أمورها بمعونة كبار الصحابة ، وكان قد بقي من الثلاثة واحد هو أبو عبيدة ، ثالث الزمرة ... نظر عمر حوله فرأى أنه يصعب عليه تحقيق برنامج القديم إذا لبث أبو عبيدة في منصبه مجرد دقائق ، بينما كانت خالد بن الوليد المحزوم في فذة الجيوش ، فكان هذا أحد الأسباب التي دعت لتنجية خالد وتنصيب أبي عبيدة في منصب هو الثاني بعد الخلافة ، يستطيع صاحبه أن يطمح إليها ، وهكذا مهد له السبيل .

ولكن علياً من جهته كان يسمى دائماً - سواء لدى عمر أو عند سواه - ليكون خليفة عمر ممن يرجع إلى هاشم بنسب ، ويمت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرب . وأبى القدر أن يدعن لأمانى الثلاثة حتى النهاية فعانده ، وتوفى أبو عبيدة قبل عمر . وبدت حلت آخر حلقة من حلقات الاتفاق واعتبر في حكم الانتهاء .

وكان لسعي على و وفاة أبي عبيدة أثر جعل علياً من ضمن الذين رشحهم عمر للمنصب السامي ، ولكن عمر أبى عند وفاته - وقد رأى أنه لا يستطيع أن يترك المسلمين مطمئنين إلى خليفة واحد كما تركهم أبو بكر فيستطيع أن يقضى ناعم البال من هذه المهمة - فقول بي إلا أن يذكر صديقه القديم الذي لو كان حياً لكفاه مؤونه كل ذلك . فقال « رحم الله أبو عبيدة لو كان حياً لاستخلفته عليكم » .

إلى هنا ينتهي في البحث : وكل رجائي ممن رأى فيه مغمراً لغامز أو مظنة لخطأ أو سوء به وله مني شكري الوافر .

عبد الرحمن أبو لبن

بكلية الحقوق بالجامعة السورية بدمشق

# فلسفة العلوم الرياضية

بقلم الاستاذ أحمد فتود الاهواى

مدرس الفلسفة بالمدارس الثانوية

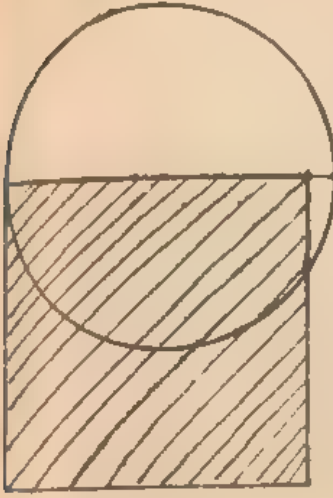
فلما فى عدد سابق من « المعرفة » (١) إن الرياضة كانت أولى العلوم التى وصل الانسان إلى تحييلها ، والنظر إليها نظرة علمية وضعية بعيدة عن السحر والخرافة . وقد وصلنا إلى هذه نتيجة من استقصاء التاريخ من ناحية ، ومن الموازنة بين هذا العلم وبين العلوم الأخرى من ناحية أخرى ؛ ثم رجعنا إلى أقدم الأمم التى عنى أهلها بتحصيل العلوم والمعارف ، وهم قدماء المصريين والاشوريون . ثم وازنا بين الرياضة وبين الفلك ، وبين الطب وعلم الحياة ، فوجدنا أن تلك صلا يسمى علم التنجيم إلى عهد متأخر ، نستطيع أن نقول حتى عهد كوبرنيك الذى أثبت أن الأرض هى التى تدور حول الشمس وليس العكس . كذلك الكيمياء ، فقد كانت عناية قدماء فى القرون الوسطى هى البحث عن تحويل المعادن الدبئة : كالرصاص ، والحديد ، والرئق ، إلى المعدن الثمين وهو الذهب ؛ كذلك الطب لم يصبح علماً بالمعنى الصحيح إلا فى أوائل القرن الثامن عشر بعد أن اكتشف « هارفى » الدورة الدموية .

واعترض علينا الأستاذ الشيخ طنطاوى جوهرى قائلاً : إن الرياضة عند قدماء المصريين كانت مليئة بالسحر والخرافة ، وهذا ينفى ما نذهب إليه (٢) . ونحن لا نسكر عليه هذا الاعتراض . لا ننكر أن شيئاً كثيراً من العلوم الرياضية لم يصل إلى درجة العلم الوضعى الصحيح كما يقول . ولكن هذا لا ينفى مطلقاً أنهم عتوا بالرياضة أو بحزء من الرياضة ، ونظروا إليها نظرة العلمية الصحيحة فنحن نجد للآن قوماً بل عداء وكتباً حديثة يهتمون بالتنجيم . فهل معنى هذا أن علم الفلك كعلم غير موجود الآن ؟ ونحن نجد الآن قوماً يعالجون أنفسهم بالأحجية والرقى — وهذا موجود فى أوربا كما هو موجود فى مصر — فهل معنى هذا أن علم الطب غير موجود ؟

نواقع أن العلم والخرافة يسيران جنباً إلى جنب من القدم حتى الآن ، ولكن الانسان أول ما بدأ ، بدأ بالخرافة والسحر ، حتى كانت أول نظرة علمية وجه الانسان إليها نظره ، هى أسطورة إلى الرياضة ، وهذا ما يدلنا عليه التاريخ ، وهذا ما نريد أن نعلمه الآن .

ولكن هذه النظرة العلمية كانت عملية — كما قلنا — أكثر منها نظرية ، فقد اكتشف قدماء

(١) مجلة « المعرفة » سنة الثانية احره الثانى يوبى سنة ١٩٣٢ (٢) راجع العدد ١٠ : ١٠ و١١ من سنة ١٩٣٣ من السنة الثانية .



شكل (١)

المصريين مساحة الدائرة على أنها مربع ثمانية أضع قطر الدائرة، وهذه المساحة على وجه التقريب صحيحة إلى حد كبير، ولكنهم وصوا إليها بالتحسيس لا بالنظر (شكل ١). كيف كانت الرياضة إذن هي أولى العلوم التي وصلت إلى درجة الوضعية؟ هذا ما ستحاول أن نجيب عليه:

العلم الوضعي هو العلم الذي ننظر إليه من ناحية الكم (١) أو الكمية، وبمعنى آخر ناحية الكم التي ينظر إليها الناس جميعاً نظرة واحدة لا اختلاف فيها؛ فالعلم الوضعي إذن هو محاولة تقييد الكيف (٢) في صورة الكم، فهو محاولة التخلص من النظرة الكيفية الشخصية، والاحتفاظ بالنظرة الكمية الموضوعية.

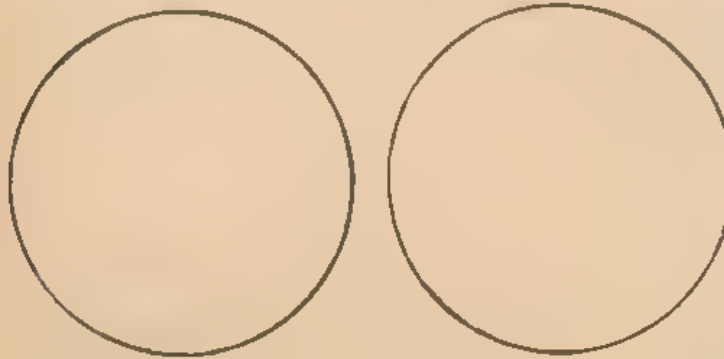
وهذا هو العلم الحديث. العلم الحديث يريد أن يكون موضوعاً، ويريد أن يتوجه إلى كل العقول بشكل واحد، ذلك أن عقل كل إنسان يدرك الأشياء ويحكم عليها أحكاماً تقديرية، ولن تجد شخصين يدركان الشيء الواحد بطريقة واحدة، وقد يشك قارئ في هذا لقول. ولكن الواقع أنك لا يمكن أن تعثر على شيئين في الطبيعة متثلين تمام التماثل. لأنها لو تشابهت تماماً في كل ذرة من ذراتها لأصبحت شيئاً واحداً، وهذا ما يعبر عنه «ليبتر». الفيلسوف الألماني الكبير في جملته المشهورة «لا يوجد ورقتان في شجرة واحدة في عينة واحدة متشابهتان تمام التشابه» (٣). فإذا كان العنور على شيئين متشابهين في المادة مستحيلاً، فالمسألة أكثر استحالة في عالم الصور، وإذن فلن تجد صورة في ذهن شخص عن شيء ما. هي بنفسها صورة ذلك الشيء عند شخص آخر.

فالعالم يحاول التخلص من هذه النظرة الشخصية المختلفة، والرياضة هي علم الكمية نسباً. وأنت إذ تحاول أن تجعل علماً من العلوم كالطبيعة أو الكيمياء أو الفلك أو الميكانيكا - علماً وضعياً بالمعنى الصحيح، فإليك تصرف النظر عن الناحية الكيفية الشخصية فيه، وتحتفظ بالناحية الكمية. وقد قلنا إن الرياضة هي علم الكم الخالص، إذن أنت تتحرل هذه العلوم لتعبر عنها في صورة رياضية. فالألوان في الطبيعة تعرف بطول موجاتها وعدد ذبذباتها، وكذلك الأصوات، والتفاعل في الكيمياء يعرف بمعادلات جبرية... الخ. فالألوان، والأصوات وغيرها أصبحت تعرف بالأرقام الرياضية.

ولم تصبح الرياضة علماً في يوم وليلة. فقبل أن تكون الرياضة علماً يبحث عن الكمية.

[1]Quantité. [2]Qualité. [3]Monadologie.

كان قبل ذلك فناً عملياً شخصياً : فالإنسان المتوحش لا يعرف العدد أكثر من خمس ، وهي عدد أصابع يديه ، وفيما عدا ذلك فانه لا يعرف الحساب ، ولكنه يدرك صوراً ذاتية ، مثله ذلك مثل الحيوانات : وإليك قصة القرخة التي تعد صغارها - وكانوا سبعة عشر واحداً - فانه تعرف أن قد تقص منها واحد ، فكيف عرفت ذلك وهي لا تعرف ما الوحدة . لأن إدراك الوحدة يتطلب عمليات عقلية راقية ، وهي لا تدرى في الحساب شيئاً ؟ ذلك أنها تحسب نتيجة لمدرجات ذاتية (١) ، فالسبعة عشر كتكوناً صورة بنفسها ، والستة عشر كتكوناً صورة أخرى ، كذلك كلاب الصيد التي ترعى قطيع الغنم ، إنها تدرك لأول وهلة أن قد



قمن من القطيع واحد من الخراف ، فهل معنى هذا أن الكلاب يعرف الحساب والعدد ؟ كلا ، ولكن المسألة تنحصر في أن في ذهنه صورة من القطيع بأكمله ،

(شكل ٢)

فإذا تقص منها شيء أدرك أن هذه الصورة ناقصة ، مثله في ذلك مثل من يبصر دائرة كاملة المحيط ، وغير ناقصة كما في شكل (٢) .

### قيمة الرياضيات بالنسبة لنظرية المعرفة

إن الأسس التي يقوم عليها علم الرياضيات ثلاثة :

١ - التعاريف (٢) .

٢ - البديهيات (٣) والقضايا المسلم بصحتها (٤) .

٣ - البراهين الرياضية (٥) .

والقسمان الأولان يعتبران تمهيداً بالنسبة للبرهان الرياضي ، والتعريف معروف ، ومثاله تعريف النقطة الهندسية فهي : كل ما له وضع مجرد عن الطول والعرض والارتفاع .

وبديهية هي : التي يدركها العقل لأول وهلة ، ولا يحتاج التسليم بصحتها إلى برهان أو دليل ، مثل الأشياء المساوية لشيء واحد متساوية .

ما القضايا المسلم بصحتها ، فهي أقل وضوحاً من البديهيات ، ولا يمكن إدراكها بنفسها . وإليك الثلاث قضايا الاقليدية المشهورة (نسبة إلى إقليدس) :

[1] Perception qualitative. [2] Definitions. [3] Axiomes [4] Postulats.

[5] Démonstrations.

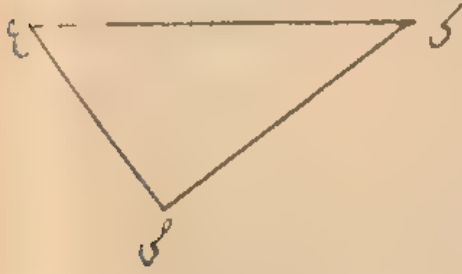
١ — لا يمكن أن نرسم إلا مستقيماً واحداً بين نقطتين .

٢ — الخط المستقيم هو أقصر طريق بين نقطتين .

٣ — من نقطة واحدة لا يمكن أن نرسم إلا موازياً واحداً لمستقيم معلوم .

هذه هي البديهيات والقضايا المسلم بصحتها التي تقوم عليها هندسة إقليدس . والتي نذهب تنبها إلى اليوم ، وهي التي تدرس في مدارسنا إلى الآن ؛ ولا بد في البراهين الرياضية . و في أي برهان ، أن يعتمد الإنسان على بديهيات مسلم الإنسان بصحتها دون حاجة إلى دليل . وهذه مسألة منطقية ليس مجال شرحها هذا الموقف : ولكن ما الذي يدعونا إلى التسليم بهذه البديهيات ، والقضايا المسلم بصحتها ؟ إنها لا تصلح إلا في عالم حاص ، وهو عالم المسطحات : أما الكرويات فلا تصلح لها ؛ وأنت تعلم أنك تعيش على سطح كرة ، فالنتيجة أن الهندسة

الاقليدية أصبحت لا قيمة لها ، وليبان ذلك نقول : إذا فرضنا أنك في مكان — ولكن طرف غرفة مستطيلة طولها أربعة أمتار وعرضها ثلاثة أمتار كنت في ص ، والمسافة من ص غرباً إلى ص أربعة أمتار ، ومن ص شمالاً إلى ع ثلاثة أمتار ، فما هي المسافة بين ص ، ع



( شكل ٣ )

تبعاً لنظرية فيثاغورس ؟ هذه المسافة تساوي جذر مجموع مربع الصليعين ص ص ، ص ع . أي  $25 = 3^2 + 4^2$  . فالمسافة تساوي خمسة . ثم هنا مسألة أخرى . وهي : أن مجموع زوايا هذا المثلث يساوي قائمتين ، ولكننا إذا اتخذنا نقطة على سطح الأرض ولتكن القاهرة مركزاً ، واتجهنا شمالاً إلى برلين ، ومن برلين غرباً إلى باريس ، ونحن نعرف المسافة من القاهرة إلى برلين . والمسافة من برلين إلى باريس ، فهل نستطيع معرفة المسافة من القاهرة إلى باريس ، وهي التي تكون وتر المثلث ؟ كلا ، لأن هذا المثلث لن يكون مجموع زواياه قائمتين بل أكثر ، ذلك أن الخط من القاهرة إلى برلين ليس خطاً مستقيماً ، ولكنه خط منحني . هو قوس دائرة مركزها مركز الكرة الأرضية ، لأن الأرض كرة ، وجميع الخطوط المرسومة على سطح الكرة تكون أقواساً كبيرة ، وكلما اتسع المثلث كلما زاد مجموع زواياه عن قائمتين . وعلى ذلك لن نقيّد نظرية فيثاغورس في حل هذه المسألة شيئاً .

سقطت إذن هندسة إقليدس !!

وهذه الهندسة كانت قائمة على بديهيات وقضايا مسلم بصحتها من هذه القضايا ، وهي القضية الثانية كما مر عليك : إن الخط المستقيم هو أقصر طريق بين نقطتين ، ولكن هذه القضية لا تصلح في كل الظروف ، وفي كل زمان ومكان . إذ أنه في الهندسة الجديدة ، القضية المسلم



محبها هي : أن الخط المنحني أقصر طريق بين نقطتين ، فأقصر طريق بين القاهرة وبرلين هو  
قوس دائرة . لأنه لو كان خطاً مستقيماً لاحتجت أن تشق الأرض ، وهذا مستحيل .

هذه هي الرياضة - أدق العلوم وأضبطها وأبعدها عن الشك فيها - أصبحت موضع  
تسعين وتمحرج كما رأيت من هذا المثل البسيط ، فما هي قيمة الرياضة ؟  
عندنا ثلاثة آراء هي :

١ - الرياضة - وهذا هو رأي بوانكاريه العالم الرياضي الفرنسي - هي من ابتكار  
قولنا Construction de l'esprit .

٢ - الرياضة علم الحقيقة والواقع .

٣ - ليس للرياضة ظل من الحقيقة .

تلك هي الآراء الثلاثة عرضناها سريعاً على أن نناقشها فيما بعد .

أحمد فتود الأهواني

## فواطر ونقدمات

### ضحايا الجمود

حواسري حزينة ، ذلك لأنها تتناول تلك الطائفة من أبناء آدم ، الذين فرض عليهم المقر .  
صبرت عليهم المسكنة . فهم في هذه الحياة من أتعس خلق الله ، ذلك لأنهم يرون حقهم  
سيرة مأم باطل الرحمة الغشوم ، والجمود المقنوت ، فلا يملكون إلا دمة يذرفونها ، ولا  
حسرة تحز منهم الصدور .

بؤساء بكل ما في الكلمة من معان ، وليس لمتلى - والعين بصيرة واليد قصيرة - إلا  
أن يذكر بكلمة ، وإلا أن يسأل الله لهم في محنتهم جميل المراء .

هذه الطائفة التي أعنيها ، وتلك الفئة التي أحاول أن أواسيها ، ليس منا إلا - من هو بحالها  
وما هي فيه من شقاء - عليم ، ولكنه الضعف - أبارك الله - ما لحق بجانب إلا وكانت عليه  
منة ، وكان عليه التسليم . ومع ذلك فلا نزال نتحدث عن الحق وما إلى الحق . وشمس  
حرية . وما إلى الحرية ؛ وما الباطل في حديثه ، والظلم في شدة إلا من عمل الإنسان  
فقر الإنسان ما أكفره .

عمار إلى خراب ، وخصب إلى بوار ، وهكذا يطوح بقوم - لا ذنب لهم - إلى هابطة الهوان والاعسار .

وكم هو غريب أن يجد هذا البلاء منا من يدافع عنه باسم الدين ! حاشا يا هؤلاء أن يذكر الدين أداة بؤس وعذاب ، وحاشا يا هؤلاء أن يكون الدين عامل خراب . هذه الطائفة التي أحدثت عنها هي طائفة المستحقين في الأوقاف الأهلية ، وما كثر من ينتمى منهم إلى أقدم البيوتات ، وهم في حياتهم الخاصة يعانون الكثير من المتاعب والالام . أفتريد دليلاً ، هاك الدليل :

هناك في المنصورة ، وعلى شارع البحر ، حيث المحكمة الجزئية ، هناك وفي ضمت مكان ، تجد مكاناً فسيحاً يمثل فيه الخراب . فهو مأوى البوم ، وموطن الهوام . هو في القوانين السماوية ملك للناس ، وهو في القوانين الوضعية ملك للحكومة . ومن عجب أن يعر قانون الأرض قانون السماء ؛ حجة الوقف صحيحة في موضوعها ، صريحة في حدودها . ولكن المكان برغم هذا ملك للحكومة ، بماذا ! بمضى المدة ١١ وبهذا يقول القانون الذي هو من صنع الإنسان . وهكذا بين حق الواقف وتصرف الناظر تضيع الأعيان ويشقى الأحفاد . وهناك - وفي نفس هذا البلد - شارع يكاد يكون من جانبيه تابعاً لهذه الأوقاف . ولكها أشباه أبنية . فهي ليست بذات إيراد ، وليس هذا فقط ، بل هؤلاء المستحقين ضيعة (موقوفه) تبلغ المائتين والستين فدانا ، ولكنها أصبحت - لأنها أوقف - تكاد لا تنتج أكثر من أموال الحكومة ، وما من شك في أن هذه الأملاك الواسعة لو تركت لأصحابها لكانوا في بسطة وهناء .

أرأيت إلى أي حالة خطيرة تتهى مضار الأوقاف ؟ أيعقل أن يقف الدين في سبيل العمران ؟ أيفرض الدين البؤس فرضاً على الناس ؟

يحكى - وهنا يبرر المثل العامي - ( يفتى على الآبرة ويبلغ المدنة ) . أنه ذهب رجل إلى جاره وكان من العلماء ( إمام ) وسأله : ما قولك في حائط بال عليه كلب ؟ فقال العام : لاند من هدمه ، فأطرق الرجل وقال : إنه الحائط الذي بين دارينا ، فما كان أسرع العالم رقاً . أو يصب عليه الماء ! !

وألّف رحة . . . يا شجاعة العلماء .

أحمد منصور

مدير إدارة « المعرفة »

## حافظ ابراهيم

إذا كانت الدنيا لم تجبس عنه لونا من ألوانها المشرقة ، فانها في صدر حياته قد ألزمتها  
رسمها قائمة السوداء ، كما على أنه في سرائه وفي ضرائه كان الرجل الممرح . لا عن تبدل ، ولا عن  
سدى . وكان الرجل الضحوك ، لا عن عى في وزن نفسه ، ولا عن ضيق في فهم مشاعره ،  
لا عن حفة تسير حفة الطقولة ، وزق المعتمهين . . . وكان الرجل الأنوف الذى لم يلبس  
رجلته مسوح الضعة ، ولا أبواب الهوان . وكان الرجل الذى حلق ليتصدر الأنداد في غير  
سلف . وفي كثير قصد عن شدة الصدر والقمة . وكان الرجل الذى يرى كل شىء في العالم  
من صوء نفسه . لا على ذلك الضوء الذى يشع من آفاق قرية أو بعيدة . آفاق الذين  
سكون دمام الجاه . . . وأعنة الأمور . . . وكان الرجل الوفى الذى لم يتبرم بوء ، ولم يسمع  
بهدم بناء ، ولم يدع إلى تقويض صرة تصله بصاحب . وكان الرجل الشريف الذى لم  
يسر لسه بالظعن في عورات الآخرين . وكان الرجل الأبنى الذى لم يسمع إلى ذى سلطان  
يسم حصائسه في كنفه ، أو تحت ظل جناحه الوارف . . .

ثم كان الشاعر الذى لم يكن « شيطانه » إلا ملكا ، ولم يكن أفق خياله إلا فلكا .  
سبح والخم فلا يتيه . ويجرى على صنعة القدير فلا يتعثر . . . ويطوى هوج الموج ،  
به البحر الذى يطوى به الجدول الرقراق . . . ، وكان الشاعر الذى اكتنرت المصور الآتية  
شأنه أن يذوى ما فيه من سحر ، وقل أن ينوى ما فيه من أثر ، وقل أن يعضى إلى الفناء  
فيه من جلال ، وقل أن ينتهى ما فيه من إمتاع وطرب . . .

كان شعر حافظ مزقة من عاطفة حافظ ، وهى العاطفة التى طلعت على الدنيا من بين أنياب  
سوءة . دوبة الصيق ونضوب اليد . فكانت حافلة بألوان الخير ، وكانت جياشة بكل  
في الحياة من حقائق . وكانت لها سلامة في الذوق ، ودقة في التوجيه ، ورقة في كشف كل  
حز . . . وهذه العاطفة هى التى أوحى إلى حافظ ، أن يرسل إلى الناس دفين ما اكتوت  
نفسه من تنكر الأيام وجحود الزمن ، دون أن يرضن هذا الدفين ، ودون أن يقف في ذمة  
بله مكتوف اليدين . . .

ألا فانظر إليه يكشف عن حقائق نفسه في قوله



حافظ ابراهيم  
فقيه الشرق والعربية

سعت إلى أن كدت أتعمل الدما وعدت وما أعقبت إلا التندما  
سلام على الدنيا سلام مودع رأى في ظلام القبر أنساً ومغنا  
لا إنه قد سار عواطفه ، فتناول براعته القادرة ، واصطحب « شيطانه » النفاح ، ليشارك  
به في شهود حياته كل من تحمل الأرض . . . وهل ذلك إلا الصدق في التوجيه ، وإلا  
لأن بلاسة الحقيقة مهما تكن ثقيلة مضنية ؟  
كان شعر حافظ زمرة من جماعات مواهبه التي أدركها كل من قرأ له أو جلس إليه فأمتع نفسه  
ساعة من ساعات أحاديثه الباقية على الزمن ، وهكذا عرف شعره بالسلاسة والجزالة والرقّة  
بسهولة والامتاع والروعة ، كما عرف حديثه بالظرف . والأناقة ، والرشاقة ، والنفاد إلى  
برار الصميم . . .  
نحو . . .

ثم كان الفنان الذي ازدحت حياته بألوان الفن كلها . . . كان كاتباً يقتنص اللفظة الأنيقة  
يودعها المعنى المطلق الحاسم ، وكان « اجتماعياً » لا تفوته لونة من لونات المجتمع إلا مضى  
ورما بقية ، وكان « محدثاً » لا يترجم به لون من ألوان الحديث ، فله حين يجد الجدل جولات  
في قول فما يستطيعها أحد من أشياءه ، وكان حين يتألق في الأفق ضوء التندر رجل الفكاهة  
يودعه . . . وكان خطيباً لم تعرف المنابر صوتاً أرسل الشعر في مثل سياقه ، ولا في مثل  
بهجه ، حتى ليقولون إن « سعداً » يرجمه الله - على فرط تفوّذه بين الجماهير كخطيب مصقع -  
يعب إلى « حافظ » في كلمة من كلماته الفكاهة - ألا يخطب الجماهير ثراً .. حتى لا « يعطل »  
عليه « العيت البعيد . . . ! » ؛ وكان « موسيقياً » بينه وبين نفسه ، حتى ليعرف عنه خاصته  
« حين يريد القريض لا يجمعه إلا من أدنه . . . تلك الأذن التي كانت ترن ما يردده لسانه  
من قول . . . ! وكانت حياته آخر الأسر صورة من حياة الفنانين ، ففيها حرص على المتعة  
في غير تبذل ، وفيها استخفاف بالدنيا ، أي استخفاف ، وفيها نزوع إلى عيشة « الحرية »  
تحرص عليها كل فنان ، وفيها إلى ذلك تجويد لكل شيء . . . ونفاذ إلى كل شيء . . .

\* \* \*

وما نحسب أننا نرضى فقيدنا العظيم بهذه الإمامة السريعة ، وتلك النظرة العجلى ، فإن  
في حياته دراسات مستفيضة ، وظواهر تدعو القلم إلى أن يحول ، ويحول ، دون أن يبلغ  
في تحصيلها الشأو . . .  
ولكنها الإمامة سريعة لا نستطيع إلا أن نرسلها في غمار تلك الدموع التي سكبتها عليه  
الناطقون بالضاد . . .  
رحم الله حافظاً ، وأوسع له في رضوانه . . . .





# مملكة المرأة والبيت

## ما يهم المرأة

بقلم الأديب عبد الحميد العمروسي

### ١ - الفتاة في بيت أبيها

الأمينة الأولى للفتاة أن ترى نفسها زوجة ، كما أن الأمينة الأولى للفتى أن يكون  
بأمره ...

فمن نشطت الفتاة ، وسعت السعى الحثيث في القرن على كل ما تقتضيه الحياة الزوجية ؟ ..  
وهو نشط الفتى ، وبذل الجهد في سبيل إعداد العدة للحياة التي سيخوضها يوماً ما ؟  
أما الفتاة ، فمن يوم أن تدرك إلى يوم أن تزف ، نراها قد أتقنت أموراً ، وأهملت أموراً ؛  
قست أموراً ككالية ، وأهملت أموراً على جانب كبير من الأهمية . وعلى العكس من ذلك الفتى ،  
يراه يقضى حياته الأولى جاداً ساهراً ، مستعذباً الآلام في سبيل تهيئة كل ما من شأنه إدخال  
سرور واللذة على المرأة التي ستشاركه . فمن أجل إرضائها ، ومن أجل كسب عطفها ، يزاحم  
نكبيته في معترك الحياة غير هياب ولا وجل . في حين نراها لا تفكر في إنعاش هذا الذي  
يسد عنها ، ولا تفكر في أنه سيحتاج إلى عونها ومساعدتها ، ولا تفكر إلا في أنه سيكون  
دعة لاشباع نهمها ، ووسيلة لتنفيذ ما آرتها ، وجلب ما يبهجها هي فقط .

نعم . نراها في بيت أبيها لا تفنى إلا بالكاليات ، فتجيد العزف على البيانو . تجيد سرد  
روايات التمثيلية الهزلية ، تجيد ترتيب الأدوار الغنائية . تجيد الترتيب الكلامية ، تجيد  
وقفه أمام المرأة . وتحب الخد والشفاه ، وصيغ الأصداع والجباه ، تجيد اللف والتراور  
بالف أو بغير تشاور .

يبا نراها تجيد هذه الأمور ، إذ بها تجهل جهلاً تاماً القواعد الأساسية التي هي من  
مكونات الحياة الزوجية ، فتزف إلى زوجها وهي قليسة الخبرة ، بل عديمة التبصرة بالعمل  
الحقيقي . وذلك قصص لا نفتقره للفتاة أولاً ، ولا لأمها ثانياً ، وذلك أن الأم لم تعود ابنتها  
من صغرها على مزاوله شئون البيت ، ولم تجربها على مشاركة الخادومات والإشراف عليهن .  
وحب أن أعرف الأسباب التي تجعل الأم تنهون وتراخي في تمرين ابنتها عملياً في مدرسة

البيت . هل هذا عار؟ هل فيه إرهاب للفتاة؟ لا . لا . أيتها الأم ، إن فتاتك ستزوج ، ستنسى وتصبح وترى نفسها في منزل جديد . وأمامها مهام تتطلب اليد الماهرة ، والعين الباصرة ، والخبرة التامة ...

فهل يرضيك أن تقف ابنتك مكتوفة اليدين والأعمال في حاجة إلى التنجيز؟ يرضيك أن تقدم فتلتف ما أقدمت عليه؟ أيرضيك أن يلمس الزوج هذا النقص في ابنتك فتسقط من عينه ، وتنجرح مكاتها في نظره، ويفتر ميله إليها، ومتى أحست منه ذلك ابتدأ عدم اكتران كل بالناني، ثم الاحتكاك لأوهى الأسباب، ثم اشتعال النار وإحراقها الصلة الشريفة والرباط المقدس؟ ...

أيتها الأم ! إن الحياة الآن حياة عمل لا حياة زخرفة ، حياة مادية لا حياة روحية . فليكن لابنتك نصيب من عنايتك .

#### ٢ - الفتيات عاطلات

يذهب الصبي إلى المدرسة أو المصنع ليهر ويتعلم ، ثم يصبح ذا عمل منه يكتسب . ومنه يقتات ، ومنه يعول أسرته . فإذا مرن وتعلم ثم لم يجد له عملاً سعى عاطلاً . فالعمل بلا عمل عاطلون ، والمتخرجون في هذه الأيام عاطلون ، ومثلهم في ذلك مثل الفتاة . فلها مطبخ هو الزواج ، ولا تصل إليه إلا بعد البوغ ، ودون الوصول إليه قد تذوق الشدائد . وتلاقى الصعاب ، وكلا مرت سنة اعتقدت أن مطبخها قرب منها مرحلة . فبدأ عليها السرور . وبغيرها الابتهاج ، وتعلو في سماء الخيال ، وهكذا إلى أن يترأى لها أن ليس بينها وبين الزواج إلا قاب قوسين أو أدنى ، فتذهل سروراً وابتهاجاً ، ثم لا تلبث أن تتيقن من نشوتها فترى الحقيقة المرة ، ترى بعداً شاسعاً بينها وبين مطبخها الذي عاشت تحبو إليه . وتأمل فيه ، فتذبل فضاقتها ، وينطق ، قنديلها ... وبذا يمكن أن يقال : إنها فتاة عاطلة .

وإذا كنا نرى ونسمع أن جيشاً عرمرماً من الفتيات عاطل ، فمن السبب في عطلتهم ؟ نرى : إن السيدة الفضلى والمربية الكبرى « نظلة الحكيم » : تمزق السبب إلى الأمهات . وإنا نغزو إلى الآباء ، وبرهاننا على ذلك ما يأتي :

إن العوائق منها ما يرجع إلى الحكومة وقوانينها . وهذه لا تتعرض لها في محاشا . . ومنها ما يرجع إلى الأبوين - وهي موضوع كلامنا - . . . وهذه العوائق التي ترجع إلى الأبوين يمكن حصرها على جهة التقريب في : بهرجة الفتاة ، والافراط في المصادقة . والنظر إلى الخطيب كمنبع للمادة خصب ، والضرب صفحاً عن الأخلاق والسن والميل ، والمغالاة في المهور والشبكة ، وعدم اكترائها بالزوج ومطالبه ، والتباهي عليه . وجهلها بشئون البيت ، وضعف النفساني المؤدى بها إلى السقوط والزلل ... وإن كانت هذه هي أهم العيوب فأحر بالرحن

وبعد أن يستطيع تلافيها . . . المعروف أن المرأة خادم مطواع للرجل، أن المرأة قليلة البصر بحراف، أن المرأة أحوج ما تكون إلى إرشادات رب الأسرة وتلقى نصائحه لاسير بمقتضاها، المرأة لا تستطيع الاستقلال بالشئون دون الاسترشاد ببعلمها، فإذا كانت المرأة بهذه البصيرة . فلماذا تحملها تبعة بطالة الفتيات؟ إنها لم تبلغ بعد درجة تستأهل فيها أن تتحمل تبعات أمر ما، فإياك بالأمور الجسام؟ إن الرجل هو الذي تهاون في سيطرته، تهاون في ترك حرجي غارب أمرته، هو الذي لأن أمام خداعها، فألقت السلطة في يدها فتتمردت عليه، وأحدثت تسبب في كل ما تشبهه عن حق وقلة بصر، فيؤدي بها الاشفاق على ابنتها إلى أن تعرف في عدم المراقبة، إلى أن تمنعها من مباشرة أى عمل منزلى، فتشرب البنت جاهلة أعمال رجل، وأخلاق الرجل، وأمانى الرجل، فإذا ما تزوجته كان البون بينهما شاسعاً ووراء هذا البون ما وراءه من شقاء فنفور . . .

جل: يخاف الأعزب من الوقوع في هذه الكارثة التي وقع فيها زميله فيمتنع، وحق له أن يمتنع .

فالرجل كان في استطاعته أن يشعر المرأة من يوم أن دخل بها بأنه المسيطر المطلق، وبأنه لا يهاون في تصير أمرته، وبأنه يجب أن يطاع، وبأنه لا ينبغي من وراء ذلك إذلالها، وسكر ليضن وحدة الأمرة، وجمع شملها. ويقيني أن المرأة التي تحبس من زوجها هذا شتم قدسه، وتعظمه، وتجله، ولا تقف في سبيل رأيه، وهو الأحكم رأياً، والأصوب مفعداً، فتشرب البنت وقد انتبست من أمها الطاعة، والتفانى في إرضاء الرجل، وتوفيره، وتوفر أسباب الراحة له .

وبذا كانت الأم بهذه الدرجة في توفير بعلمها والانصياع له أمكنه أن يرشدها إلى كيفية توفير لبنت . فتدفعها تحتها فيه إلى تنفيذ كل ما يشير به، وبذا فضمن بفتا كملت أخلاقاً، ومهتت بدأ به وهل يريد الشاب الا زوجة كهذه؟ . . .

على أن هناك أمراً آخر كان سبباً في التفريق بين الزوجين، وبالتالي كان سبباً في إغافة من يزوج . . . ذلك الأمر هو أن الأم - لجهلها وقلة بصرها بالمواقف - تدفعها الشفقة الحمقاء إلى دفع ابنتها في تيار المعاكسة لزوجها، وكيفية ذلك :

لمعروف أن فئاتها لم تختلط بهذا الشريك قبل الزواج إلا لما، أى أنها لم تتفهم خلقه، ولم تميز بعد مراميه، وهو كذلك لم يختبر تقسيته ولم يقف على منازعها، ولا على مهارتها وجاهلها، فن الطبعي إذاً أن يقع بعض الخلاف في الرأي . . . هو بما يشعر في نفسه من السلطة والارادة يحاول أن تسمع رأيه، وهى بما يغلب على طبيعتها من العاطفة تعاند وتكابر، فتقع الاساءة من أحد الطرفين، فتذهب غضبي، وتهرول شاكية لأمرها، وهنا يكون الخطر الناجم من حق الأم، إذ يدفعها حنوها إلى التهور فتثور وتغضب وتقول: كيف يقول لك كيت وكيت؟

كيف يفعل معك كيت وكيت ؟ . . . . . تسمع البنت ذلك فتغلظ أذنها ، ويهيج فيها الحرس على اللدد ، وينمو عدم اكترائها بزوجها . فتستعصى عليه ، ويسوء الحال حتى ينتهي بالمرء . فهل السبب في ذلك الأم ؟ لا . بل الأب ، والأب وحده ، فهو رب البيت . وقد يستطيع أن لا يتمكن ابنته من العودة إلى بيته غضبي مرة ثانية ، فينهرها ويردها لزوجها ، ولا يبالي بأمرها ما دامت ترى فيه قوة السيطرة . و فقط يتقابل وزوجها ، وبكلمه بالحسن ، ويبين لهم ولو ظاهراً - أنه ليس زوجاً لها بحسب ، بل زوج ، وأب ، وأم ، وأخ في آن واحد . فبنت هذه الطريقة تمتنع البنت عن إثارة خاطر زوجها ، وعن إغصابه ، ومشاكسته مرة ثانية . وهو تمتنع من تلقاء نفسه عن كل ما يسوؤها ، أو يجرح إحساسها ، وبذا يهناكي وينعمان ويردون كلاهما يحتاجان الرحمة على صاحبه . . . فاذا كان الأب قد تنازل عن هذه السلطة وترك الأمور لامراته وهذه تسير ابنتها في هوج وحقق ، كان هو المولوم دونها مهما فعلت ، ومهما زنت على فعلها من عواقب وخيمة .

وكل رجل يتسبب في ضياع هيئته وتقوده من البيت ، كان جديراً بأن يصع الحمار على وجهه . ويدع امرأته تطأ طهره ، وتصفعه على قفاه ، كان جديراً بأن يتحنت ويدع مرته ترحل هذا هو الرأي ، فلسنا نعد المرأة مسئولة ، وهي لم تبلغ بعد درجة المسؤولية . فهل لكيفة المربيات المصلحات إبداء رأيها على صفحات « المعرفة » ، الذي كانت قد أزمعت إبداءه في مناظرة المعلمين العليا ؟

عبد الحميد العمروسي

دار العلوم العليا

## هزمية السنة الأولى

### الرسالة العذراء

« الرسالة العذراء » اسم لرسالة تقيسة . تعد إحدى ذخائر الأدب العربي العبير . لابراهيم بن المدبر ، حوت من جليل البحث ، وطريف الفكر ، ورقة الأسلوب . وسلسلة اللفظ . ما جعلها - بحق - كنزاً من كنوز أدبائنا العرب المغاوير . وقد صححها وشرحها باللغة العربية ، ووضع لها مقدمة مفصلة بالفرنسية . تناول الكلام فيها على فن الانشاء ومذاهب السكتاب في القرن الثالث ، الأستاذ البحانة والعام القص الدكتور زكي مبارك .

وقد بعثت إدارة « المعرفة » بهذه الهدية النفيسة إلى حضرات المشتركين ( الذين سددوا قيمة اشتراك السنة الأولى ) . ورجاؤنا أن يتفضل حضرات الذين لم يسددوا قيمة اشتراك تلك السنة بتسديدها . لنبعث إليهم بتلك الهدية .



# مكتبة المعرفة

## الرسالة العذراء

كتاب من القطع الكبير ، مطبوع في دار الكتب المصرية ،  
به ٥٢ صفحة باللغة العربية ومقدمة فرنسية تقع في  
٣٣٢ صحيفة ، وثمنه ٨ قروش مصرية .

لقد عرفت « المعرفة » كيف تتخير لقراءها المشتركين فيها طرفة من طرائف الأدب الرفيع  
لخالده الممتع الرائع النافع ... فالرسالة العذراء هي - بحق - المثل الأعلى للرسائل الجامعة التي  
تصور لك حقائق الحياة تصويراً فيه دقة ، وفيه رقة ، وفيه إمتاع . وفيه إلى ذلك ألوان  
جدة . وتظليل رشيق ، يظهر على كل جانب حتى ، وكل ناحية حافلة بالرشاد والسداد .

وليس الكاتب اللودعي « ابراهيم بن المدبر » بالرجل الذي تعتمص شخصيته بموقف  
ضيق أو حالة النسيان ، فهو الكاتب المفكر ، والأديب المعلم ، والمحقق الذي استطاع  
في مستهل العصر الاسلامي أن ينفذ إلى بواطن الصغار التي تخلع على الناس دنارها القاتم ،  
يسرع هذا الدثار ، ويباعد بين الناس وبين أوضاره وأضراره . . .

وإذا كانت « الرسالة العذراء » قد حققت أطمع « ابن المدبر » في الإصلاح إلى أمد  
مبدئ لما فيها من آراء سديدة ، ونصائح جامعة ، وأفكار لها خطرها وروعها ، إذا كانت  
هذه « الرسالة العذراء » قد حققت كل ذلك ، فإن يد الزمن قد أمسكت بها وأزمتها مكانة  
مبددة عن مواطن المصلحين ، حتى ضاعت معالمها بين الحقبة والحقبة ، وحتى صار ما بقي منها  
مورثاً بين ألوان من الأغاليط ، وألوان أخرى من الشلط ، وكانت « الرسالة العذراء » في  
عمر هذا الجحود الذي أصابته من أشتات المتأدين تنشر لحياتها يداً رحيمة ، وعقلاً  
مدركاً . وصدرت لا يصيق بما لحقها من هوان ، وما فاء إليها من تمقيد . . . إلى أن  
أدركنا صديقنا الأستاذ الدكتور زكي مبارك ، فإذا يده أجزل رحمة ، وإذا عقله أوفر إدراكاً ،  
وإذا صدره أضنى بشراً ورحابة وانطلاقاً . . .

\*\*\*

لقد صحح الأستاذ الدكتور « الرسالة العذراء » ، وفي يقيني أن « التصحيح » لأشياء هذه  
رسائل التي فرقت العصور من أوصالها ، هو أشق من معاناة التأليف ، ومزاولة الابتكار ،  
ولقد « شرح » ألفاظها الغريبة ، ومهد لهذا « الشرح » أسباب السهولة حتى يدرك كل قارئ  
ما فيها من إمتاع ، وما يفيض عليها من فجاج . . .

ثم عقب عليها بعدئذ بمقدمة مستفيضة كتبها باللغة الفرنسية ، وفيها كل ما انتهى إليه الأستاذ الدكتور من بحثه في « النثر الفني » الذي يمر به القرن الرابع الهجري . . . .  
وليس في مقدور أحد من قراء العربية أن ينسى للدكتور زكي مبارك دفته في البحث .  
ورفته في التوجيه ، وطلاوة أسلوبه حين يشاء الحديث . وليس في مقدور أحد من قراء رسائله أن ينسى له دفته في التحقيق ، التحقيق العلمي الخالص لوجه الله . . . . فله في هذا التحقيق ضروب من الصراحة الصارمة ، والأفصاح المبين ، لأنه يؤمن بأن المواربة والخداع في العلم جريمة هائلة وإثم كبير . . . .

وهكذا كان بحث الدكتور في مقدمته الفرنسية مثار ضجة حافلة بالصحب ، تتيح لمعاصنها أن تثور ، لا بين جنبات الأزهر ، ولا بين جنبات كلية الآداب في الجامعة المصرية . وإنما تتيح لها أن تثور بين جنبات مدرسة اللغات الشرقية في باريس . . . .  
وفي ذلك ما يزيد في خطر هذا البحث ، وما يزيد في قيمة « الرسالة العذراء » .

على أحمد عامر

### وكيل البريد وقصص أخرى - خالي وقصص أخرى

مجموعتان من أقاصيص « طاغور » ترجمتا بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار في فلسفة « طاغور » جوانب غامضة ، وفيها إلى ذلك جوانب أخرى كلها صريحة وسهلة ويسر ، وفي « تاجور » - غير فلسفته - روح الشاعر والفنان العبقرى . فهو إذ كتب عرف جملة ما يقول ، وأدرك اتجاه قلعه واتجاه نفسه معا ، وله نظريات أراد أن يذيعها في الناس إذاعة لا تثقل عليهم . ولا يلحقهم في استيعابها وعرفانها وتحقيقها ملال ، بل يجد أنفع من القصة ، ولا أجدى منها في توجيه الأذهان توجيهاً يسهل معه هضم هذه النظريات ؛ وهكذا أنشأ « تاجور » عديداً من القصص الداحرة بعيداً من الأحاسيس والحوافز .  
وقد ترجم الأستاذ الشاعر الأديب عبد اللطيف النشار أربع عشرة قصة من تلك الأقاصيص الصغيرة ، وقدمها إلى القراء في مجموعتين أهداهما إلى جمعية الثقافة الأدبية في الإسكندرية والأستاذ النشار ممن يملكون البراعة القادرة على اقتصاص القول الطلي ، والكلمات الطليقة . فلا غرو أن تكون ترجمته - إلى دفتها - طليقة موفقة .

وما من ريب في أن الجهد الذي استنفده في إخراج هاتين المجموعتين سيجد - من قراء العربية ، ومن أنصار تاجور - تشيئاً وإقبالاً .

### الغريزة الجنسية

كتاب في ١٢٨ صحيفة من القطع الصغير ، وضعه الأديب ممدوح حقي ، ونشره السيد محمد سحر البايدي ، صاحب المكتبة الخلية في حلب .  
وهو مجموعة من الكلمات الطليقة ذات الأثر الفعال في تنقيف الأذهان ، وتوجيه العقول

رحمة الصواب ، وقد اشتمل على جمهرة من البحوث النفسانية العميقة في « سر الحياة » .  
 و خلاصة نظرية التطور و « النبوغ والجنون » وتقليد القردة ، والغريزة الجنسية و « الغريزة  
 و الحيوان والمصيبة والكشفية » وحرارة البلوغ ، والفن ، والعري ، والحجاب ؛ وقد أودع  
 الأستاذ حتى هذه البحوث طائفة من النظرات الدالة على صواب آرائه . والنظريات التي أنتجتها  
 مؤنة من رجالات الفلسفة والبحث العلمي ، أمثال الدكتور سيكموند فرويد والدكتور أرلست  
 جون والصحفي « لويس شارل » والباحث المصري « اسماعيل مظهر » ، والأستاذ إحسان  
 حي الأستاذ في جامعة عليكرة وأضرابهم من العلماء المبرزين .  
 فنحمد إلى الكاتب الأديب كتابه النفيس ، وندعو له بالذيع والرواج .

### القانون الاساسي

« جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين في فرنسا »

تألفت في باريس جمعية من الطلبة المسلمين الذين ينتمون إلى أقطار الشمال الأفريقي ،  
 و الذين يدرسون في الجامعات الفرنسية ، لتوثيق روابط المودة والتضامن بينهم .  
 ولنا في حاجة إلى التنويه بالفائدة العظيمة التي يجنيها الاسلام من وراء هذه الجمعية ، ولا  
 ين الاشارة بالفوائد الجمة التي يجنيها الطلبة من رابطتهم في بلاد الغرب ، ولكننا في حاجة  
 في حاجة إلى استنهاض الهمم ، وحفز العزائم بين المسلمين جميعهم ليؤدوا إلى هذه الجماعة  
 شئ ما يكفل لها البقاء ، وما يكفل لها تنفيذ أغراضها من : « إنشاء ناد ومكتبة ، وإصدار مجلة  
 « تسخير العربي والفرنسي ، والقيام بآجتماعات منظمة ، وتشجيع شبان البلاد على استكمال معلوماتهم  
 « فرنسا ، وتسجيل إقامتهم هناك ، بمنحهم إعانات وقروض شرف ، وتأسيس دار لإقامتهم هناك » .  
 و « يزيد في نبل هذه الأغراض ، التي تريد الجمعية أن تموز بتحقيقها ، أنها — كما تقول  
 في قانونها الأساسي — « بعيدة عن السياسة وما يتصل بالسياسة » .

وفي ذلك ما يحقق لنا وجوه العمل الانساني والعلمي ، الذي تشاء الجمعية أن تؤديه خير  
 مسلمين من أبناء الشمال الأفريقي ، حقق الله آمالهم ، وأتاح لمن ينشد الإصلاح أسباب النجاح .

### نظرات الشورى

عدد صفحات : ٢٦٤ صفحة من القطع المتوسط - موضوع في مطبعة الشورى عمرة

حين أخذت في تلاوة « نظرات الشورى » وإلقاء نظرة عجيلى عليه ، وحين تناولت هذه  
 حضرات بالجلولة السريمة ، والالمامة السريمة أيضاً ، تحققت لى حالة جديدة من الخسارة  
 الفادحة التي منيت بها الأوساط الأدبية والسياسية لتوقف « الشورى » عن المضى في حلبة  
 الميدان ... فقد كانت « الشورى » جامع مائدة غمة تزدحم عليها ألوان الأدب وأطايب  
 اشغرات السياسية السديدة ، وكان لها من روح صاحبها الأديب ، ومن وطنيته الخالصة ...

كان لها من هذه الروح ما يكون للعمل الموفق من أثر محمود، ومن ذكر خالد، ومن حياة رفيق الأحذية، خالدة في أفواه الناس، وفي أسماعهم، وفي ضمائرهم جميعاً.

على أن « الشورى » قد أصبحت - إلى حين نرجو أن يكون قريباً - حديثاً من أحداث الأيام الدائرة... ولكن الأستاذ الصديق « محمد علي الطاهر » لا تستطيع خصائصه أن تجعله - ولو ليوم واحد - حديثاً من أحداث الأيام الدائرة أيضاً. لأن هذه الخصائص تحمل معها من ظواهر: الحركة، والجهد، والنشاط، ما تضيق بأمثاله صدور، وما لا تفيقه حشود كثيرة من بني البشر.

وهكذا رأينا أن توقف الشورى - رد الله غيبتها - لم يدع صديقنا الطاهر إلى الصمت والسكون، على فرط حاجته إلى الصمت والسكون بعد جهاد شاق مضى فيه بضع سنين شاقة، وإعما أتاح لقراءه المنبئين في كل جانب من الأرض أن يطلعوا على جانب جديد من جهوده الحافلة بالتوفيق حين قدم إليهم كتابه النافع « نظرات الشورى ».

و « نظرات الشورى » بعدئذ جماع جمهرة من الآراء التي تعلق بالسياسة الاستعمارية في كل بلد إسلامي، وفيها تعقيب فذ على جم من الحوادث التي يغني مغزاها حجة المصلحين. وفيها - إلى ذلك - نظرات دقيقة عن الحياة في كل بلد وصل الأستاذ الطاهر قلعه به. وفيها - آخر الأمر - تصوير دقيق لاختبارات الأستاذ التي احتوته كرجل من أعلام الصحفيين... فكله من سلاسة ورقة وإمتاع.

وأما ميزة هذه النظرات فحسبك منها أن تكون الصراحة فيها فوق الصراحة، وفوق هاتين. فنحن « نظرات الشورى »، ونحمد إلى صديقنا الطاهر إهداءها إلينا، لأنها في الحق جدرة بأن تكون في طليعة الكتب التي تمتع النفس ونهت، لها عرفان الحقائق كاملة، لا لبس فيها ولا غموض.

### قانون جمعية الشبان الحجازيين

للسيد عبد الحميد الخطيب آمال يرجو تحقيقها لسعادة الجالية الحجازية، ولإيقاظها حياة رحية طيبة في مصر، وله آمال أخرى يرجو تحقيقها لسعادة هذه الجالية، وتحقيق أسباب الثقافة لها حتى تكون شعبة صالحة، تعمل في حدود من التفكير المتزن، والتقدير الصادق السديد... وهو يرجو - مع ذلك - أن تكون أواصر الأخاء بين المصريين وبين إخوانهم من أبناء الحجاز قائمة على دعامة من الصداقة الخالصة والوفاء المتين...

هذه الآمال كلها دفعت به إلى أن يوحد من جبهة الجالية الحجازية، وأن ينشئ لها جمعية تتحقق لك أغراضها النبيلة متى استوعبت قانونها الأساسي؛ فهذه الجمعية لميدة عن تناول الأمور السياسية، وهي تحدد أغراضها بأنها: « أدبية اجتماعية علمية - خيرية تعاونية ». وإذا كانت هذه الجمعية الناشئة قد أثرت في أوساط المصريين بشيء، فالحق أنها أثرت في



هذه الأساطير المصرية كثيراً ، لأنها لا تفتحي من الدعوة إلى استماع محاضرة قبيصة ، إلا وفدياً بآيات فرصة قريبة لاجتماع أدبي جديد .

وفي يقيننا أن هذه الجمعية لو سارت تلك الجهود التي بدأت حياتها بها حتى اليوم ، سيكون من شأنها أن تكون مجدية نافعة ، لا لشعبة الحجازيين فحسب ، بل لكل من يتكلم لغاد من أبناء الشرق العربي جميعاً .

وما من ريب في أنها ستكون في مستقبلها موفورة النفع ، لأن اليد التي تحركها يد شاب قى ، وثاب النفس ، بالغ المهمة .

### كتاب الاغانى

يقع في ٤٣٥ صفحة ، ويقع فهرسه في ١٢٣ صفحة من الحجم الكبير .  
ظهر الجزء الخامس من كتاب « الاغانى » لأبي الفرج الأصفهاني ، من مطبوعات إحياء الآداب العربية التي تتولى إخراجها دار السكتب المصرية ، وهو كسائر مطبوعات الدار في جمال الطبع ودقة التصحيح .

ويطلب من دار السكتب المصرية ، وثمان النسخة الواحدة منه ٢٠٠ مليم للجمهور ، و ١٨٠ مليم لأرباب المكاتب أو لمن يشتري عشر نسخ منه .

### الجامعة الاسلامية

أصدر الصحفي الفلسطيني الأديب الأستاذ « سليمان التاجي الفاروقي » في مدينة يافا جريدة يومية باسم « الجامعة الاسلامية » ، وقد تلقينا أعدادها الأولى ، واطلعنا على ما فيها من بحوث ، وما فيها من فصول ، وما فيها من تقدمات ، فإذا هي جماع عزومات جدرة الإعجاب قيمة بالتقدير ، وإذا كل ما فيها طريف متمتع يدل على أدب صاحبها الجهم ، وتفكيره الدقيق ، وحسن تصرفه فيما يضطلع به من أعباء الصحافة الشاقة .

وما من ريب في أن « الجامعة الاسلامية » قد سدت فرجة هائلة في ميدان الصحافة الشرقية الراقية . فخرجوا لها رحيب الذبوع ، وجزيل الرواج .

### الاسلام

نعودنا أن تكون الصحف والمجلات في الشرق ميداناً تجتمع اليه أشاتات الفنون ... وكنا في حاجة أي حاجة إلى صحف تعنى بإذاعة موضوع واحد ، وتعنى بجمعه وسرد أبوابه ، ولم جوانبه ، والدفاع عنه ... إلى أن أصدر الأستاذ « أمين عبد الرحمن » مجلته « الاسلام » فإذا بها عنوان صادق لما يسجل بين دفتيها من فصول ، لا صلة لها إلا بالاسلام وحده .

وفي هذه الفصول إمتاع للنفس ، وإشباع لنهامة الذين ينشدون الحقائق الصريحة عن الاسلام ، وعما يتصل به من رسالات لها جلالها الكثير . فنأمل للصحيفة دوام انتشار ، وبقاء حياة .

# سِنُّ المَعْرِفَةِ وَقَارُهَا

الرق وكيف نشأ ؟

( أم درمان . سودان ) مصطفى الصاوى — يقولون إن الله خلق الجنس البشرى من أصل واحد وجعل منه قبائل وشعوبا ؛ فما هو السبب الطبيعي إذن في ميل بعضهم إلى استعباد البعض الآخر منذ بدء خلقهم ؟ ولماذا نرى الجنس الأسود محتقراً ممتهمًا في نظر غيره من الأمم ، وأن أكثرية الرقيق منه ؟

( المعرفة ) مسألة الاسترقاق مسألة معجزة جداً ، بل هي صفحة سوداء في تاريخ البشرية ، ويرجع منشؤها إلى أقدم عصور التاريخ ؛ وسببها — على ما نعتقد — تغلب القوى على الضعيف ، فالاسترقاق إذن نتيجة الحروب القديمة ، التي كان الجنس الأسود يندحر فيها — لسوء حظه — فأبت طبيعة البيض المنتصرين إلا استعبادهم واسترقاقهم واستخدمهم في القيام بمصالحهم وقضاء حاجاتهم ، بل إن بعض الأمم اشتطت في الاسترقاق كثيراً ، فلم تكن قوانينها لتعامل الرقيق بأكثر من معاملتها للحيوانات الداجنة ، وقد تطورت مسألة الاسترقاق في كل العصور تطوراً غريباً .

ولم يكن الاسترقاق قاصراً على السود فحسب ، وإنما شمل البيض أيضاً ممن كان ما لهم في الحرب ما ل السود ؛ وكان الملوك والكهنة والأعيان في عهد قدماء المصريين يكتفون من اقتناء الممالك للزينة والخدمة ، وقد ظلت هذه العادة السيئة إلى عهد قريب .

وقد كانت لكل من الهنود والفرس والصينيين والعبرانيين واليونانيين والرومان والفرنكيين ( أصل الفرنسيين ) حتى منتصف القرن التاسع عشر ، طقوس وتقاليد وأوضاع تختلف شدة وقسوة وغلظة باختلاف العنصر المتغلب .

وفي ثورة فرنسا ( ١٨٤٨ ) قضى على الاسترقاق بتاتا .

ويلاحظ أن جميع الأديان لم تقف في سبيله ، كما أنها لم تدع إليه إطلاقاً ؛ إلا أن الاسلام حصره في قيود ضيقة ، فقيده بشرطين : أحدهما أن يكون بحرب شرعية ، وثانيهما أن يكون المحاربون من الكافرين .

وقد كان المسلمون لا يبدعون قوماً بحرب حتى يندروهم ويغيروهم بين خصال ثلاث : الاسلام أو الجزية أو الحرب .

هذا وليرجع حضرة السائل — إن أراد التوسع — إلى كتاب « الرق في الاسلام » الذي ألفه بالفرنسية أحمد شفيق باشا ، وترجمه إلى العربية أحمد زكي باشا ، وكذلك دائرة معارف وجدي ، وقاموس



لاروس ، وكتاب تمدن العرب لجوستاف لوبون ، دائرة المعارف البريطانية ، وكتب الفقه ،  
لقرأ الكثير من صفحات المجد والفخار التي سجلها التاريخ لكثير من عظماء السود ، الذين  
نأمل أن يكونوا قدوة حسنة لآخواننا أبناء عام .

### الصحافة المصرية

( القاهرة . مصر ) أحمد فتحي ناصف — متى تصبح الصحافة المصرية في صف الصحافة  
الافية ؟ وكيف نضمن لها الحياة ؟

( المعرفة ) تعد الصحافة المصرية من أرق صحف العالم ، فهي تمتاز على جميع الصحف  
التربية بدقة نظامها وترتيبها وتبويب صفحاتها وتنوع موضوعاتها وحسن روتقها ، بل هي  
لرق بكثير من صحف بعض الممالك الأوروبية والأمريكية ، وهذا بالرغم من القيود والعقبات  
التي يضعها في سبيلها المشرع المصري .

أما كيف نضمن لها الحياة ؟ فامر ذلك موكل إلينا معشر المصريين ، لا إلى غيرنا كما  
يقادر إلى ذهننا من سؤالك ؛ فلو أن كل مصري عرف الواجب المفروض عليه نحو أخيه  
الصحفي المصري ، لاستطاع هذا الصحفي المصري ، أن يبدد الأجنبي بمراحل ، ففي المصري  
ذلك وجد ومرونة ولباقة ودقة وحسن اختيار إلى غير ذلك من خلال ، قل أن توجد  
في غيره .

فهل آن الأوان لفهم هذه الحقائق ؟ يا ناس شيء من الرحمة والانصاف ، وقليل من التعضيد ،  
كفيلان بتتويع رؤوسنا — معشر الصحفيين المصريين — بأكليل من الفخار .

محمد بك فريد

( القاهرة . مصر ) أحمد عبد عبد العال — قال الشيخ ابراهيم سليمان ، أحد علماء  
الاسكندرية ، في رثاء المرحوم محمد بك فريد رئيس الحزب الوطني .

برلين ا كيف وسعت قبر محمد وعليه ضاقت فسحة الأوطان

فهل دفن في برلين ؟ وكيف كان ذلك ؟

( المعرفة ) توفي المرحوم محمد بك فريد ببرلين في مساء ١٦ نوفمبر سنة ١٩١٩ ، ودفن بها  
بناء على وصيته التي أوصى فيها : أن لا تدفن جثته بمصر ، ما دام فيها جندي انجليزي  
واحد .

ولكن المرحوم الحاج خليل عفيفي التاجر بالقازيق ، تولى إحضار جثمانه في ٢٠ يونيو  
سنة ١٩٢٠ ، وقد دفن بمدافن العباسيين بجوار مسجد السيدة نفيسة .

# فهرس المعرفة

## الجزء الرابع من السنة الثانية

صفحة

بقلم عبد العزيز الاسلامبولي	٣٨٩ المنفلوطي كاتب العاطفة والوجدان
للأستاذ السباعي بيومي	٣٩٦ الشعر الجاهلي : تأثيره ومنزلة رجاله
للدكتور زكي مبارك	٤٠١ أثر أبي الفرج البغاء
للأستاذ حامد عبد القادر	٤٠٨ رأي فرويد في الأحلام
للأستاذ محمد عاكف بك	٤١٢ الببل
للدكتور زكي مبارك	٤١٥ فضل المستشرقين على اللغة العربية
للدكتور أحمد فريد رفاعي	٤١٧ لو كنت وزيراً للمعارف
للأستاذ محمود تيمور	٤٢٥ مقدور ( قصة مصرية )
للأستاذ محمود الخطيرى	٤٣٣ المعاني الأفلاطونية عند المعتزلة
للسيد على سالم عمار	٤٣٨ وحدة الوجود ( قصيدة )
للدكتور على عبد الواحد وافي	٤٣٩ أقسام اللعب أو طوائفه
للدكتور على مظهر	٤٤٥ شلر
للأستاذ مصطفى جواد	٤٤٨ وصف العود ( قصيدة )
للأستاذ يوسف كرم	٤٤٩ النفس والله في فلسفة أفلاطون
للأستاذ أحمد الشنتناوى	٤٥٥ الاسكندرية في أوج عظمتها
بقلم إيزاك موسى شמוש	٤٦٢ فلسفة الحقوق الجزائية
للأستاذ مصطفى جاد أبو العلا	٤٦٨ كيف نعد الفتاة للزواج ؟
بقلم المبارك إبراهيم	٤٧١ عباس محمود العقاد
بقلم محمد أمين حسونة	٤٨١ المستشرقون بين الأديين : القديم والحديث
للأستاذ محمد محمد السيد	٤٨٥ بناء العش في مملكة الحيوان
بقلم عبد الرحمن أبو لين	٤٨٨ أول مؤتمر في الإسلام وماذا أثر ؟
للأستاذ أحمد فؤاد الأهواني	٤٩١ فلسفة العلوم الرياضية
بقلم أحمد منصور	٤٩٥ خواطر وثقافات
	٤٩٧ حافظ إبراهيم

## أبواب المجد

٥٥٥ مكتبة المعرفة

٥٠١ مملكة المرأة والبيت

٥١٠ بين المعرفة وقراءتها